

Agatha Christie®

أجاثا كريستي

الشاهد الصامت

مقتل الأنسة إميلي أرونديل



رواية بوليسية للمحقق هيركيول بوارو

نشرت من قبل تحت اسم POIROT LOSES A CLIENT

الشاهد الصامت

أجاثا كريستي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَذَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الْمَدِينَةِ
تَمَامُهَا فِي الْمَدِينَةِ

Agatha Christie®

Dumb Witness



للتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublishations@jarirbookstore.com

إخلاء مسؤولية

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية من الكتاب. وعلى الرغم من أننا بذلنا قصارى جهدنا في نظر وترجمة الطبعة العربية، فإننا لا نتحمل أي مسؤولية أو تقدم أي ضمان فيما يتعلق بصحة أو اكتمال المادة التي يتضمنها الكتاب. لذا فإننا لا نتحمل، تحت أي ظرف من الظروف، مسؤولية أي خسائر أو تعويضات سواء كانت مباشرة، أو غير مباشرة، أو عرضية، أو عارضة، أو متفرقة، أو أخرى. كما أننا نطلي مسؤوليةنا بصفة خاصة عن أي خسائر حول ملازمة الكتاب عمومًا أو ملازمته لغرض معين.

الطبعة الأولى ٢٠١٤

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.

Copyright © 2014. All rights reserved.

لا يجوز إعادة إنتاج أو تخزين هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي نظام لتخزين المعلومات أو استرجاعها أو نقله بأي وسيلة إلكترونية أو آلية أو من خلال التصوير أو التسجيل أو بأية وسيلة أخرى.

إن المسح الضوئي أو التحويل أو التوزيع لهذا الكتاب من خلال الإنترنت أو أية وسيلة أخرى بدون موافقة صريحة من الناشر هو عمل غير قانوني. رجاء شراء النسخ الإلكترونية المعتمدة فقط لهذا العمل، وعدم المشاركة في قرصنة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف سواء بوسيلة إلكترونية أو بأية وسيلة أخرى أو التشجيع على ذلك. ونحن نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

رجاء عدم المشاركة في سرقة المواد المحمية بموجب حقوق النشر والتأليف أو التشجيع على ذلك. نقدر دعمك لحقوق المؤلفين والناشرين.

المملكة العربية السعودية - ص.ب. ٢١٩٦ الرياض ١١٤٧١ - تليفون ٤٦٦٣٠٠٠ ١١ - فاكس ٤٦٦٣١٣ ١١ - ٩٦٦+

Dumb Witness Copyright © 1937 Agatha Christie Limited. All rights reserved.
AGATHA CHRISTIE, POIROT and the Agatha Christie Signature are registered trade marks of Agatha Christie Limited in the UK and/or elsewhere. All rights reserved.

Translation entitled "الشاهد الصامت" © 2014 Agatha Christie Limited.

All rights reserved.

نبذة عن المؤلفة

تُعد أجاثا كريستي أكثر الروائيات التي نُشرت أعمالها على نطاق واسع على مر العصور وبكل اللغات، ولم يتفوق عليها في المبيعات سوى مؤلفات شكسبير؛ فلقد بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة أجنبية. كتبت أجاثا كريستي ثمانين رواية من أدب الجريمة ومجموعات قصصية قصيرة وتسع عشرة مسرحية وكتابني سيرة ذاتية وست روايات أخرى كتبها تحت اسم مستعار، هو "ماري ويستماكوت".

حاولت في البداية تأليف القصص البوليسية في أثناء عملها في مستوصف ملبي في أثناء الحرب العالمية الأولى، مبتكرة الشخصية الأسطورية "المحقق هيركيول بوارو" في روايتها الأولى *القضية الغامضة في مدينة ستايلز*. وفي رواية *جريمة قتل في المعبد* التي تم نشرها في عام ١٩٣٠، قدمت محققة محبوبة هي الأنسة جين ماربل. ومن بين شخصيات سلسلة الروايات فريق مكافحة الجريمة المكون من الزوج والزوجة تومي وتيوينس بيريسفورد، والمحقق الخاص باركر باين، ومحققي سكوتلاند يارد: المراقب باتل والمفتش جاب.

والكثير من روايات كريستي وقصصها القصيرة تم تحويلها إلى مسرحيات وأفلام ومسلسلات تليفزيونية. ومن أشهر مسرحياتها على الإطلاق مسرحية *The Mousetrap* التي تم افتتاحها في عام ١٩٥٢، وقد استمر عرضها على خشبة المسرح لأطول فترة عرض في تاريخ المسرح. ومن بين أشهر الأفلام المأخوذة من رواياتها جريمة في قطار الشرق السريع*** (١٩٧٤) وجريمة قتل على ضفاف النيل**** (١٩٧٨)؛ حيث لعب دور المحقق هيركيول بوارو الممثلان ألبرت فيني و"بيتر أوستينوف" في الفيلمين على التوالي. وعلى شاشة التليفزيون، لعب الممثل "ديفيد سوشيه" دور المحقق بوارو على نحو لا يمكن نسيانه أبداً، ولعبت الممثلة "جوان هيكسون" دور الأنسة ماربل، ثم تبعتها في تأدية هذا الدور كل من الممثلة "جيرالدين ماكايبوان" و"جوليا ماكنزي".

* مناوارة لدى مكتبة جرير

** مناوارة لدى مكتبة جرير

*** مناوارة لدى مكتبة جرير

**** مناوارة لدى مكتبة جرير

تزوجت كريستي لأول مرة من أرشيبالد كريستي، ثم تزوجت من عالم الآثار السير ماكس مالوان، الذي رافقته في رحلاته الاستكشافية إلى البلدان التي استعانت بها في أحداث العديد من رواياتها. وفي عام ١٩٧١، تسلمت كريستي واحداً من أرفع الأوسمة البريطانية حين حصلت على لقب سيدة الإمبراطورية البريطانية. توفيت كريستي في عام ١٩٧٦ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين. وتم الاحتفال بعيد ميلادها المائة والعشرين في مختلف أنحاء العالم في عام ٢٠١٠.

www.AgathaChristie.com

مجموعة روايات لأجاثا كريستي

راكب، إلى فرانكفورت	ثلاثة فئران عمياء وقصص أخرى
إعلان من جريمة	السيد كوين الغامض
أوراق لعب على الطاولة	تحريات باركرباين
خطر في إند هاوس	من النذى قتل السيد روجر أكرويد
القتل السهل	أبجدية القتل
الموت على ضفاف النيل	جريمة وانتقام
القضية الغامضة في مدينة ستايلز	موت في السحاب
فداع المرايا	بيت الرجل الميت
الجواد الأشهب	شجرة السرو الحزينة
لغز القطار الأزرق	واختفى كل شيء
الأهبال تستطيع أن تتذكر	جريمة في بغداد
الموت يأتي في النهاية	

إهداء إلى بيتر العزيز:

أكثر الأصدقاء وفاءً

وأعز الرفاق،

كلب لا مثيل له

المحتويات

١	١	سيدة منزل ليتلجرين
١٤	٢	الأقارب
٢٢	٣	الحادث
٣١	٤	الآنسة أرونديل تكتب خطابًا
٣٥	٥	هيركيول بوارو يتلقى خطابًا
٤٣	٦	رحلتنا إلى منزل ليتلجرين
٥٣	٧	مقابلة في فندق جورج
٦٠	٨	بداخل منزل ليتلجرين
٨٠	٩	إعادة تمثيل حادثة الكلب
٩٠	١٠	زيارة إلى الآنسة بيبودي
١٠٣	١١	زيارة إلى الآنستين تريب
١١٢	١٢	بوارو يناقش القضية
١٢٠	١٣	تريزا أرونديل
١٣٠	١٤	تشارلز أرونديل
١٤١	١٥	الآنسة لوسون
١٥٨	١٦	السيدة تانيوس
١٦٥	١٧	دكتور تانيوس
١٧٢	١٨	الأسرار المحجوبة

الأول

سيدة منزل ليتلجرين

توفيت الأنسة أرونديل في الأول من مايو. ورغم أن فترة مرضها كانت قصيرة، فلم تثر وفاتها الكثير من الدهشة في بلدة ماركيت بيسينج الريفية الصغيرة التي كانت تعيش فيها منذ كانت في السادسة عشرة من عمرها؛ وذلك لأن إميلي أرونديل كانت قد تجاوزت السبعين من عمرها بعدة سنوات، وكان آخر أفراد أسرتها، المكونة من خمسة، على قيد الحياة، وكان من المعروف أن صحتها قد اعتلت منذ سنوات عديدة، وأنها قد أصيبت بنوبة مرضية منذ ما يقرب من ثمانية عشر شهراً مضت، شبيهة بتلك التي أودت بحياتها أخيراً.

ومع أن وفاة الأنسة أرونديل لم تدهش أحداً، فإن هناك شيئاً آخر قد أدهش الكثيرين؛ فقد أثارت بنود وصيتها مشاعر مختلفة؛ بين دهشة، وانفعال، واستنكار عميق، وحنق، وياس، وغضب، والكثير من القيل والقال. وطوال أسابيع، بل أشهر، صارت بلدة ماركيت بيسينج لا تتحدث عن أي شيء آخر غير ذلك؛ وكان لكل شخص مساهمته في هذا الموضوع، بدءاً من السيد جونز البقال؛ الذي قال إن لرابطة الدم أهميتها "فالدّم أكثر كثافة من الماء"، إلى السيدة لامفري التي تعمل في مكتب البريد، والتي كررت مرة تلو الأخرى أن "هناك شيئاً غريباً وراء وفاتها، وتذكروا كلامي هذا".

١٨٠	١٩	زيارة إلى السيد بيرفيس
١٩٢	٢٠	زيارة ثانية لمنزل ليتلجرين
٢٠٣	٢١	الصيدلي، والممرضة، والطبيب
٢١٦	٢٢	المرأة الواقفة على السلالم
٢٣١	٢٣	زيارة من دكتور تانيوس
٢٤٠	٢٤	إنكار تريزا
٢٤٩	٢٥	أنا أستلقي وأتأمل الوضع
٢٥٧	٢٦	السيدة تانيوس ترفض أن تتكلم
٢٦٨	٢٧	زيارة من دكتور دونالدسون
٢٧٣	٢٨	ضحية أخرى
٢٨٠	٢٩	تحقيق في منزل ليتلجرين
٢٩٤	٣٠	كلمة أخيرة

www.liilas.com/bb3
 uploaded and scanned
 by :
 THE GHOST 92
 2017

ولكن الشيء الذي دفع الناس لتخمين الأسباب المتعلقة بوفاتها هو حقيقة أن الوصية كتبت في أواخر شهر أبريل، وتحديدًا في الحادي والعشرين منه. وإذا أضفت إلى ذلك حقيقة أن أقارب إميلي أرونديل المقربين كانوا يقيمون معها قبل ذلك التاريخ؛ حيث قضوا معها إجازة عيد الربيع، فلن تجد عجباً أن يفتح المجال لاقتشار أكثر النظريات الفاضحة، الأمر الذي يخفف من ملل الحياة اليومية في بلدة ماركيت بيسينج.

كان هناك شخص واحد أثار الشكوك في كونه يعرف أكثر مما هو مستعد للاعتراف به. كان هذا الشخص هو الأنسة فيلهلمينيا لوسون؛ جليسة الأنسة أرونديل. ولكن الأنسة لوسون زعمت أنها لا تعرف أي شيء أكثر مما يعرفه الجميع، كما أنها أعلنت أيضاً أنها اندهشت عندما سمعت الوصية.

بالطبع لم يصدق كثير من الأشخاص هذا الادعاء. وسواء كانت الأنسة لوسون تعرف أو لا تعرف أكثر مما ادعت، فليس هناك سوى شخص واحد يمكنه البت في هذا الأمر. وهذا الشخص أصبح في عداد الموتى الآن. وقد احتفظت إميلي أرونديل بهذا السر كعادتتها. ولم تذكر أي شيء حتى لمحاميها عما دفعها لكتابة وصيتها على هذا النحو. بل اكتفت بأن توضح رغباتها فحسب.

وسط هذا الصمت، من الممكن التعرف على السمات الأبرز في شخصية إميلي أرونديل. كانت من كل النواحي تشبه أبناء جيلها كثيراً؛ حيث تمتعت بكل فضائله ونقاياه. كانت مستبدة ومتعجرفة، ولكنها كانت عطوفة للغاية أيضاً. كانت سليطة اللسان، ولكن تصرفاتها عكست رقة قلبها. ورغم أنها بدت عاطفية، كانت غاية في الذكاء. كما كان لديها مجموعة من الرفاق الذين تستأسد عليهم دون رحمة، ولكنها كانت تعاملهم بكرم بالغ. كما كانت تكن إحساساً كبيراً بالتزامها نحو أسرته. وفي يوم الجمعة قبيل عيد الربيع، كانت إميلي أرونديل تقف في ردهة منزلها الكائن في ليتلجرين تعطي مختلف التعليمات للأنسة لوسون.

• • •

كانت إميلي أرونديل يوماً فتاة جميلة، وقد صارت الآن عجوزاً تتمتع بشيء من الجمال. كان ظهرها مستقيماً، وكانت تسير بخفة ورشاقة، كما بدت على

ظهرها لينة اسفرار باهت تنذر بأنه لا يمكنها الإسراف في تناول الأطعمة الدسمة.

قالت الأنسة أرونديل:

"والآن يا ميني، أين ستضعين كل هؤلاء؟"

"عسلاً، فكرت — وأمل أن أكون أحسنت في ذلك — أن يقيم دكتور تانيوس وزوجته في الغرفة المصنوعة من شجر البلوط، وتقيم تريزا في الغرفة الزرقاء، والسيد تشارلز في غرفة الأطفال القديمة —"

قامعتها السيدة أرونديل:

"يمكن أن تقيم تريزا في غرفة الأطفال القديمة، ويقيم تشارلز في الغرفة الزرقاء."

"أوه، نعم — أنا أسفة — ظننت أن غرفة الأطفال لن تناسبها —"

"سوف تكون مناسبة تماماً لتريزا."

كانت النساء يأتين في مرتبة ثانية لدى الأنسة أرونديل؛ حيث احتل الرجال مرتبة أكثر أهمية في المجتمع.

تمتعت الأنسة لوسون بتأثير ظهر عليها: "أنا حزينة للغاية أن الأطفال الصغار لن يحضروا."

كانت تحب الأطفال، ولكنها لم تكن تستطيع التعامل معهم.

قالت الأنسة أرونديل: "أربعة زوار عدد كاف تماماً. على أية حال، لقد أفسدت بيلاً تربية أطفالها كثيراً؛ لذلك فإنهم لا يحلمون أبداً بالقيام بما يقال لهم."

تمتعت ميني لوسون قائلة:

"السيدة تانيوس أم تركز نفسها لرعاية أطفالها."

وافقتها الأنسة أرونديل الرأي بشدة:

"بيلا سيدة عظيمة."

تنهدت الأنسة لوسون وقالت:

"قطعاً، كان الأمر صعباً عليها في بعض الأحيان. أن تعيش في مكان غريب مثل سميرنا."

ولكن الشيء الذي دفع الناس لتخمين الأسباب المتعلقة بوفااتها هو حقيقة أن الوصية كتبت في أواخر شهر أبريل، وتحديدًا في الحادي والعشرين منه. وإذا أضفت إلى ذلك حقيقة أن أقارب إميلي أرونديل المقربين كانوا يقيمون معها قبل ذلك التاريخ؛ حيث قضوا معها إجازة عيد الربيع، فلن تجد عجباً أن يفتح المجال لانتشار أكثر النظريات الفاضحة، الأمر الذي يخفف من ملل الحياة اليومية في بلدة ماركيت بيسينج.

كان هناك شخص واحد أثار الشكوك في كونه يعرف أكثر مما هو مستعد للاعتراف به. كان هذا الشخص هو الأنسة فيلهلمينيا لوسون؛ جليسة الأنسة أرونديل. ولكن الأنسة لوسون زعمت أنها لا تعرف أي شيء أكثر مما يعرفه الجميع، كما أنها أعلنت أيضًا أنها اندهشت عندما سمعت الوصية.

بالطبع لم يصدق كثير من الأشخاص هذا الادعاء. وسواء كانت الأنسة لوسون تعرف أو لا تعرف أكثر مما ادعت، فليس هناك سوى شخص واحد يمكنه البت في هذا الأمر. وهذا الشخص أصبح في عداد الموتى الآن. وقد احتفظت إميلي أرونديل بهذا السر كعادتتها. ولم تذكر أي شيء حتى لمحاميها عما دفعها لكتابة وصيتها على هذا النحو. بل اكتفت بأن توضح رغباتها فحسب.

وسط هذا الصمت، من الممكن التعرف على السمات الأبرز في شخصية إميلي أرونديل. كانت من كل النواحي تشبه أبناء جيلها كثيرًا؛ حيث تمتعت بكل فضائله ونقائصه. كانت مستبدة ومتعجرفة، ولكنها كانت عطوفة للغاية أيضًا. كانت سليطة اللسان، ولكن تصرفاتها عكست رقة قلبها. ورغم أنها بدت عاطفية، كانت غاية في الذكاء. كما كان لديها مجموعة من الرفاق الذين تستأسد عليهم دون رحمة، ولكنها كانت تعاملهم بكرم بالغ. كما كانت تكن إحساسًا كبيرًا بالتزامها نحو أسررتها. وفي يوم الجمعة قبيل عيد الربيع، كانت إميلي أرونديل تقف في ردهة منزلها الكائن في ليتلجرين تعطي مختلف التعليمات للأنسة لوسون.

• • •

كانت إميلي أرونديل يومًا فتاة جميلة، وقد صارت الآن عجوزًا تتمتع بشيء من الجمال. كان ظهرها مستقيمًا، وكانت تسير بخفة ورشاقة، كما بدت على

بشرتها لمسة اصفرار باهت تنذر بأنه لا يمكنها الإسراف في تناول الأطعمة الدسمة.

قالت الأنسة أرونديل:

"والآن يا ميني، أين ستضعين كل هؤلاء؟"

"حسنًا، فكرت — وأمل أن أكون أحسنت في ذلك — أن يقيم دكتور تانيوس وزوجته في الغرفة المصنوعة من شجر البلوط، وتقيم تريزا في الغرفة الزرقاء، والسيد تشارلز في غرفة الأطفال القديمة —"

قاطعتها السيدة أرونديل:

"يمكن أن تقيم تريزا في غرفة الأطفال القديمة، ويقيم تشارلز في الغرفة الزرقاء."

"أوه، نعم — أنا أسفة — ظننت أن غرفة الأطفال لن تناسبها —"

"سوف تكون مناسبة تمامًا لتريزا."

كانت النساء يأتين في مرتبة ثانية لدى الأنسة أرونديل؛ حيث احتل الرجال مرتبة أكثر أهمية في المجتمع.

تمت الأنسة لوسون بتأثر ظهر عليها: "أنا حزينة للغاية أن الأطفال الصغار لن يحضروا."

كانت تحب الأطفال، ولكنها لم تكن تستطيع التعامل معهم.

قالت الأنسة أرونديل: "أربعة زوار عدد كاف تمامًا. على أية حال، لقد أفسدت بيلا تربية أطفالها كثيرًا؛ لذلك فإنهم لا يحلمون أبدًا بالقيام بما يقال لهم."

تمتت ميني لوسون قائلة:

"السيدة تانيوس أم تكرر نفسها لرعاية أطفالها."

وافقتها الأنسة أرونديل الرأي بشدة:

"بيلا سيدة عظيمة."

تنهدت الأنسة لوسون وقالت:

"قطعًا، كان الأمر صعبًا عليها في بعض الأحيان — أن تعيش في مكان غريب مثل سميرنا."

ما دمت ترين ذلك، بالطبع هي كذلك، لن أرسل كاتربري ليلي طلباتك، سوف أعمل ذلك بنفسى يا أنسة أرونديل."

دار بوب وسبوت - كلب الجزار - حول بعضهما، فارتفع شعر رقبيتيهما وأصدرا أصواتاً خفيفة. كان سبوت كلباً سميناً من سلالة غير معروفة. كان يعرف أنه لا يجب أن يتشاجر مع كلاب الزبائن، ولكنه سمح لنفسه بأن يخبرهم - بإشارات خفية طبعاً - أن بإمكانه أن يصنع منهم لحمًا مفرومًا إن أراد أن يفعل ذلك.

ولكن بوب - الذي كان كلباً ذكياً - أجابه بالمثل.

قالت إميلي أرونديل: "بوب" بحدّة ثم واصلت طريقها.

في محل الخضراوات والفاكهة، كان لقاء السحاب؛ حيث التقت إميلي بعجوز أخرى، كروية الشكل، ولكنها تتمتع بالمسة الملكية نفسها، قالت لها:

"صباح الخير يا إميلي."

"صباح الخير يا كارولين."

قالت لها كارولين ببيودي:

"هل تنتظرين زيارة من أقاربك الشباب."

"نعم أنتظرهم جميعاً. أنتظر تريزا، وتشارلز وبيلا."

"إذن بيلا ستزورك؟ ماذا عن زوجها؟"

"نعم."

كان حواراً بسيطاً، ولكنه يعكس معرفة مشتركة بين السيدتين.

كانت بيلا ييجز - ابنة أخت إميلي أرونديل - متزوجة من رجل يوناني. وعائلة إميلي أرونديل كانوا جميعاً ملتزمين دينياً ولا يحبون الزواج من أشخاص يونانيين.

من باب التلطيف غير الصريح (فمثل هذه الأمور بالطبع لا يمكن التحدث عنها بصراحة) قالت الأنسة ببيودي:

"زوج بيلا يتمتع بعقل كبير، كما أن سلوكياته في التعامل ساحرة!"

وافقتها الأنسة أرونديل الرأي: "تصرفاته محبوبة".

فأجابتها إميلي أرونديل قائلة:

"لقد صنعت سيرها بيدها ويجب أن تنام عليه."

وبعدما استخدمت هذا التعبير الذي يعود لعصر الملكة فيكتوريا، أردفت قائلة:

"سوف أذهب إلى القرية الآن لكي أشتري طلبات العطلة الأسبوعية."

"أوه، أنسة أرونديل، دعيني أفعل ذلك. أعني..."

"مستحيل. أفضل أن أفعل ذلك بنفسى. روجر يحتاج إلى بعض الصرامة. مشكلتك يا ميني أنك لست حاسمة بالقدر الكافي. بوب! بوب! أين الكلب؟"

ظهر كلب صيد كثيف الشعر من فصيلة ترير ونزل درجات السلم، ثم أخذ يدور حول سيدته، مطلقاً أصواتاً متقطعة تنم عن السعادة والبهجة.

خرجت السيدة مع كلبها من الباب الأمامي ونزلت عبر الممر القصير إلى البوابة.

بينما وقفت الأنسة لوسون في المدخل تبتسم لهم بطريقة بلهاء، وهي فائقة فهمها. فصر من خلفها صوت قال بحدّة:

"أعطية الوسائد التي أعطيتني إياها ليست متماثلة."

"ماذا؟ يا لغباتي..."

وبسرعة دخلت ميني لوسون مرة أخرى المنزل لتتابع القيام بالأعمال المنزلية.

بينما اتجهت إميلي أرونديل بصحبة بوب، إلى الشارع الرئيسي في ماركيت بيسينج، وثمة شيء في مشيتها يجعلها تبدو كأنها ملكة.

كانت تسير بطريقة ملكية فعلاً - فقد كان أصحاب المتاجر التي دخلتها يسرعون إليها لكي يرحبوا بها ويعرفوا طلباتها.

إنها الأنسة أرونديل التي تعيش في منزل يتلجوين، واحدة "من أقدم عملائنا"، سليله عائلة عربية ليس لها مثيل هذه الأيام.

"صباح الخير يا أنسة. يسعدني أن ألبى طلباتك - قطعة غير طرية؟ يؤسفني ذلك. ظننتها قطعة جيدة من لحم ظهر الذبيحة - نعم طبعاً يا أنسة أرونديل،

وبينما كانت الأنسة بيبودي على وشك الخروج إلى الشارع سألت الأنسة أرونديل:

"متى ستتم خطبة تريزا إلى ذلك الشاب المدعو دونالدسون؟"

هزت الأنسة أرونديل كتفيها وقالت:

"أصبح الشباب غير ملتزمين بالعادات هذه الأيام. أخشى أن تكون خطبتهما قد طالت أكثر من اللازم - هذا لو كان هناك طائل منها؛ إنه لا يملك المال."

قالت الأنسة بيبودي: "ولكن تريزا لديها مالها الخاص بالطبع."

قالت الأنسة أرونديل بحسم:

"لا يمكن لرجل أن يسعد بالعيش على أموال زوجته."

أطلقت الأنسة بيبودي ضحكة من أعماقها.

"بيدو كأنهم لا يمانعون القيام بذلك هذه الأيام. لقد أصبحت أنا وأنت من زمن قديم يا إميلي. ما لا أفهمه هو ما تراه هذه الطفلة فيه، من بين كل الشباب لم تختار سوى هذا الرجل."

"إنه طبيب ماهر على ما أعتقد."

"هذا بسبب نظارته الأنفية وطريقته العملية في الكلام! في شبابي كنا نسميه شخصاً مسكيناً!"

توقفت قليلاً عن الكلام عندما استغرقت الأنسة بيبودي في ذكرياتها، وعادت للماضي فثارت بداخلها صور لشباب مفعمين بالحياة لهم سوانف طويلة...

قالت وهي تتندب:

"أرسلني ذلك الشاب المدعو تشارلز لرؤيتي - هذا إن أتى."

"طبعاً سأخبره."

ثم افترقت السيدتان.

كانتا تعرفان بعضهما منذ فترة طويلة للغاية تمتد لأكثر من خمسين عاماً. وكانت الأنسة بيبودي تعرف بعض الزلات المؤسفة في حياة الجنرال أرونديل والد إميلي؛ فقد كانت تعرف مدى الصدمة التي سببها زواج توماس أرونديل لأخواته، وكانت لديها فكرة قوية عن بعض المشكلات التي تتعلق بالجيل الأصغر.

والذين لم يحدث أن تحدثت السيدتان عن أي من هذه الموضوعات مع بعضهما. كانت كلتاها تحافظ على كرامة عائلتها، وتماسكها؛ فكانتا تتمتعان في الحديث في الشؤون العائلية.

سارت الأنسة أرونديل إلى منزلها، ويوب يهرول إلى جانبها برزاة. اعترفت إميلي أرونديل لنفسها بما لم تعترف به لأي شخص كأنها من كان، وهو عدم رعاها من الجيل الأصغر في عائلتها.

لأن تريزا على سبيل المثال، لم تكن لها سيطرة عليها منذ أن تسلمت الثانية أموالها الخاصة بمجرد أن بلغت الحادية والعشرين. ونظراً لأن سمعتها كانت سيئة إلى حد ما، فكثيراً ما كانت صورها تظهر في الصحف. كانت ترافق مجموعة من الشباب المرحين المنطلقين - مجموعة تقيم حفلات غريبة فنتهي بها الحال في محاكم الجنج بين الحين والآخر. ولم تكن إميلي أرونديل ترفض لأحد أفراد عائلتها مثل هذه السمعة. بل إنها في واقع الأمر كانت تعتبر على طريقة حياة تريزا لحد كبير. أما فيما يتعلق بخطبة الفتاة، فقد كانت مشاعرها مرتبكة بعض الشيء. فعلى الأرجح، لم تكن تعتبر دكتور دونالدسون مُحَدِّث النعمة مناسباً بالقدر الكافي ليناسب عائلة أرونديل. كما كانت تعرف أيضاً أن تريزا زوجة غير مناسبة على الإطلاق لطبيب يعمل في بلدة بعيدة الأمر الذي أثار انزعاجها.

لكنها عندما انتقلت بأفكارها إلى بيللا. لم يكن هناك عيب في بيللا. كانت سيدة طيبة، زوجة وأماً مخلصه - سلوكها مثالي - ولكنها مملّة للغاية ولكنها أيضاً لم تكن راضية تمام الرضا عن بيللا؛ فقد تزوجت من أجنبي - وليس أي أجنبي - بل يوناني أيضاً. كانت أفكار الأنسة أرونديل المتحيزة تجعلها ترى اليوناني لا يقل سوءاً عن الأرجنتيني أو التركي. حقيقة إن دكتور تانيوس كان ينافس بأخلاقيات ساحرة، وتمكنه التام من عمله جعلت السيدة العجوز تحاز إليه قلباً. كانت ترتاب من مجاملاته الساحرة والكثيرة. ولهذا السبب أيضاً وجدت صعوبة أيضاً في أن تتعلق بطفليهما؛ فقد كان كلاهما يشبه والدهما في المظهر، ولم تبد عليهما أية سمة من سمات الإنجليز.

ثم يأتي تشارلز...

نعم، تشارلز...

ليست هناك فائدة من إغماض عينيها عن الحقائق؛ فتشارلز رغم جاذبيته، ليس بالشخص الذي يؤتمن...
تتهدد إميلي أرونديل. شعرت بتعب وعجز واكتئاب مفاجئ...

توقعت أنها لن تصمد طويلاً في الحياة...
انتقلت بأفكارها تلقائياً إلى الوصية التي كتبها منذ بضع سنوات مضت.

ميراث للخدم - للجمعيات الخيرية - والجزء الأكبر من ثروتها يقسم بالتساوي بين أقاربها الثلاثة الذين لا يزالون على قيد الحياة...
إلا أنها شعرت بأنها فعلت عين الصواب والعدل. ولكنها تساءلت عما إذا كان من الممكن أن تؤمن نصيب بيلا من المال بحيث لا يمسه زوجها... يجب أن تستشير السيد بيرفيس في ذلك.

ثم سارت في اتجاه منزل ليتلجرين.
سافر تشارلز وتريزا بالسيارة، بينما سافرت عائلة تانيوس بالقطار.
وصل الأخ والأخت أولاً. قال تشارلز - الطويل حسن المظهر - بطريقة ساخرة بعض الشيء:

"مرحباً عمتي إميلي، كيف حالك يا فتاة؟ تبدين بخير."
اقترب منها وقبلها.

ثم تقدمت تريزا ووضعت خدها النضر غير المكترث على خد عمته الذابل.
"كيف حالك عمتي إميلي؟"

شعرت العمة بأن تريزا ليست في حالة جيدة؛ فقد بدا وجهها - رغم مساحيق التجميل التي كانت تضعها - شاحباً بعض الشيء، وكانت هناك تجاعيد حول عينيها.

احتسوا الشاي في غرفة المعيشة. حدثت بيلا تانيوس - ذات الشعر المبعثر في خصلات من تحت القبعة المسائرة للموضة، والتي وضعتها على رأسها بشكل معكوس - في ابنة خالها تريزا بشغف حزين؛ فقد كانت تريد أن ترتدي ملابس

عندما انتقلت المجموعة - بعد تناول الشاي - للتنزه في الحديقة، تمتع تشارلز محدثاً أخته:

"لوسون لا تحبني. هذا غريب أليس كذلك؟"
فقالت له تريزا باستهزاء:

"غريب للغاية. إذن هناك شخص بإمكانه الصمود أمام سحرك القاتل؟"
فابتسم تشارلز ابتسامة عريضة - ساخرة - وقال:

"من حسن الحظ أن لوسون فقط هي القادرة على ذلك..."
في الحديقة سارت الأنسة لوسون مع السيدة تانيوس وطرحت عليها بعض الأسئلة المتعلقة بالأطفال؛ فأضاء وجه بيلا تانيوس الباهت، بعدما شغلها هذا الحديث عن مراقبة تريزا. كانت تتحدث بشغف وحيوية.

وجدت ميني لوسون مستمعة متفهمة للغاية. وعلى الفور خرج إلى الحديقة شاب أشقر الشعر له وجه مهيب يرتدي نظارة. بدا محرّجاً بعض الشيء. حيثه الأنسة أرونديل بأدب.

قالت تريزا:

"مرحباً يا ريكس!"

شبكت ذراعها في ذراعه. وتجولاً معاً في الحديقة.

اعتذر منها، وتجول مع البستاني ليقول له كلمة، والذي كان صديقاً له من الأيام الخوالي. وعندما دخلت الأنسة أرونديل المنزل مرة أخرى، كان تشارلز يلعب مع بوب. وقف الكلب على أعلى درجات السلم، واضعاً الكرة في فمه، وهو يهز ذيله.

قال تشارلز: "هيا يا صديقي".

فأرجع بوب رأسه للخلف، ورفع الكرة على أنفه ببضع مقترناً من حافة السلم. ثم قفز على قدميه بحماسة كبيرة؛ فتدحرجت الكرة ببضع على درجات السلم. فأمسكها تشارلز وألقاها من جديد إليه، فأمسكها بوب بإتقان بضمه، وأعاد الكرة من جديد.

قال تشارلز: "لعبته المعتادة".

ابتسمت إميلي أرونديل وقالت له:

"يظل يلعبها لساعات".

سارت ناحية غرفة المعيشة فتبعها تشارلز. فنبج بوب بطريقة تنم عن خيبة أمله.

قال تشارلز وهو ينظر عبر النافذة:

"انظري إلى تريزا ورجلها الشاب. إنهما ثنائي غريب".

"هل تظن تريزا مهمة حقاً بذلك؟".

فقال تشارلز بثقة: "أوه، إنها مولعة به إلى حد الجنون. ذوق غريب، ولكن الوضع كذلك. أراه ينظر إليها وكأنها نموذج علمي غريب وليست امرأة على قيد الحياة. هذه النظرة جديدة للغاية على تريزا. من المؤسف أنه فقير؛ وتريزا تحب الأشياء الباهظة".

قالت الأنسة أرونديل بطريقة جافة:

"ليس لدي شك أن بإمكانها تغيير طريقة معيشتها؛ إن أرادت ذلك! وعلى أية حال لديها دخلها الخاص".

رمقتها تشارلز بنظرة اتهام وقال لها: "إيه؟ أوه طبعاً، طبعاً".

في ذلك المساء، عندما اجتمع الجميع في غرفة المعيشة في انتظار الذهاب للساوول العشاء، سمع الحضور صوت حركة سريعة ولعب على درجات السلم، ثم دخل تشارلز الغرفة ووجهه محمر بعض الشيء.

"أسف عمتي! ميلي، هل تأخرت؟ كليك كاد أن يوقعني من على السلم، وفي النهاية ترك الكرة أعلى السلم".

صاحت الأنسة لوسون، وهي تحني نحو بوب قائلة: "كلب صغير طائش".

نظر إليها بوب بازدراء وأشاح بوجهه عنها.

قالت الأنسة أرونديل: "أعرف. هذا الأمر غاية في الخطورة، اذهبي يا ميني وأحضري الكرة وأبعديها عن السلم".

أسرعت الأنسة لوسون بالخروج من الغرفة.

ظل دكتور تانيوس يتحدث على طاولة العشاء أغلب الوقت. أخذ يقص حكاياته المسلية عن حياته في سмирنا.

انتهى الاجتماع بسرعة، واتجه كل فرد إلى سريره مبكراً. كانت الأنسة لوسون تضع وشاحاً من الصوف وتحمل نظارة، وحقية كبيرة من القطيفة وكتاباً، وتسير مع صاحبة المنزل إلى غرفة نومها وهما يتجادبان أطراف الحديث بسعادة.

"دكتور تانيوس ظريف للغاية. صحبته رائعة! أنا شخصياً لا أهتم بمثل هذه الحياة... يجب على المرء أن يغلي الماء كما أظن... وربما لبن الماعز، الذي يكرهه بعض الناس".

قاطعتها الأنسة أرونديل بحدة وقالت لها:

"لا تكوني حمقاء يا ميني، هل أخبرت إلين بأن تتصل بي في السادسة والنصف؟".

"نعم يا أنسة أرونديل. طلبت منها ألا تعد الشاي، ولكن ألا تعتقدين أنه من الأفضل — لقد أخبرني رجل الدين في ساوثبريدج؛ وهو معروف باستقامته وورعه الشديد — بأنه ليست بك حاجة لأن تلزمني نفسك بالذهاب صائمة —".

مرة أخرى قاطعتها الأنسة أرونديل.

"لم أذهب إلى دار العبادة وأنا مفطرة من قبل ولن أفعل الآن. بإمكانك أن تفعلني ما يحلو لك".

"أوه، لا — لم أعن — أنا واثقة —".

انزعجت الأنسة لوسون وغضبت كثيراً.

قالت الأنسة أرونديل: "أخلمي طوق بوب".

أسرعت الخادمة بإطاعة الأمر.

وهي لا تزال تحاول إرضاءها قالت:

"كانت أمسية رائعة. بدا الجميع سعيداً بوجوده هنا".

قالت إميلي أرونديل: "أصمتي، الجميع جاء ليحصل على ما يمكنه الحصول عليه".

"عزيزتي الأنسة أرونديل —".

"ميني المسكينة، أنا لست مغفلة أبداً! ولكنني أتساءل عمن سيفتح الموضوع أولاً".

لم تُترك لحيرتها لفترة طويلة، فبعدما عادت مع الأنسة لوسون من دار العبادة بعد الساعة التاسعة، كان دكتور تانيوس وزوجته في غرفة العشاء، ولم تكن هناك علامات على وجود أقاربها. وبعد الإفطار، بعدما غادر البقية، جلست الأنسة أرونديل وأخذت تسجل بعض الحسابات في كتاب صغير.

دخل تشارلز الغرفة في العاشرة تقريباً.

"أسف على تأخري يا عمتي، ولكن تريزا في حالة سيئة، لم يغمض لها جفن بعد".

قالت الأنسة أرونديل: "في العاشرة والنصف سوف يُرفع الإفطار. أعرف أن عدم الاكتراث بالخدم أمر شائع اليوم، ولكن الوضع ليس كذلك في منزلي".

"جيد، هذه هي الروح التي نحتاج إليها".

لمالك تشارلز أعصابه وجلس بالقرب منها.

كانت ابتسامته العريضة، كالعادة، جذابة للغاية؛ فوجدت إميلي أرونديل نفسها تبتسم له بتسامح رغماً عنها. فاستجمع شجاعته بعدما رأى حبها له، واقترب منها وقال لها:

"اسمعي يا عمتي، أنا أسف على إزعاجك، ولكنني أواجه مشكلة عويصة. هل بإمكانك أن تساعدني في الخروج منها؟ مائة جنيه تضي بالغرض".

لم يشجعه التعبير الذي ارتسم على وجه عمته؛ فقد ارتسمت على وجهها جدية شديدة.

لم تخش إميلي أرونديل أن تفصح عما في خلدتها؛ فصرحت به على الفور.

أسرعت الأنسة لوسون باقتحام الغرفة تقريباً وقت مغادرة تشارلز غرفة الطعام. نظرت إليه بفضول، ثم دخلت غرفة الطعام فوجدت الأنسة أرونديل تجلس في وضع مستقيم ووجهها محمر.

السياب بالإحباط. فلا شيء لديها تقدمه لهم سوى العاطفة - وليس قدرًا كبيرًا منها أيضًا".

قالت تريزا بجفاء: "كان الأجدر بك أن تنتظر قليلًا".

هايتسم تشارلز ابتسامة عريضة مرة أخرى وقال:

"خشيت أن تسبقيني أو تسبقني عائلة تانيوس. أنا خائف للغاية، تريزا يا هيتشي، ليس باليد حيلة هذه المرة؛ فإميلي العجوز ليست مغفلة أبدًا".

"لم أشك يومًا في ذلك".

"حتى إنني حاولت أن أثير خوفها".

سأله أخته بحدة: "ماذا تعني؟".

"قلت لها إنها تستحق أن تضرب بالرصاص. كما أنه سوف تفعل عاجلاً أم آجلاً. فليس بإمكانها أن تأخذ نقودها معها بعد وفاتها. فلماذا لا تفك الكيس هارولد؟".

"تشارلز، أنت أحمق!".

"لا، لست كذلك، ولكنني أتبع الطريقة التي يتبعها علماء النفس. ليس من المفيد أن أتملق عجوزًا. ولكنها تفضل أن تتحديها. وعلى كل حال، كان كلامي ماملاً تمامًا. سوف تحصل على المال بعد وفاتها - فلماذا لا تعطينا القليل منه قبل ذلك؟ وإلا سيكون إغراء مساعدتها على الخروج من الدنيا قوي للغاية".

سأله تريزا وعلى وجهها ازدراء واضح: "وهل فهمت مقصدي؟".

"لست واثقًا من ذلك، لم تعترف بذلك بصراحة. ولكنها شكرتني على نصيحتي وقالت إنها "قادرة تمامًا على العناية بنفسها". قلت لها: "حسنًا، لقد صدرك". فقالت لي: "سوف أتذكر ذلك".

قالت تريزا بغضب:

"حقًا يا تشارلز، أنت غاية في حماقة".

"لها لكل ذلك يا تريزا. لقد كنت في حالة يرثى لها! لديها الكثير من المال، أموال لا حصر لها ولا عدد. أراهن أنها لا تنفق فلسًا من دخلها. على ماذا ستنفق كل هذا المال، على أية حال؟ وما نحن، شباب قادرين على الاستمتاع بالحياة،

الثاني

الأقارب

ركض تشارلز بخفة صاعدًا درجات السلم وقرع باب غرفة أخته، فقالت له على الفور: "ادخل"، فدخل غرفتها.

كانت تريزا تجلس على السرير وهي تتنأب.

فجلس تشارلز على كرسي مجاور لسريرها.

قال لها باستحسان: "كم تحبين الزينة يا تريزا؟".

فقالت له تريزا بحدة:

"ما الخطب؟"، فكشر تشارلز عن أنيابه.

"أنت حادة الطباع. حسنًا ولكنني سبقتك يا فتاتي! فكرت أن أترك بصمتي قبل أن تبدئي في عملي".

"وبعد؟".

أشاح تشارلز بيده للأسفل في إنكار.

"لا شيء! لقد أغضبني العمدة إميلي كثيرًا. أفصح لي أنها لم تنخدع كثيرًا في سبب تجمع عائلتها العزيزة حولها! كما صرحت لي بأن عائلتها المحبة سوف

ولكنها قادرة أن تعيش حتى مائة عام غيظًا ونكاية فينا... أريد أن أستمتع الآن... وأنت أيضًا كذلك..."

أومأت تريزا برأسها، وقالت بصوت منقطع الأنفاس:

"إنهم لا يفهمون، كبار السن لا يفهمون... لا يمكنهم... لا يعرفون معنى أن تعيش..."

لزم الأخ وأخته الصمت بضعة لحظات.

ثم نهض تشارلز من مكانه.

"حسنًا يا حبيبتي، أتمنى لك نجاحًا أكبر مما حققته. ولكنني أشك في ذلك" قالت تريزا:

"أنا أتعلم على ريكس في القيام بذلك. إذا استطعت أن أجعل إميلي العجوز تعرف مدى ذكائه، وكم أنه من المهم أن يحظى بفرصته، وأنا يفرق في العمل كطبيب عام... أوه يا تشارلز، بضعة آلاف من رأس مالها في هذا الوقت سوف يحدث كل الفارق في حياتنا!"

"أمل أن تحصلي عليها، ولكنني لا أظنك ستنجحين. لقد بذرت الكثير من المال في طريقة حياتك المترفة يا تريزا. هل تعتقدين أن بيلا الكنيبة وتانيوس المريـب سوف يحصلان على أي شيء؟"

"لا أظن أن المال سوف ينفع بيلا بأي حال. إنها تبدو مثل سلة مهملات كما أن ذوقها ريفي للغاية."

قال تشارلز: "أوه، حسنًا، أظن أنها تريدها لأطفالها الممـلين، ومصاريف مدارسهم، وتقويم أسنانهم ودروس الموسيقى. وعلى أية حال، لن تحصل بيلا على المال، وإنما تانيوس. أراهن أنه يشم رائحة المال من على بعد! اليونانيون بارعون في ذلك. أتعرفين أنه حصل على أغلب أموال بيلا؟ ثم ضارب بها وخسرها كلها."

"هل تعتقد أنه سوف يحصل على شيء من إميلي العجوز؟"

قال تشارلز، بقسوة شديدة: "لن يفعل لو استطعت منعه."

بالحذر الغرفة وأخذ جولة في الطابق السفلي. كان بوب في الردهة، فقفز فرحًا روية تشارلز. كانت الكلاب تحب تشارلز.

ركض ناحية باب غرفة المعيشة، ثم نظر إلى الخلف ناحية تشارلز.

قال تشارلز، وهو يتبعه: "ما الخطب؟"

أسرع بوب بدخول غرفة المعيشة وجلس بالقرب من مكتب صغير منتظرًا أن يراه تشارلز.

فصار تشارلز خلفه وهو يقول:

"ماذا تريد أن تقول؟"

مر بوب ذيله، ونظر جيدًا إلى أدراج المكتب ثم نبج وكأنه يرجوه.

"أريد شيئًا من هنا؟"

فتح تشارلز الدرج العلوي فرقع حاجبيه.

قال: "يا الله، يا الله."

في أحد جوانب الدرج كانت هناك كومة صغيرة من المال.

أمسك تشارلز بحزمة النقود وعدّها. فابتسم ابتسامة عريضة وأخذ ثلاث ورقات بمائة جنيه وورقتين بعشر شلنات ووضعها في جيبه، ثم أعاد بقية الأموال في الدرج بعناية حيث وجدها بالضبط.

قال له: "كانت فكرة طيبة يا بوب. سوف يتمكن عمك تشارلز من تغطية مصاريفه بأي ثمن. القليل من النقود السائلة دائمًا ما يفي بالغرض."

نبج بوب بصوت ضعيف وكأنه يويخ تشارلز عندما أغلق الدرج.

استدّر تشارلز له وقال: "أسف يا صديقي"، ثم فتح الدرج الثاني، فوجد كرة بوب في زاوية الدرج، فأخرجها منه.

"ها هي، استمتع بها". أمسك بوب الكرة بقمه على الفور، وخرج بها من الغرفة وهو يقفز مرة تلو الأخرى حتى نزل درجات السلم.

اجول تشارلز في الحديقة. كان صباحًا مشمسًا تفوح منه رائحة أزهار الليمك.

كانت الأنسة أرونديل تجلس بجوار دكتور تانيوس، الذي كان يتحدث عن

مزايا التعليم الإنجليزي، وأنه تعليم جيد للأطفال، وكم ندم أنه لم يتمكن من تحمل نفقات هذه الرفاهية وتقديمها لأطفاله.

ابتسم تشارلز ابتسامة شريرة. ثم اشترك في الحديث بطريقة ما، فقاد ببراعة لموضوعات مختلفة تماماً.

ابتسم إميلي أرونديل إليه بإعجاب، لدرجة أنه تخيل أنها انبهرت بتخطيطه، وأنها تشجعه عليه في الخفاء.

ارتفعت معنويات تشارلز، فربما يحصل على ما يريد قبل مغادرته.

كان تشارلز متفائلاً لأبعد درجة.

نادى دكتور دونالدسون تريزا من سيارته بعد الظهيرة وقادها إلى وردي أبي - أحد مراكز التجميل. فسارا بعيداً عن المركز نفسه إلى الغابات.

وهناك استفاض ريكس دونالدسون في شرح نظرياته إلى تريزا، وبعض تجاربه التي أجراها مؤخراً. لم تفهم الكثير من كلامه، ولكنها استمعت له بطريقة تنم عن الإعجاب وهي تقول في نفسها:

"كم أنت ذكي يا ريكس، وكم أنت مثير للإعجاب أيضاً!"

توقف خطيبها فجأة وقال بريبة:

"أخشى أن تكون هذه الموضوعات مملة بالنسبة لك يا تريزا".

قالت تريزا بحسم: "إنها موضوعات مثيرة للغاية يا عزيزي". تابع كلامك. أخذت عينة دم من أرناب مصاب؟"

قالت تريزا على الفور وهي تتنهد:

"عملك يعني الكثير لك يا عزيزي".

قال دكتور دونالدسون: "هذا طبيعي".

لم يُبدِ الأمر طبعياً على الإطلاق بالنسبة لـ تريزا؛ فعدد قليل للغاية من أصدقائها يعملون أساساً، وإذا فعلوا فإنهم يختلقون صعوبة لا مجال لها.

فكرت، كما فعلت مرة أو مرتين من قبل، أنه من غير الملائم أبداً أن تقع في حب ريكس دونالدسون. لماذا يمر المرء بمثل لحظات الجنون تلك؟ سؤال لا مثال منه. لقد حدث ذلك معها.

هست، وتجنبت من نفسها. الأصدقاء الذين تلازمهم سعداء وساخرون. بالطبع العلاقات العاطفية ضرورية للحياة، ولكن لماذا تتعامل معهم بكل هذه الجدية - تحب أحدهم ثم تنساه؟

ولكن المشاعر التي راودتها تجاه ريكس دونالدسون كانت مختلفة؛ فقد كانت أعمق كثيراً. شعرت بغريزتها بأنه لا سبيل لنسيانها... كانت حاجتها إليه بسيطة وعميقة. كل شيء فيه يبهرها. هذوؤه وشخصيته المستقلة، مختلفان تماماً عن حياتها المحمومة والجشعة، بالإضافة إلى وضوحه ومنطقه وتفكيره العاقل. وهناك شيء آخر غير مفهوم تماماً، وهو قوة سرية في الرجل تختفي وراء طريقته المتحذلة المتواضعة، والتي كانت تستشعرها رغم ذلك بغريزتها. كان ريكس دونالدسون عبقرياً، وحقيقة أن مهنته كانت شغله الشاغل في الحياة، وأنها كانت مجرد جزء - رغم أنه جزء مهم - من حياته زاد انجذابها إليه. وجدت نفسها للمرة الأولى في حياتها الأنانية المحبة للمتعة راضية بأن تحتل المكانة الثانية. كانت مبهورة به، ومستعدة للقيام بأي شيء من أجله - أي شيء!

قالت بعنف: "اللعة على المال. فقط لو ماتت العمه إميلي، لتمكننا من الزواج على الفور، وسوف تتمكن من القدوم إلى لندن وتفتح معملًا مليئًا بأنابيب الاختبار وفتران التجارب، ولَمَّا شغلت نفسك بأطفال مصابين بالعدوى النكافية وبيدات مسنات يعانين أمراض الكبد".

قال دونالدسون:

"ليس هناك سبب يمنع عمك من عيش سنوات عديدة آتية - إذا اعتنت بنفسها".

قالت تريزا بياس:

"أعرف ذلك".

في غرفة النوم المزدوجة الكبيرة، التي تحتوي على أثاث قديم الطراز مصنوع من خشب البلوط، قال دكتور تانيوس لزوجته:

"أعتقد أنني رتبت الأمور بالقدر الكافي. حان دورك الآن يا عزيزتي".

كان يسكب الماء من العبوة القديمة المصنوعة من النحاس في زهرية الورود المصنوعة من الخزف الصيني.

جلست بيلا تانيوس أمام المزيّنة تتساءل عن السبب الذي يجعلها لا تبدو مثل تريزا عندما تمشط شعرها مثلما تفعل تريزا!

مرت لحظة قبل أن تجيب ثم قالت:

"لا أعتقد أنني أريد ... أن أطلب ما لا من عمتي إميلي".

"إنها ليست من أجلك يا بيلا، وإنما من أجل الأطفال؛ فاستثمارنا كان حظها عاتراً للغاية".

ثم استدار للخلف، ولم ير النظرة السريعة التي رمقته بها، كانت نظرة مختلصة تنم عن ضيقها به.

قالت بعناد جامح:

"الوضع واحد، أعتقد أنني أفضل ألا أفعل، عمتي إميلي صعبة كثيراً. قد تكون كريمة ولكنها لا تحب أن يطلب منها الناس ما لا". قال لها تانيوس وهو يجف يديه بعد غسلهما.

"حقاً يا بيلا، ليس من عادتك أن تكوني بمثل هذا العناد. وعلى كل لماذا جئت إلى هنا في المقام الأول؟".

تمتت قائلة:

"لم أفعل ... لم أقصد ذلك ... لم آت لطلب المال ...".

"ولكنك توافقيني أن الأمل الوحيد لكي نعلم أطفالنا تعليماً جيداً هو عمك".

لم تجب بيلا تانيوس، ولكنها تحركت بتململ.

ولكن وجهها عكس نظرة عناد شديد يعرفها كثير من أزواج الزوجات الغيبيات.

قالت له:

"لعل عمتي إميلي نفسها تقترح ...".

"هذا ممكن، ولكنني لم أر أي علامة لذلك حتى الآن".

قالت بيلا:

"فقط لو استطعنا أن نحضر معنا الأطفال؛ قطعاً كانت عمتي إميلي ستحب ماري، كما أن إدوارد غاية في الذكاء".

قال تانيوس بجفاء:

"لا أعتقد أن عمك تحب الأطفال كثيراً، وأظن أنه من الأفضل أننا لم نمضر الأطفال هنا".

"أوه، جاكوب ولكن ...".

"نعم، نعم يا عزيزتي، أعرف مشاعرك. ولكن العوانس الإنجليزيات يتسمن الغاطلة، لسن بشراً. ونحن نريد أن نفعل أفضل ما يمكننا عمله، من أجل ماري وإدوارد، ومساعدتنا قليلاً لا تتضمن أي صعوبة للأنسة أرونديل".

أشاحت السيدة تانيوس بوجهها بعدما احمرت وجنتاها.

"أوه، من فضلك، من فضلك يا جاكوب، ليس هذه المرة. أنا واثقة بأنه ليس من الحكمة أن نفعل ذلك. أنا أفضل ألا نفعل ذلك".

وقف تانيوس بالقرب منها وطوقها بذراعيه، فارتجفت قليلاً، ثم تسمرت في مكانها ... وكأنها تحجرت.

قال لها بصوت لا يزال يحمل السرور:

"رغم ذلك، أعتقد، أعتقد أنك ستفعلين ما أطلبه منك يا بيلا ... عادة ما نعلم ذلك، تعرفين أنك تفعلين في النهاية ... نعم، أعتقد أنك سوف تفعلين ما أطلبه منك ...".

هذه الزيارة أي شيء جديد لم تكن تعرفه من قبل. ولكنها سعدت بحقيقة أنها لم تسمح لنفسها بأن تنسى ما تعرفه عنهم.
قالت لنفسها:

"إنني أكبر في السن..."، وفجأة وبشيء من الدهشة قالت: "لقد صرت عجوزاً..."

استلقت وأغمضت عينيها لنصف ساعة، ثم جاءت الخادمة العجوز إلين وأحضرت ماءً ساخناً ووقفت واستعدت للعشاء.

كان من المفترض أن يتناول الدكتور دونالدسون طعام العشاء معهم في تلك الليلة؛ فإميلي أرونديل كانت تريد أن تحظى بفرصة دراسته عن كثب؛ فقد كانت لا تصدق أن تريزا الغربية سوف ترغب في الزواج من هذا الرجل الجامد شديد العقلانية. كما بدا لها غريباً أيضاً أن يرغب هذا الرجل الجامد والعقلاني في الزواج من تريزا.

ومع تقدم الساعات وحلول المساء لم تشعر بأنها سوف تعرف المزيد عن الدكتور دونالدسون. كان مهذباً للغاية، رسمياً للغاية، ولكنها وجدت مملًا للغاية في حديثه العقلاني. كانت توافق الأنسة بيبودي في حكمها عليه. خطرت الفكرة على بالها: "كان الشباب أفضل في أيامنا".

لم يمكث الدكتور دونالدسون طويلاً؛ فنهض في تمام الساعة العاشرة معلناً رغبته في الرحيل، فأعلنت الأنسة أرونديل أنها سوف تذهب لتنام. صعدت درجات السلم وصعد أقاربها الشباب للطابق العلوي أيضاً. بدا الجميع صامتاً بعض الشيء هذه الليلة. بينما بقيت الأنسة لوسون في الطابق السفلي تؤدي واجباتها الأخيرة، وأطلقت بوب ليحظى بمتعته، وأخمدت نار المدفأة؛ حيث رفعت موصل الحرارة لأعلى، وقلبت أرض المدفأة لتخمد النار ولا تشتعل أكثر.

دخلت منقطة الأنفاس تقريباً إلى غرفة سيدتها بعد حوالي خمس دقائق.

قالت وهي تخلع وشاحها الصوفي، وتضع حقيبة أدوات الحياكة، وكتاباً؛ "أعتقد أنني انتهيت من كل شيء. وأتأكد أن أكون قد أحضرت الكتاب الصحيح؛ فلم يكن هناك أي من الكتب الموجودة في قائمتك، ولكنها قالت إنها وثيقة أن هذا الكتاب سينال استحسانك".

الثالث

الحادث

في ظهيرة يوم الثلاثاء، كان الباب الجانبي المفضي إلى الحديقة مفتوحاً، وقد وقفت الأنسة أرونديل على عتبة الباب، وألقت كرة بوب إلى الحديقة، فأسرع الكلب بالركض خلفها.

قالت إميلي: "مرة أخرى فقط يا بوب. رمية جيدة".

تدحرجت الكرة مرة أخرى بسرعة في الحديقة وأسرع بوب راكضاً خلفها.

انحنبت الأنسة أرونديل والتقطت الكرة من المكان الذي وضعها بوب فيه أسفل قدميها ثم عادت إلى المنزل، وبوب يتبعها عن كثب. أغلقت الباب الجانبي، واتجهت إلى غرفة المعيشة، وبوب لا يزال في أعقابها، ثم وضعت الكرة في الدرج.

ألقت نظرة على الساعة الموجودة فوق الموقد. كانت الساعة السادسة والنصف.

"أعتقد أنني سأحصل على قليل من الراحة يا بوب".

صعدت درجات السلم المؤدية لغرفة نومها، وبوب يتبعها. فاستلقت على الأريكة المغطاة بقماش قطني واستلقى بوب أسفل قدميها، ثم تنهدت. كانت سعيدة أنه يوم الثلاثاء وأن أقاربها سوف يغادرون المنزل غداً. لم تكشف لها

قالت إميلي أرونديل: "هذه الفتاة حمقاء. ذوقها في الكتب أسوأ ما قرأت علم الإطلاق".

"أوه، عزيزتي، ربما كان الأجدر بي —"

قالت إميلي أرونديل بعطف: "هراء، هذا ليس ذنبك. أتمنى أن تكوني قد استمتعت بعد ظهرية اليوم".

أضاء وجه الأنسة لوسون، وبدت متحمسة، بل بدت كأنها عادت شابة من جديد.

"أوه، نعم، شكراً جزيلاً. لطف بالغ منك أن تأذني لي بالذهاب. لقد حظيت بوقت ممتع للغاية. أحضرنا آلة الكتابة وكتبنا حقاً أموراً مثيرة للغاية؛ فقد كتبت عدة رسائل... طبعاً الوضع يختلف قليلاً عن جلسات استحضار الأرواح كما حققت جوليا تريب نجاحاً كبيراً في الكتابة التلقائية. تلقينا رسائل عديدة ممن قضاوا نحبهم. أشعر بامتنان شديد؛ لإمكانية حدوث مثل هذه الأمور..."

قالت الأنسة أرونديل وعلى وجهها ابتسامة خفيفة:

"من الأفضل ألا يسمع رجل الدين ما تقولين".

"أوه، ولكن حقاً يا آنسة أرونديل، أنا مقتنعة، مقتنعة تماماً، أنه ليس هناك شيء خاطئ في ذلك. كل ما أريده هو أن يفحص السيد لوزديل الشخص الخاضع لجلسة. أشعر بأنه من ضيق الأفق أن ندين مثل هذا الأمر دون حتى التحقق منه. جوليا وإزابيل تريب وسيطتان روحيتان متميزتان".

قالت الأنسة أرونديل: "روحيتان للغاية، وكأنهما من العالم الآخر".

لم تكن تهتم كثيراً بجوليا وإزابيل تريب. كانت تجد ملاسهما سخيفة ووجباتهما النباتية غير المطهورة مثيرة للسخرية، وطريقتهما مصطنعة. لم تكن لديهما تقاليد، أو جذور. في الواقع، لم تحظيا بأي تربية! ولكنها كانت تستمتع بجديتهما في التعامل مع ما يحدث، كانت طيبة القلب؛ فكانت لا تحب أن تفسد على ميني المسكينة المتعة الواضحة التي تجنيها من مصادقتها لهما. ميني المسكينة! نظرت إميلي أرونديل إلى صديقتها بعطف يشوبه ازدراء. لقد عاشت مع الكثير والكثير من أولئك السيدات الحمقاوات في منتصف العمر

اللاتي كن يلبن احتياجاتها، جميعهن يتمتعن بنفس العقلية الطبية المهمة الغامض، المذمنة، وكلهن تقريباً لا عقل لهن.

كانت ميني المسكينة تبدو متحمسة كثيراً الليلة. كانت عيناها تلمعان. أخذت الحرك في الغرفة جيئة وذهاباً وهي تمس شيئاً هنا وهناك دون أن تكون لديها أدنى فكرة عما تفعله، وعيناها مضئتان ولا معتان.

لانات على نحو يعكس التوتر قائلة:

"أنا أتمنى أن تذهبي إلى هناك... أشعر — بأنك لست مؤمنة بعد. ولكن كانت الرسالة الليلة موجهة إليّ، أ، فكانت الأحرف الأولى تتطابق معك تماماً. أعانت من رجل توفي منذ سنوات عديدة مضت. رجل عسكري وسيم للغاية. افد، رآته إيزابيل بشكل واضح. قطعاً كان الجنرال أرونديل. تلك الرسالة الجميلة، هائلة بالحب والراحة، وكيف أنه من الممكن تحقيق كل شيء من خلال الصبر".

قالت الأنسة أرونديل: "هذه العواطف أبعد ما تكون عن والدي".

"أوه، ولكن أحباءنا يتغيرون، في الحياة الأخرى. المهم هو الحب والتفاهم. ما كتبت آلة الكتابة شيئاً عن مفتاح. أظنه مفتاح دولاب الفضيات. هل من الممكن أن يكون كذلك؟"

بدا صوت إميلي أرونديل حاداً ومهتماً: "مفتاح دولاب الفضيات؟"

"أعتقد أنه كان كذلك. لعلها أوراق مهمة. شيء من هذا القبيل. ففي حالة وثيقة بُعثت رسالة تطلب البحث في قطعة معينة من الأثاث، وتم العثور على وصية فيها".

قالت الأنسة أرونديل: "لم تكن هناك وصية في دولاب الفضيات". ثم أرذفت بسرعة تقول: "أذهبي لسيريك يا ميني، أنت متعبة. وأنا كذلك. سوف نطلب من السيدتين الإقامة ليلة لدينا عما قريب".

"أوه، سيكون هذا رائعاً! تصبحين على خير. أواثقة بأنك لا تحتاجين إلى أي شيء؟ أمل ألا تكوني متعبة من وجود عدد كبير من الناس هنا. يجب أن أغير الإين أن تهوي غرفة المعيشة جيداً في الغد، وأن تغسل الستائر؛ فرائحة السجائر عبات المكان، يجب أن أقول إن طبيبتك جعلتكِ تسمحين لهن بالتدخين في غرفة المعيشة".

قالت إميلي أرونديل: "يجب أن أقدم بعض التنازلات لأساير العصر تصحيح على خير يا ميني".

عندما غادرت السيدة الغرفة، تساءلت إميلي أرونديل في نفسها عما إذا كان هذه الأعمال الروحية مناسبة حقاً لميني. كانت عيناها جاحظتين من وجهه وبدت متعبة ومنفعلة للغاية.

عندما استلقت إميلي على سريرها، فكرت في مسألة البوفيه فوجدتها غريبة ابتمت ابتساماً عريضة عندما تذكرت المنظر منذ فترة طويلة. المفتاح الذي ظهر للنور بعد وفاة والدها، ومجموعة الزجاجات الفارغة التي سقطت من الدولاب عند فتحه! إنها مسألة بسيطة كهذه، أشياء لم تعرف عنها ميني لوسر ولا إزابيل وجوليا تريب أي شيء، الأمر الذي جعلها تتساءل قليلاً، فعلى كل، لا يكن هناك شيء في هذه الجلسة الروحية...

ظلت مستيقظة على سريرها الكبير الذي تحيط به أربعة أعمدة عاجزة عن النوم. كانت تجد صعوبة متزايدة في النوم هذه الأيام. ولكنها ازدرت اقتراح الدكتور جرينجر بأن تتناول عقاراً يساعدها على النوم، فالمنومات توصف للضعاف، الأشخاص الذين لا يتحملون أبسط ألم، أو حتى وجع أسنان بسيطاً، أو الملل الذي تسببه ليالي الأرق.

كانت كثيراً ما تنهض وتتجول في المنزل دون أن تصدر أي ضوضاء، فتمسك بكتاب، أو تتحسس قطعة حلي، أو تعيد ترتيب الأزهار الموجودة في الزهرية، أو تكتب خطاباً أو اثنين. وكانت تشعر بالحيوية في المكان الذي تتجول فيه في منتصف الليل. لذلك لم تكن تكره هذه الجولات الليلية. كانت تشعر بأن الأشياء تسير إلى جوارها؛ أشباح إخوتها، أرابيلا، وماتلدا، وأجنس، وشبح روح أخيها توماس، صديقها العزيز قبل أن تسيطر عليه تلك المرأة؛ وحتى شبح الجنرال تشارلز لايفرتون أرونديل، ذلك المستبد الذي يصرخ في بناته ويستأسد عليهن، ويتمتع في الوقت نفسه بطريقة ساحرة. كان مصدر فخر لهم بتجاربه الكثيرة مع الثورة الهندية ومعرفته بالعالم. ماذا لو عاش بينهم وهو "ليس على خير ما يرام"، كما كانت بناته يقلن وهن يتحاشين ذلك؟

لحول عقلها إلى خطيب ابنة أختها. قالت الأنسة أرونديل في نفسها: لا أعتقد أنه سيحتسي الشراب أبداً! يسمي نفسه خبيراً ولا يشرب سوى ماء الدمبر، ماء شعيراً".

لشارلز يحسن الاختيار. أوه، فقط لو كان يؤتمن. فقط لو كان يعرف أنها

القطع جبل أفكارها... وطافت أفكارها حول أحداث عطلة نهاية الأسبوع... بدا كل شيء مقلقاً لسبب غامض...

حاولت أن تطرد الأفكار التي تقلقها من رأسها، ولكن دون فائدة.

رفعت نفسها متكئة على مرفقها، وفي ضوء الليل الخافت الذي كان يحترق يوماً في صحن فنجان كالعادة، نظرت إلى الساعة.

نهضت من السرير، وارتدت الخف والروبو، وقررت أن تنزل إلى الطابق السفلي وتطمئن أن الكتب الأسبوعية جاهزة لقراءتها صباح اليوم التالي.

نسلت من غرفتها وكأنها شبح، وسارت في الردهة؛ حيث كان هناك مصباح كهربائي صغير يظل مضاً طوال الليل. وصلت إلى أعلى السلم، ومدت يدها إلى عمود الدرابزين، ثم تعثرت لسبب غير مفهوم وحاولت أن تستعيد توازنها، ولكنها هبطت فسقطت بسرعة على السلالم.

أيقظ صوت سقوطها، والصرخة التي أطلقتها، سكان المنزل النائمين. فافتحت الأبواب، وأضيئت الأنوار.

خرجت الأنسة لوسون بسرعة من غرفتها ووصلت لأعلى السلالم.

بعدما أطلقت صيحات قليلة تنم عن الألم نزلت السلالم، ثم نزل الآخرون واحداً تلو الآخر: تشارلز يتأبط بملايس نوم لامة. ونزلت تريزا ملفوفة في هيميص حريمي قائم، وأخيراً بيلا وهي ترتدي كيمونو أزرق قائم اللون، وفي شعرها أمشاط لتضبط تموجاتها.

كانت إميلي أرونديل مكومة على الأرض تشعر بالدوار وحائرة في الوفاء نفسه. كانت كتفها وكاحلها يؤلمانها كثيراً، كان جسمها بالكامل ينضج ألماً وكانت واعية تماماً للأشخاص الواقفين فوق رأسها: فقد رأت ميني لوسر الحمقاء وهي تصرخ وتصنع حركات بيديها لا جدوى منها، كما رأت نظير الذهول في عيني تريزا السوداءوين، وبيللا التي وقفت فاتحة فمها وكأنها تتردد ما سيحدث، وصوت تشارلز وهو يقول من مكان: يبدو بعيداً للغاية - "إنها كرة الكلب اللعينة! قطعاً تركها هناك فتعثرت بسببها وسقطت. أترون! إنها هناك!"

وبعد ذلك أدركت وجود شخص مهم يُبعد الآخرين، ويجثو على ركبتيه بجوارها، ويمسكها بيدين واثقتين تعرفان ما جرى.

انتابها إحساس بالراحة، سيكون كل شيء على ما يرام الآن.

قال الدكتور تانيوس بطريقة مطمئنة:

"لا، إنها بخير. لم تحدث أي كسور... مجرد خلخلة في المفاصل وكدمات ولكنها مصدومة بالطبع. قطعاً هي محظوظة للغاية أن الوضع لم يكن أكثر سوءاً."

ثم أبعد الآخرين قليلاً ورفعها بمنتهى السهولة وحملها إلى غرفة نومها، ثم وضعها على سريرها وأمسك معصمها الدقيقة، وهو يعد، ثم أومأ برأسه، وأخرى ميني (التي كانت لا تزال تبكي وتحدث الكثير من الضوضاء) من الغرفة لتحضر شرباً وتسخن بعض الماء وتضعه في زجاجة.

وسط كثير من الحيرة والذهول والألم، شعرت إميلي بامتنان شديد لجاكوب تانيوس. راحة الشعور بأنها في أيد أمينة. لقد منحها إحساساً بالطمأنينة، بالثقة، تلك التي ينبغي للطبيب أن يمنحها لمريضه.

كان هناك شيء، شيء لم تستطع تحديده بالضبط، شيء مقلق تسبب غريب ولكنها لن تفكر فيه الآن. سوف تشرب ذلك الدواء الآن وتخلد للنوم كما نصحتها الطبيبة.

ولكن طبعاً كان هناك شيء مفقود - شخص.

أوه، حسناً، لن تفكر... كتفها تؤلمها كثيراً، احتست ما أعطاه لها الطبيب.

سمعت الدكتور تانيوس يقول، بصوت طمأنها كثيراً: "ستكون بخير الآن".

هاجمضت عينيها.

استيقظت على صوت تعرفه - نباح رقيق منخفض.

هاستيقظت خلال دقيقة.

بوب، بوب المشاغبا! كان ينبع خارج الباب الأمامي، ينبع "في الخارج طوال الليل خجلاً من نفسه"، بأدلاً أقصى جهده لكسب رضاها دون طائل.

مدت إميلي أرونديل أذنيها. آه، هذا جيد. سمعت ميني تنزل إليه وتدخله. سمعت سرير فتح الباب الأمامي، وتمتمة حائرة منخفضة الصوت - وتوبيخ أليس غير المجدي: "كلب صغير سيئ، كلب سيئ للغاية". سمعت صوت فتح باب غرفة المؤن. كان سرير بوب تحت طاولة غرفة المؤن.

وهي تلك اللحظة أدركت إميلي ما كانت تستشعره لحظة الحادث الذي مرت به. كان بوب. كل تلك الفوضى - سقوطها، وركض الناس - كان من الطبيعي أن يستجيب بوب بنباح متصاعد من داخل غرفة المؤن.

إذن هذا هو ما كان يشغلها ويدور في عقلها الباطن. وضع كل شيء الآن، بوب، الذي أخرجه أحدهم الليلة الماضية، خرج وأخذ يلهو بكرته. وهو يسقط في هذه الزلازل من حين لآخر، ولكن من المستحيل أن تنتظر منه أكثر من بعض الامتداد.

كل هذا لا بأس به. ولكن ماذا كان ذلك؟ ما الذي كان يشغلها أيضاً ويدور في فمها - الحادث الذي ألم بها، أو شيء متعلق به.

آه، صحيح، قال شخص ما - لعله تشارلز - إنها انزلت على كرة بوب التي ارتكها أعلى السلالم.

كانت الكرة هناك! أمسكها ورفعها بيده...

أسيت إميلي أرونديل بالصداع. رجف قلبها، وشعرت بألم شديد في كل أنحاء جسمها.

ولكن وسط معاناتها كان عقلها صافياً ونيراً. لم تعد حائرة من هول الصدمة. كانت الصورة واضحة تماماً لها.

فكرت بسرعة في كل الأحداث التي وقعت منذ الساعة السادسة مساءً... تذكرت كل خطوة... حتى وصلت للحظة وصولها إلى أعلى السلالم حيث بدأت في السقوط...

أطلقت صرخة رعب تنم عن الشك...

بالطبع، بالطبع، هي مخطئة... كثيرًا ما ينتاب المرء رؤية غريبة بعد مثل الحادث الذي مرّ به. حاولت بكل جهدها - أن تتذكر إحساسها باستدارة كرة بوب تحت قدميها...

ولكنها لم تتذكر أي شيء من هذا القبيل.

بدلاً من ذلك —

قالت إميلي أرونديل: "مجرد أوهام. أوهام سخيّة".

ولكن عقلها المنطقي، الذكي، المتحذلق لم يعترف بذلك للحظة. لم يكن لديه تفاؤل أحرق عمن يعيشون في العصر الفيكتوري؛ فقد كانوا يصدقون أسوأ الأمور بمنتهى السهولة.

صدقت إميلي أرونديل بما هو أسوأ.

كان ذلك يوم الجمعة.

غادر الأقارب.

غادروا المنزل يوم الأربعاء كما كان مخططاً من البداية. عرض الجميع أن يمكثوا فترة أطول، وقوبل هذا الطلب بالرفض. وقد تعللت الآنسة أرونديل بأنها تفضل أن تكون في "هدوء تام".

خلال الأسبوعين اللذين تبعاً مغادرتهم، كانت إميلي أرونديل تفكر كثيرًا. لم تكن تسمع ما تقوله لها ميني لوسون في كثير من الأحيان. كانت تحرق فيها ثم تطلب منها بلباقة أن تعيد ما ذكرته من جديد.

قالت الآنسة لوسون: "إنها/الصدمة يا عزيزتي المسكينة".

ثم أردفت تقول بنوع من التلذذ الكئيب المرتبط بالكوارث الذي يزيح الكثير من رتابة الحياة:

"استطيع أن أجزم أنها لن تعود لسابق عهدها أبداً".

الرابع

الآنسة أرونديل تكتب خطاباً

على الصعيد الآخر، تحداها دكتور جرينجر في ذلك بكل ما أوتي من قوة. أخبرها بأنها سوف تنزل الطابق السفلي من جديد عند نهاية الأسبوع، وأنه من حسن حظها أنها لم تعان أي كسور في العظم، وأن حالتها البسيطة لا تعني شيئاً بالنسبة لطبيب مكافح؛ فلو أن كل مرضاه مثلهما، لما أصبح لديه عمل يؤديه، ولانتهى من عمله بسرعة فائقة.

وافقت إميلي أرونديل الرأي - كانت تعرف دكتور جرينجر العجوز منذ زمن طويل - كان يتنمر عليها وكانت هي تتحداه؛ فكانا يحظيان معاً بقدر كبير من المتعة من صحبتهما!

ولكن الآن، بعدما خرج الطبيب بخطى متعاقلة من الغرفة، استلقت السيدة العجوز على سريرها عابسة، وأخذت تفكر - وتفكر - ثم ردت بعقل شارد على شجار ميني لوسون حسن المقصد - ثم استعادت وعيها وردت عليها بكلمات حادة. قالت الآنسة لوسون بصوت منخفض، وهي تقترب من بوب الذي كان مستلقياً في زاوية سرير سيدتها "جرو صغير مسكين. أئن يحزن الجرو الصغير إذا علم ما فعله بسيدته المسكينة؟"

قالت لها الآنسة أرونديل بلسان لاذع:

"لا تكوني حمقاء يا ميني. أين إحساسك الإنجليزي بالعدالة؟ ألا تعرفين أن كل فرد في هذه البلدة يعد بريئاً حتى تثبت إدانته؟"
"أوه، ولكننا نعرف".

قاطعتها إميلي بسرعة قائلة:

"إننا لا نعرف أي شيء على الإطلاق. توقفي عن إصدار الضوضاء يا ميني، وجذب هذا وذلك. ألا تعرفين كيفية التصرف في غرفة شخص مريض؟ اخرجي وأرسلني إلين إلي؟"

خرجت الآنسة لوسون بهدوء من الغرفة إذعائاً لرغبة سيدتها.

نظرت إميلي أرونديل إليها وهي تشعر بشيء من تأنيب الضمير؛ رغم أنها كانت تدفعها للجنون، فإنها كانت تبدل أقصى وسعها وتسهر على راحتها.

ثم بدا العبوس مرة أخرى على وجهها.

لم تكن سعيدة أبداً. كانت تكره عدم اتخاذ أي إجراء حيال أي موقف كغيرها من السيدات المسنات. ولكنها في هذا الموقف تحديداً، لم تستطع اتخاذ قرارها بشأن الإجراء الذي ينبغي أن تتخذه.

كانت هناك لحظات تشك فيها في قدراتها، وما تذكره من أحداث. ولم يكن هناك أحد يمكنها أن تأتمنه على سرها أبداً.

بعد نصف ساعة، دخلت الآنسة لوسون الغرفة بخفة، حاملة معها حساء اللحم البقري، ثم وقفت لا تعرف ماذا تفعل عندما وجدت سيدتها مستلقية على السرير مغمضة عينيها، تفوهت إميلي أرونديل فجأة بكلمتين بقوة وحسم لدرجة أن الآنسة لوسون كادت أن تسقط الحساء من يدها.

قالت الآنسة أرونديل: "ماري فوكس".

قالت الآنسة لوسون: "ماء يا عزيزتي؟ هل قلت إنك تريدين الماء؟".

"لقد أصبحت صماء يا ميني. لم أذكر كلمة ماء. قلت ماري فوكس؛ السيدة التي قابلتها العام الماضي في مدينة شلتهام. كانت أخت أحد رجال الدين بدار هبادة إكستير. أعطني هذا الكوب. لقد سكبته في صحن الفنجان. ولا تسيري على أطراف أصابعك عندما تدخلين الغرفة؛ فليست لديك أدنى فكرة كم أجد هذا الأمر مزعجاً. والآن اذهبي إلى الطابق السفلي وأحضري لي دليل هاتف لندن".

"هل أبحث عن رقم معين يا عزيزتي؟ أو عنوان؟".

"إذا كنت أريدك أن تفعلني لطلبت منك ذلك. افعلي ما طلبته منك. وأحضريه إلى هنا، وضعي أدوات الكتابة بالقرب من السرير".

أطاعت الآنسة لوسون أوامرها.

وهي على وشك الخروج من الغرفة بعدما قامت بما طلبته منها سيدتها، قالت لها إميلي أرونديل فجأة:

"أنت إنسانة طيبة ووفية يا ميني. لا تنزعجي من فظاظتي في التعامل؛ فليس بإمكانني أن أمسك لسانك عن ذلك. أنت صبورة للغاية وطيبة معي".

خرجت الآنسة لوسون من الغرفة بوجه مكفهر، وهي تنفوه بكلمات غير مترابطة.

جلست الأنسة أرونديل على سريرها، وأخذت تكتب خطاباً. كتيبه ببطء وتأن، وتوقفت عدة مرات وهي تفكر وتضع خطوطاً تحت الكثير من الجمل. طبقت الورقة مرة تلو الأخرى؛ فقد نشأت في مدرسة تعلمت فيها ألا تهدر الورقة التي تكتب فيها. وأخيراً، وبينهيدة تنم عن الرضا، وقعت باسمها ووضعت الخطاب في مظروف. كتبت اسماً على المظروف، ثم أخرجت ورقة بيضاء، وصنعت مسودة وأعدت كتابة الخطاب ثم قرأته من جديد وقامت ببعض التعديلات ومسحت بعض الجمل، حتى كتبت نسخة جيدة. قرأت الخطاب بالكامل بعناية شديدة، ثم ارتاحت عندما شعرت بأنها عبرت عما تريده. أغلقت المظروف وكتبت عليه المحترم ويليام بيرفيس، السادة المحامين بيرفيس وتشارلزورث بيرفيس — هارشستر.

أمسكت المظروف الأول مرة أخرى — الخطاب الموجه إلى هيركيول بوارو — وفتحته دليل الهاتف. وبعدما حددت العنوان كتيبه على المظروف.

ثم سمعت نقرًا على الباب.

فأدخلت الأنسة أرونديل الخطاب الذي انتهت لتوها من كتابة العنوان عليه — الخطاب الموجه لـ هيركيول بوارو — داخل جيب محفظة الكتابة الخاص بها.

لم تكن تنوي إثارة فضول ميثي، التي كانت فضولية للغاية فعلاً.

قالت لها: "ادخلي" واتكأت بظهرها على وسائدتها بعدما تنهدت تنهيدة تنم عن الارتياح.

لقد اتخذت خطوات جادة للتعامل مع الموقف!

الخامس

هيركيول بوارو يتلقى خطاباً

الأحداث التي رويتها لتوي لم تكن بالطبع معروفة لي سوى بعد حدوثها بوقت ماويل. ولكن باستجواب مختلف أفراد الأسرة بالتفصيل، أظن أنني أمنت الجميع بما فيه الكفاية.

دخلت أنا وبوارو في الأمر عندما تلقينا خطاب الأنسة أرونديل.

أذكر ذلك اليوم جيداً. كان يوماً حاراً، خالياً من الهواء في نهاية شهر يونيو. كان بوارو معتاداً نظاماً معيناً عند فتح مراسلاته الصباحية؛ فقد كان يمسك بالخطاب، ويتفحصه جيداً، ثم يفتح الظرف بمقطع الورق. كان يقرأ محتواه بامعان، ثم يضعه ضمن كومة من أربع كومات خلف إيريقي الشيكولاتة (كان بوارو يحترس الشيكولاتة على الإفطار، عادة تثير الاشمئزاز). كل ذلك بطريقة ميكانيكية بحثة!

كانت أقل مخالفة لهذا النظام اليومي تشتت انتباهه لحد بعيد.

كنت جالساً بجوار النافذة، أنظر إلى السيارات العابرة. كنت قد عدت مؤخراً من الأرجنتين، وكنت مبهوراً بعودتي إلى زحمة الحياة في لندن من جديد.

التفت برأسي وقلت وابتسامة تعلو وجهي:

"بوارو، أنا واتسون المتواضع، سوف أخاطر بعمل استنتاج".

"رائع يا صديقي. وما هو؟".

جلست في وضع مستقيم وقلت بمباهاة:

"لقد تلقيت خطاباً هذا الصباح ذا أهمية خاصة".

"أنت بالفعل ذكي مثل تشارلوك هولمز! نعم، أنت محق تماماً".

ضحكت.

"أرايت. أنا أعرف أساليبك يا بوارو. إذا قرأت خطاباً مرتين فهذا يعني أن له أهمية خاصة بالضرورة".

"أحكم بنفسك يا هاستنجز".

سلمني صديقي الخطاب المعني وعلى شفتيه ابتسامة.

أخذته باهتمام لا يقل عن اهتمامه، ولكنني كشرت على الفور عندما نظرت إليه. كان مكتوباً بخط متداخل قديم الطراز، كما أنه كان مكتوباً في صفحتين.

قلت متدماً: "هل يجب أن أقرأه يا بوارو؟".

"أها، لست مكرهاً على ذلك. بالطبع لا".

"ألا يمكنك أن تطلعني على فحواه؟".

"أفضل أن تكون حكمك الخاص. ولكن لا تنزعج إذا وجدته مملاً".

قلت له باحتجاج: "لا، لا، أريد أن أعرف ما فيه".

قال صديقي بطريقة جافة:

"من الصعب أن تفعل ذلك. في الحقيقة، الخطاب لا يقول أي شيء أبداً".

تصورت أنه يبالغ في ذلك، فأخذت الخطاب مباشرة دون أي كلام.

السيد هيركيول بوارو،

سيدي العزيز،

بعد كثير من الشك وعدم القدرة على اتخاذ قرار، أكتب إليك (تم شطب الكلمة الأخيرة ومضى الخطاب يقول) تشجعت أن أكتب إليك أملاً في أن

لتمكن من مساعدتي في مسألة ذات طبيعة خاصة للغاية (كانت هناك ثلاثة خطوط تحت كلمتي خاصة للغاية). لم يكن اسمك معروفاً لي، ولكنني عرفته من خلال الأنسة فوكس من إكستير، وعلى الرغم من أن الأنسة فوكس لم تكن تعرفك معرفة شخصية، فإنها ذكرت أن أخت زوجها (التي يؤسفني أن أقول إنني لا أذكر اسمها) تحدثت عن فضلك وتعلقك بأفضل الكلمات (كانت أفضل الكلمات تحتها خط واحد) عن التحقيق الذي أجريته لها، ولكنني فهمت من الأنسة فوكس أنه كانت له طبيعة مؤلمة وسرية (آخر أربع كلمات تحتها خط عريض).

توقفت عن قراءة كلمات الخطاب المتداخلة؛ فقد وجدتني مهمة شاقة للغاية. قلت له: "بوارو. هل يجب أن أواصل قراءة الخطاب؟ هل ستفصح عن المقصد منه؟".

"استمر يا صديقي. صبراً".

قلت متدماً: "صبراً! الخط متداخل للغاية كأن عنكبوتاً دخل في الحبارة وسار على الورقة! أذكر أن خط عمتي ماري العجوز كان بهذا الشكل".

تابعت قراءة الخطاب مرة أخرى.

في مازقي الراهن، تراءى لي أنك قد تقوم بالتحقيقات اللازمة لي. المشكلة - كما ستفهم من كلامي - تتطلب أكبر قدر ممكن من التعقل، وأمل - كم أأمل وأدعو (أدعو تحتها خطان) أن يكون الأمر كذلك. وقد أكون مخطئة تماماً؛ فالمرء قد يولي اهتماماً أكبر من اللازم لحقائق قابلة لتفسير طبيعي.

تمتت أقول في حيرة: "ألم أفوت ورقة؟".

قال بوارو ضاحكاً: "لا، لا".

"لأن هذا الكلام لا يبدو منطقياً. ما الذي تتحدث عنه؟".

"أكمل من فضلك".

الأمر كذلك - كما ستفهم - لا، سوف أتجاوز هذا الأمر. أوه! ها نحن. في هذه الظروف، أنا متأكدة أنك سوف تكون أول من يقدرها، من المستحيل أن أستشير أي شخص في ماركيت بيسينج (ألقيت نظرة على العنوان الوارد في بداية الخطاب، منزل ليتلجريف في ماركيت بيسينج في بيركس)، ولكن في الوقت نفسه من الطبيعي أن أشعر بعدم الارتياح (عدم ارتياح تحتها خط) خلال الأيام القليلة الماضية. لقد وبخت نفسي لأنني كنت خيالية كثيرًا (خيالية تحتها ثلاثة خطوط)، ولكن أوهامي تزايدت. علي أولى اهتمامًا غير مبرر لشيء تافه في النهاية (تافه تحتها خطان)، ولكن إحساسي بعدم الراحة لازمني. أشعر بأن عقلي يجب أن يرتاح من التفكير في هذا الأمر. إنه يفترس عقلي، ويؤثر على صحتي، ومن الطبيعي أن أكون في موقف صعب لأنه ليس بإمكانني أن أطلع أي شخص عليه (كانت هناك خطوط عريضة أسفل هذه العبارة). بحمكتك قد تقول بالطبع، إن الأمر برمته من نسج خيال سيدة عجوز. قد تكون الحقائق قابلة لتفسير منطقي بريء (بريء تحتها خط). ولكن وبالرغم من أن الأمر قد يبدو تافهًا، منذ حادثة كرة الكلب، انتابني الشك وشعرت بخاطر متزايد، لذلك أريد أن أسمع وجهة نظرك ورأيك في الأمر. أنا واثقة أن هذا الأمر سيريحني من التفكير. أرجو أن تتكرم وتبلغني باتعابك وما تنصحتني به في هذا الصدد؟

يجب أن أذكرك مرة أخرى بأنه ليس هناك من يعرف أي شيء عن هذا الأمر. الحقائق كما أعرف تافهة للغاية وغير مهمة، ولكن صحتي ليست على خير ما يرام، وأعصابي (تحتها ثلاثة خطوط)، ليست كما كانت؛ فالقلق يضر بصحتي كثيرًا. وكلما فكرت في الأمر، زاد اقتناعي بأنني كنت محقة وأنه ليس هناك مجال للخطأ. طبعًا، لا يمكنني أن أقول أي شيء (تحتها خط) لأي شخص هنا (تحتها خط).

أمل أن ألقى نصيحتك في هذا الأمر في وقت قريب.

المخلص لك دومًا،

إميليا أرونديل

قلبت الخطاب وتقصصته جيدًا مرة أخرى، ثم قلت معترضًا: "ولكن يا بوارو، عمٌ يدور كل هذا الكلام؟"

هز صديقي كتفيه وقال.

"ماذا حقًا؟"

نقرت على الورق بنفاد صبر.

"يا لها من امرأة! لماذا لم تقصص السيدة - أو الأنسة أرونديل -"

"أظنها أنسة. إنه الأسلوب المعتاد لعانس."

قلت له: "نعم. نعم، إنها سيدة عجوز مزعجة فعلاً. لماذا لا تفصح عما تتحدث عنه؟"

تنهد بوارو.

"كما تقول، لقد فشلت إلى حد بعيد في أن تتمتع عملياتها الذهنية بالنظام والتسلسل، وبدون نظام وتسلسل منطقي يا هاستنجز -"

قاطعته على الفور قائلاً: "بالضبط، المنطق غير موجود عملياً."

"لن أقول ذلك يا صديقي."

"أنا أقول ذلك. ما الهدف من كتابة خطاب كهذا؟"

اعترف بوارو قائلاً: "صغير للغاية، هذا صحيح."

أردفت قائلاً: "مجرد كلام غير مترابط ليس إلا. لعله نابع من استيائها من كلبها الصغير السمين، لعله كلب بج أو بكني". نظرت إلى صديقي نظرة غريبة: "وبالرغم من ذلك قرأت الخطاب مرتين. لا أفهمك يا بوارو."

ابتسم بوارو.

"كنت ستلقيه مباشرة في سلة المهملات يا هاستنجز؟"

تجهمت في وجهه وأنا أقول: "أخشى أنني سأفعل ذلك. أخشى أن أكون غيبًا كالعادة، ولكنني لا أرى أي شيء مثير للاهتمام في هذا الخطاب!"

"بالرغم من ذلك هناك نقطة واحدة لها أهمية كبيرة - نقطة أوقففتني على الفور."

صحت قائلاً: "انتظر. لا تخبرني بها، دعني أر ما إذا كنت سأكتشفها بنفسي".
ربما كان تصرفاً صبيانياً من جانبي. تفحصت الخطاب بعناية شديدة، ثم هزرت رأسي.

"لا، لم أجدها. السيدة العجوز أثارت قلقنا. أفهم ذلك، ولكن أغلب السيدات المسنات يفعلن ذلك! لعله ليس أمراً مهماً __ لعله لا يدور عن أي شيء. ولكنني لا أرى ما نتحدث عنه. إلا إذا كان حدسك __".

رفع بوارو يده إشارة على شعوره بالاستياء.

"حدس! تعرف كم أمقت هذه الكلمة. هناك شيء يخبرني - هذا ما تتصوره - لست أنا؛ فأنا أفكر بعقلي. أستخدم عقلي. هناك نقطة واحدة أغفلتها تماماً يا هاستنجز".

قلت له بسأم: "حسناً. سوف أشتريه".

"نشتريه؟ تشتري ماذا؟".

"التعبير. أي أنني سوف أسمح لك بأن تستمتع بنفسك وأنت تخبرني بالنقطة التي جعلتني أبعد غيباً".

"لست غيباً يا هاستنجز، ولكنك لا تتمتع بقوة ملاحظة".

"حسناً يكفي ذلك. ما النقطة المهمة التي تحدث عنها؟ أعتقد أن النقطة المهمة كما في "حادثة كرة الكلب" هي أنه ليست هناك نقطة مهمة".

تغاضى بوارو عن هجومي المبالغ عليه. قال بهدوء وطمأنينة:

"النقطة المهمة هي التاريخ".

"التاريخ؟".

أمسكت الخطاب. فوجدت التاريخ المدون أعلاه من الناحية اليسرى ١٧ من أبريل.

قلت ببطء: "نعم، هذا غريب، السابع عشر من أبريل".

"ونحن اليوم في الثامن والعشرين من يونيو. هذا غريب أليس كذلك؟ منذ أكثر من شهرين".

هزرت رأسي نافياً.

"هذا لا يعني أي شيء على الأرجح، مجرد خطأ. كانت تريد أن تكتب يونيو فكتبت أبريل بدلا منه".

"حتى لو كان الأمر كذلك؛ فقد مضت عشرة أيام، أو أحد عشر يوماً على ذلك، فتبقى حقيقة غريبة. ولكنك مخطئ في الواقع. انظر إلى لون الحبر. هذا الخطاب كتب منذ أكثر من عشرة أيام، أو أحد عشر يوماً مضت. لا، السابع عشر من أبريل هو التاريخ الصحيح. ولكن لماذا لم يتم إرسال الخطاب؟".

هزرت كتفي.

"هذا سهل. لعل السيدة العجوز غيرت رأيها".

"إذن لماذا لم تتخلص من الخطاب؟ لماذا احتفظت به لأكثر من شهرين وأرسلته إلي الآن؟".

اضطرت لأن أعترف بأن الإجابة عن هذا السؤال كانت صعبة. في الواقع، لا أستطيع أن أفكر في إجابة مقنعة؛ فاكتمت بهز رأسي ولم أنبس ببنت شفة.

أوماً بوارو برأسه.

"أرايت - هذه هي النقطة المهمة! نعم، نقطة غريبة حقاً".

سألته: "وهل سترد على الخطاب؟".

"بالطبع يا صديقي".

ساد الصمت المكان ولم يسمع سوى صوت خريشة بوارو بالقلم. كان صباحاً حاراً يخلو من الهواء. ثم انبعثت رائحة تراب وقطران من النافذة.

نهض بوارو من على مكتبه، وهو يمسك بالخطاب، ثم فتح درجاً وأخرج منه صندوقاً مربعاً صغيراً، وأخرج منه طابعاً. بلل الطابع بقطعة صغيرة من الإسفنج ليضعه على الخطاب.

وفجأة توقف، والطابع في يده، ثم هز رأسه في حماسة.

صاح قائلاً: "لا! من الخطأ أن أفعل ذلك"، ثم مزق الخطاب الصغير وألقاه في سلة المهملات الورقية.

"لا يجب أن نتعامل مع المسألة بهذه الطريقة! سوف نذهب إلى هناك يا صديقي".

"أتعني إلى ماركيت بيسينج؟"

"بالضبط. ولَمْ لا؟ أليست لندن مزدحمة هذه الأيام؟ ألن يكون الذهاب إلى الريف فكرة جيدة؟"

قلت له: "حسنًا، ما دمت ترى ذلك. هل سنذهب بالسيارة؟"

كنت قد اشتريت سيارة مستعملة موديل أوستين.

"ممتاز. يوم جيد للسفر بسيارة. لن نحتاج إلى كاتم صوت محرك السيارة.

كل ما نحتاج إليه هو معطف خفيف، ووشاح من الحرير -"

قلت معترضًا: "صديقي العزيز، أنت لن تسافر إلى القطب الشمالي!"

قال بوارو بلهجة عملية: "على المرء أن يتوخى الحذر من أن يصاب بالبرد."

"في يوم كهذا؟"

لم يلتفت بوارو لاعتراضاتي، وتابع ارتداء معطفه البني الفاتح، ووضع منديلًا من الحرير الأبيض حول رقبته. وبعدما وضع الطابع المبتل على ظهره حتى يجف، غادرنا الغرفة معًا.

السادس

رحلتنا إلى منزل ليتلجرين

لا أعرف ما شعر به بوارو وهو يرتدي معطفًا ووشاحًا كهذا، ولكنني شخصيًا شعرت بأنني تحمست من الشمس قبل أن نخرج من لندن؛ فالتواجد في سيارة مفتوحة وسط الزحام ليس بالمكان الذي يجدد النشاط والحيوية في يوم صيفي حار.

إلا أنه بمجرد خروجنا من لندن وسيرنا على طريق جريت ويست، شعرت كأنني استعدت نشاطي وحيويتي.

قدنا السيارة لمدة ساعة ونصف الساعة، ووصلنا إلى مدينة ماركيت بيسينج في الثانية عشرة تقريبًا. كنا نسير في البداية على الطريق الرئيسي، ثم انحرفنا مبتعدين حوالي ثلاثة أميال عن موجة الازدحام المروري الأساسية فشعرنا بروح الأضالة والهدوء. بدا شارعها الواسع وميدانها المتواضع كأنهما يقولان: "كنت مكانًا مهمًا من قبل، وأي شخص لا يزال يتمتع بحس جمالي لكل ما هو قديم سوف يراني كذلك. اترك هذا العالم الحديث المسرع يمر من شوارع الجديدة، لقد تم بنائي لأصمد في يوم يتسم بالجمال والقوة في وقت واحد."

"وهو ما يفسر سبب سيرنا في هذا الشارع شديد الحرارة في يوم حار جداً".
 "هذا الجواب ذكي للغاية يا هاستنجز. أعترف بأنك فزت عليّ هذه المرة".
 وجدنا منزل ليتلجرين بمنتهى السهولة، ولكن كانت الصدمة تنتظرنا؛
 عندما وجدنا لوحة: "لا يجار أو البيع".

بينما كنا نحقق فيها، شد انتباهي نباح كلب.

كانت الشجيرات صغيرة في ذلك المكان فرأيت الكلب بسهولة. كان كلباً من
 نوع ترير يغطي جسمه صوف خشن طويل للغاية وكأنه يرتدي معطفاً. كان يقف
 مهاداً قدميه، يميل ناحية أحدهما قليلاً، وكان ينبج بفرحة واضحة من أدائه
 الخاص وكأن دوافع طيبة تدفعه لذلك.

بدا كأنه يقول: "كلب مراقبة جيد، ألسنت كذلك؟ اعذراني! هذه متعتي
 الوحيدة! وواجبي أيضاً. فقط ليعلم الجميع أن هناك كلباً في المكان! يا له من
 مسباح ممل للغاية. من الممتع أن أحظى بشيء أفعله. هل ستدخلان منزلاً؟ أمل
 ذلك. إنه كتيب للغاية. بإمكانني أن أدخل في مناقشة صغيرة".

قلت له وأنا ألوح بيدي: "مرحباً يا صديقي".

مسح عنقه في السياج الذي تشمعه في ريبه، ثم هز ذيله برفق، وهو ينبج
 بصورة متقطعة.

"بالطبع لم نتعرف بالشكل اللائق؛ فعلي أن أبقى ذيلي هذا مرفوعاً! ولكنني
 أرى أنك تعرف الخطوات اللازم اتخاذها".

قلت له: "كلب طيب".

قال الكلب بود: "هو، هو".

قلت لبوارو بعدما فرغت من هذا الحوار: "حسنًا يا بوارو؟".

كان هناك تعبير غريب على وجهه - تعبير لم أفهمه تمامًا. بدا أفضل وصف
 له أنه نوع من الدهشة المكتومة التي تعتمد عدم إظهارها.

تمتم قائلاً: "حادثة كرة الكلب، حسنًا. لدينا كلب هنا".

قال صديقنا الجديد: "هو"، ثم جلس وتناوب فاغراً فاه وهو ينظر إلينا في
 أمل.

كانت هناك باحة مخصصة لوقوف السيارات في منتصف الميدان الكبير،
 رغم قلة السيارات الموجودة فيه. فأوقفت سيارتي الأوستين، وتجدد بوارو من
 زينته الزائدة، وتأكد من أن شاربته في شكل جيد ومتناسق، وأصبحنا مستعدين
 لمتابعة طريقنا.

للمرة الأولى في الطريق لم يلق سؤالنا الدائم والمستمر الإجابة المعتادة:
 "أسف ولكنني غريب في هذا المكان". حقاً لم يكن هناك غرباء في بلدة ماركيت
 بيسينج! كانت بلدة تترك لديك هذا الانطباع! لذلك شعرت أنا و بوارو
 على وجه الخصوص) بأننا لفتنا الانتباه. فحرصنا على أن نبدو كأننا جئنا من
 بلدة إنجليزية ريفية ملتزمة بالأعراف والتقاليد.

أجابنا رجل ذو عيينين واسعتين كعيني المها، وهو ينظر إلينا بتفكير: "منزل
 ليتلجرين؟ سر مباشرة إلى الطريق العالي، لن تتوه عنه - سوف تجده أمامك
 على اليسار. ليست هناك أسماء على البوابة، ولكنه أول منزل كبير بعد البنك".
 ثم كرر كلامه: "لن تتوه عنه".

تبعنا بعينييه عندما بدأنا في السير في طريقنا.

تذمّرت قائلاً: "يا إلهي! هناك شيء في هذا المكان يجعلني أشعر بأنني
 ملحوظ تماماً. أما بالنسبة لك يا بوارو، فأنت تبدو غريباً تماماً".
 "أعتقد أنه لاحظ أنني أجنبي؟".

قلت له: "إنها حقيقة تبدو واضحة وضوح الشمس".

قال بوارو وهو مستغرق في التفكير: "بالرغم من أن ملابسنا صنعها حائك
 إنجليزي".

قلت له: "الملابس ليست كل شيء. لا يمكن أن ننكر يا بوارو أن لك شخصية
 تلفت الانتباه. كثيراً ما أتساءل كيف أنها لا تعوقك في عملك".

تنهد بوارو.

"هذا بسبب الفكرة الخاطئة المغروسة في ذهنك أن المحقق يجب أن يكون
 رجلاً يضع دقناً مستعارة، ويختبئ خلف عمود! الدفن المستعار أصبح موضوعة
 قديمة، أما الاختباء فلا يفعله سوى أقل أبناء مهنتي مهارة. ولكن هيركيول بوارو
 يا صديقي لا يحتاج إلى شيء سوى أن يجلس على كرسي ويفكر".

سألته: "ماذا بعد؟".

بدأ الكلب كأنه يطرح السؤال نفسه.

"يا إلهي! إلى السيدين - ما هذا - السيدين جابلر وستريتشر".

وافقته القول: "يبدو هذا واضحاً".

عدنا أدراجنا من حيث أتينا، وصديقنا الكلب يتبع من خلفنا.

كان مكتب جابلر وستريتشر يقع في ميدان ماركيت. دخلنا مكتباً خارجياً مظلماً؛ حيث استقبلتنا سيدة شابة تعاني زائدة أنفية ولها عينا باهتان.

قال بوارو بأدب: "صباح الخير".

كانت السيدة الشابة تتحدث على الهاتف، فأشارت لبوارو بالجلوس. وعثرت أنا على كرسي آخر فسحبته للأمام.

تحدثت السيدة الشابة عبر الهاتف على نحو فارغ: "لا أستطيع أن أقول إنني متأكدة. لا، لست أعرف كم ستكون الأسعار... عزراً؟ أو، مياه أساسي، على ما أظن، ولكنني طبعاً لا يمكن أن أجزم بذلك... أنا غاية في الأسف، أنا واثقة... لا، إنه في الخارج... لا، لن أقول نعم؛ طبعاً سأسأله... نعم... ٩٨١٣٥؟ أخشى ألا أكون سمعته. أو، ٨٩٣٥... ٣٩... أو، ٥١٣٥... نعم، سوف أبلغه بأن يتصل بك... بعد السادسة... أو، عزراً، قبل السادسة... شكراً جزيلاً".

وضعت سماعة الهاتف، ودونت بسرعة رقم ٥٣١٩ على لوحة الكتابة، ثم التفتت إلينا تسأل بعدم اهتمام وهي تثبت ناظرها على بوارو.

بدأ بوارو في الحديث بسرعة.

"لاحظت أن هناك منزلاً للبيع في ضواحي المدينة - منزل ليتلجرين على ما أعتقد".

"عزراً؟".

تحدث بوارو ببطء وعلى نحو واضح قائلاً: "منزل للإيجار أو البيع. منزل ليتلجرين".

قالت السيدة الشابة بغموض: "أو، منزل ليتلجرين. قلت منزل ليتلجرين؟".

"هذا ما قلته".

قالت السيدة الشابة، وكأنها تبذل جهداً ذهنياً هائلاً: "منزل ليتلجرين. أو، سيداً أظن السيد جابلر سوف يفيدك في ذلك".

"هل يمكنني مقابلة السيد جابلر؟".

قالت السيدة الشابة بضعف واضح: "إنه في الخارج". قالتها بشيء من الرضا وإن لسان حالها يقول: "نقطة لصالح".

"هل تعرفين متى سيعود؟".

قالت السيدة الشابة: "لا أستطيع أن أحدد ذلك".

قال بوارو: "هل فهمتي، أنا أتطلع إلى منزل في هذه المنطقة".

قالت السيدة الشابة دون أي اهتمام: "أو، نعم".

"وأشعر بأن منزل ليتلجرين هو ما أريد. هل يمكنك أن تمديني بالتفاصيل؟".

بدأت السيدة الشابة مندеше وقالت: "تفاصيل؟".

"لتفاصيل منزل ليتلجرين".

دون أدنى استعداد فتحت درجاً وأخرجت ملفاً يحتوي على كومة غير مرتبة من الأوراق.

ثم نادت قائلة: "جون".

نظر إليها شاب طويل وهزيل كان يجلس في أحد الأركان.

"نعم يا أنسة".

"هل لدينا أي تفاصيل عن — ماذا قلت؟".

قال بوارو بوضوح: "منزل ليتلجرين".

قلت وأنا أشير إلى الحائط: "لديكم إعلان كبير له هنا".

نظرت إليّ ببرود. وكأنها تقول اثنان لواحد، ليست طريقة عادلة للعب، ثم أدت مصدر دعم لها.

"أنت لا تعرف أي شيء عن منزل ليتلجرين، أليس كذلك يا جون؟".

"لا يا أنسة. يجب أن يكون في الملف".

لم يسمع المزيد؛ حيث أخذ السيد جابلر على الفور دقة الحديث:

"أها، منزل ليتلجرين — ملكية خاصة! صفقة رابحة. عُرض للبيع مؤخرًا. بالطبع أن أقول لكما يا سادة إننا لا نحظى كثيرًا بمنزل من هذا النوع بهذا السعر. الأذواق تغيرت كثيرًا؛ فالتناس ملوا المنازل الرخيصة، وأصبحوا يبحثون عن منازل جيدة فخمة. ملكية جميلة — له طابع خاص — ملكي في كل شيء. هذا هو ما يريده الناس هذه الأيام — ذوق راق في كل شيء. منزل يستأجرونه لفترة مؤقتة إذا كنت تفهم قصدي. أها، نعم، هذا المنزل لن يظل في السوق كثيرًا، سوف يُخطف خطفًا! لقد جاء أحد أعضاء البرلمان ليلقي نظرة عليه السبت الماضي. وقد أعجبه المنزل كثيرًا، وسوف يأتي مرة أخرى هذه الإجازة. كما أن رجلاً يعمل في البورصة يسعى لشراؤه أيضًا. أصبح الناس يتشدون الهدوء عندما يأتون إلى الريف، يريدون أن يتبعوا عن الطرق الرئيسية. هذا ما ينشده الناس، ولكننا نجذب عليّة القوم. وهذا هو ما يقدمه هذا المنزل. الطبقة يجب أن نعرف، بأنهم عرفوا كيف يبنون لنبناء هذه الأيام. نعم، لن يبقى منزل ليتلجرين في حوزتنا كثيرًا".

توقف السيد جابلر (التي تعني بالإنجليزية مشوش) عن الكلام ليلتقط أنفاسه، فكرت لأول مرة أنه اسم على مسمى فعلاً.

سأل بوارو: "هل تغير أصحابه كثيرًا في السنوات القليلة الأخيرة؟"

"على العكس. لقد ظل في حيازة عائلة واحدة لأكثر من خمسين عامًا. عائلة أرونديل؛ وهي عائلة لها مكانتها في البلدة — سيدات من عائلة مرموقة!" نهض من مكانه وفتح الباب ونادى قائلاً:

"تفاصيل منزل ليتلجرين يا آنسة جينكينز. أحضرها بسرعة".

ثم عاد إلى مكتبه.

قال بوارو: "أنا أريد منزلًا بعيد هذه المسافة عن لندن. في الريف، دون أن يكون المكان هادئًا تمامًا، إذا فهمت ما أعنيه —"

"ممتاز — ممتاز. فالبقاء في الريف لفترة طويلة غير مُجدٍ. الخدم لا يحبون ذلك. هنا ستحظى بمزايا الإقامة في الريف دون عيوبه". قدمت الأنسة

قالت السيدة الشابة دون أن يبدو عليها أدنى درجات الأسف: "أنا آسفة. اعتذرنا أننا أرسلنا التفاصيل إلى الخارج".

قال لها بالفرنسية: "هذا مؤسف".

"عذرًا؟"

كرر كلامه بالإنجليزية: "هذا مؤسف".

"لدينا بيت صغير في هيميل إند، فيه سريران، وغرفة معيشة". كانت تتحدث دون حماسة، ولكنها بدت مستعدة للقيام بما جيبها الذي أوكله لها صاحب العمل.

"لا، شكرًا لك".

"وغرفة منفصلة تضم صوبة زجاجية صغيرة. يمكنني أن أعطيك تفاصيل هذا المنزل".

"لا شكرًا لك. أردت أن أعرف الإيجار الذي تريدونه في منزل ليتلجرين".

قالت السيدة الشابة بعدما تخلت عن جهلها التام بكل شيء مرتبط بمنزل ليتلجرين أملًا في إحراز نقطة: "إنه ليس للإيجار"، ثم أردفت تقول: "إنه للبيع".

تقول اللوحة: "للإيجار أو البيع".

"لا أستطيع أن أقول ذلك؛ إنه للبيع فقط".

عند هذا الحد من المعركة انفتح الباب وخرج رجل شعره رمادي في منتصف العمر بسرعة. رمقنا الرجل بعينه العدائية اللامعة، ثم سأل مرعوسه سؤالاً بعينه.

قالت السيدة الشابة: "إنه السيد جابلر".

فتح السيد جابلر باب خلوته بحماسة. وأشار إلينا بإيماء متواضعة بالدخول، تفضلاً يا سادة، ثم قادنا لكرسيين وجلس هو على المكتب قبالتنا.

"كيف يمكنني أن أخدمكما؟"

بدأ بوارو في أداء مهمته بجد من جديد.

"أريد بعض التفاصيل عن منزل ليتلجرين —"

من أحدهما. كل واحد منهما يعرف أن الآخر يرغب فيه، فهمتني. وقطعاً المناقصة تدفع الاثنين لشراؤه. ها، ها لا أريدك أن تصاب بالإحباط".

"أظن أن الآنسة لوسون حريصة على بيعه".

خفض السيد جابلر صوته وقال:

"هذا صحيح؛ فالمكان أكبر مما تريده. وهي سيدة في منتصف العمر تعيش بمفردها. إنها تريد أن تتخلص منه وتشترى منزلاً في لندن. هذا مفهوم تماماً. لهذا السبب سعر المنزل زهيد للغاية".

"لعلها توافق على أحد العروض؟"

"هذه هي الفكرة يا سيدي. قدم عرضك وخذ فرصتك. ولكن خذها مني كالمدة، لن تكون هناك صعوبة في الحصول على المكان بسعر قريب من السعر المحدد. لماذا؟ هذا سخيف! بناء منزل كهذا هذه الأيام سوف يكلفك ستة آلاف جنيه، ناهيك عن ثمن الأرض وواجهة المبنى".

"لقد توفيت الآنسة أرونديل فجأة، أليس كذلك؟"

"أوه، لا أقول ذلك؛ فقد بلغت من الكبر عتياً؛ حيث تجاوزت السبعين من عمرها. وظلت مريضة لفترة طويلة. كانت آخر من تبقى من عائلتها. لعلك أعرف شيئاً عن عائلتها؟"

"أعرف بعض الأشخاص بالاسم نفسه، لديهم أقارب في هذا الجزء من العالم. أظنها العائلة نفسها".

"محتمل جداً؛ فقد كانت عائلة تتكون من أربع أخوات. تزوجت إحداهن في ممر متأخر، وظلت الأخوات الثلاث في المنزل. إنهن سيدات من عائلة مرموقة، كانت الآنسة إميلي آخر من تبقى منهن. كانت لها منزلة كبيرة في البلدة".

اتكأ للأمام وسلم بوارو طلب زيارة المنزل.

"سوف تأتي مرة أخرى وتطلعني على رأيك في المنزل، أليس كذلك؟ بالطبع هذا يحتاج إلى لمسة من التحديث. هذا هو كل ما يحتاج إليه المنزل. ولكنني أهول دوماً، ما معنى إصلاح حمام أو اثنين؟ من السهل القيام بذلك".

جينكينز بسرعة حاملة ملفاً من الأوراق المكتوبة على الآلة الكاتبة ووضعها أمام رئيسها الذي صرفها بإشارة من يده.

قال السيد جابلر وهو يقلب الملف بسرعة معتادة: "ها نحن، منزل قديم له طابع خاص: أربع غرف استقبال، ثمانية أسِرَّة ومزينات، ومكاتب معتادة وكل مستلزمات المطبخ، ومبانٍ ملحقة إضافية، وطاولات... إلخ. فيه مياه وحديقة قديمة، بحاجة لصيانة بسيطة، إجمالي المساحة بالحديقة ثلاثة أفدنة بالسقيقتين الصيفيتين... إلخ.. إلخ ثمنه ٢٨٥٠ أو حوالي هذا السعر".

"أيمكنك أن تكتب لي طلباً لألقي نظرة عليه".

"بالطبع يا سيدي"، ثم بدأ السيد جابلر في كتابة بعض البيانات: "اسمك وعنوانك؟"

فوجئت بأن بوارو أعطاه اسم السيد باروتي.

تابع السيد جابلر كلامه قائلاً: "لدينا ملكية أخرى أو اثنتان قد تعجبانك".

سمح له بوارو بإعطائه تفصيلة أخرى أو اثنتين.

سأل بوارو: "أيمكنني أن أرى منزل ليتجربين في أي وقت؟"

"بالطبع يا سيدي. هناك خدم في المنزل، يمكنني أن أبلغهم بذهابك. سوف تذهب إلى هناك مباشرة؟ أم بعد الغداء؟"

"لعله من الأفضل أن يكون بعد الغداء".

"بالطبع — بالطبع. سوف أتصل بهم وأبلغهم بزيارتك في الساعة الثانية، هل هذا الوقت يناسبك؟"

"شكراً لك. قلت إن صاحبة المنزل تسمى الآنسة أرونديل، كما أظن؟"

"لوسون، الآنسة لوسون. إنه اسم المالكة الجديدة؛ فالآنسة أرونديل — يؤسفني أن أقول — توفيت منذ فترة قصيرة. وبهذه الطريقة طرح المنزل للبيع. وأكد لك أنه سوف يخطف خطفًا. ليس هناك شك في ذلك. بيني وبينك، إذا كنت تفكر في التقدم لشراؤه، بإمكانني أن أتمم الصفقة بسرعة. كما أبلغتك، هناك اثنان يرغبان في شراؤه بالفعل، وأتوقع أن ألتقي عرضاً لشراؤه في أي يوم

هممنا بالانصراف، وكان آخر ما سمعناه هو صوت الآنسة جينكينز الفارغ وهي تقول:

"لقد اتصلت السيدة صامويل يا سيدي. تريدك أن تتصل بها - في هولندا على الرقم ٥٣٩١".

على ما أتذكر، لم يكن هذا هو الرقم الذي دونته الآنسة جينكينز على لوح الكتابة، أو الرقم الذي سمعته في نهاية حديثها على التليفون.

يبدو أن الآنسة جينكينز كانت تنتقم منه؛ لأنها اضطرت للبحث عن تفاصيل منزل ليتلجرين!

السابع

مقابلة في فندق جورج

بعد أن خرجنا إلى ميدان ماركيت، لاحظت أن السيد جابلر اسم على مسمى (جابلر) وعندما أخبرت بوارو بذلك، وافقني الرأي بإبتسامه عريضة على شفتيه. قالت له: "سوف يحبط كثيرًا عندما لا تعود إليه. أظنه يعتقد أنه باعك هذا المنزل بالفعل".

"هذا صحيح فعلاً، هناك خدعة تنتظره في المستقبل".
 "أعتقد أننا يجب أن نتناول الغداء هنا أيضًا قبل أن نعود إلى لندن، أم ترى أن نتناول الغداء في مكان أقرب ونحن في طريقنا للعودة؟".
 "عزيزي هاستنجز، أنا لا أقول إننا سنترك ماركيت ببسنيج بهذه السرعة. أم نلته بعد مما جئنا لأجله".

حدثت فيه.
 "هل تعني — ولكن يا صديقي العزيز، الأمر انتهى ب وفاة السيدة العجوز".
 "بالضبط".

جعلتني النبذة التي نطق بها هذه الكلمة أصدق فيه أكثر من ذي قبل. كان من الواضح أن هناك ما يفكر فيه كثيرًا بشأن هذا الخطاب غير المترابط.

«لا رائحة وبعض الكاسترد. وبعد جبن الجورجونولا، والبسكويت، أحضر لنا الدال كوبين من مشروب مشكوك فيه باعتباره قهوة.

في تلك اللحظة حدد بوارو طلباته ونادى النادل.

«نعم يا سيدي، أعرف أين توجد. منزل هيميل داوَنَ يبعد ثلاثة أميال عن على طريق ماتش بنهام - وهو مكان صغير للغاية. ومزرعة نيلور تبعد قليلاً للربيعاً. هناك ممر صغير لا يبعد كثيراً عن منطقة كينجز هيد. أما بيست براون فلم أسمع به. بالنسبة لمنزل ليتلجرين فهو قريب من هنا، لا يحتاج إلا دقائق قليلة من السير».

«أها، لقد رأيت المنزل من الخارج، أظن أنه أكثر منزل مناسب. أظن أنه في حالة جيدة، صحيح؟».

«أها، نعم يا سيدي. إنه في حالة جيدة: السطح والمواسير في حالة جيدة. يراهِ قديم بالطبع، ولكن لم يتم عمل أي تحديث له بأية طريقة. وحديقته الرائعة فقد كانت الأنسة أرونديل مغرمة بالحديقة كثيراً».

«إنه ملك للأنسة لوسون كما أعرف».

«هذا صحيح يا سيدي، الأنسة لوسون كانت جليسة الأنسة أرونديل، وعندما أوفدت السيدة العجوز، آل كل شيء إليها - المنزل وكل شيء».

«حقاً؟ أظن أنه لم يكن لديها أقارب تترك لهم المنزل؟».

«في الواقع، الأمر ليس كذلك يا سيدي؛ فأبناء/خوتها على قيد الحياة. ولكن الأنسة لوسون كانت معها طوال الوقت. كما أنها كانت سيدة عجوزاً، هكذا «ار الأمر».

«على أية حال، أظن أنها لم تترك سوى المنزل، ولم يكن لديها كثير من المال؟».

«كثيراً ما لاحظت أنه عندما يفشل سؤال مباشرة في استجداء إجابة واضحة، يؤدي الافتراض الخاطئ إلى الحصول على معلومات فورية متناقضة.

«هذا بعيد كل البعد عن الحقيقة يا سيدي. بعيد للغاية حقاً. لقد فوجئ الجميع بوفاة السيدة العجوز. لقد نُشرت الوصية في الصحف وكمية المال التي

قلت له بلطف: "ولكن إذا كانت قد ماتت يا بوارو، فما الهدف من ذلك؟ لن تستطيع أن تخبرك بأي شيء الآن. أيّ ما كانت المشكلة، لقد انتهى الأمر".

"أنت تتعامل مع الأمر بمنتهى الخفة والبساطة! دعني أخبرك بأنه لن ينتهي أي شيء حتى يكف هيركيول بوارو عن شغل نفسه به!"

«كان عليّ أن أعرف من خلال التجربة أن الجدل مع بوارو لا طائل منه أبداً، ولكنني تابعت الجدل معه غير مكترث بذلك.

ولكن بما أنها ماتت -"

"بالضبط يا هاستنجز. بالضبط - بالضبط - بالضبط... ما زلت تكرّر النقطة المهمة غير مكترث أبداً لأهميتها. ألا ترى أهمية هذه النقطة؟ الأنسة أرونديل ماتت".

"ولكن يا عزيزي بوارو، كان موتها طبيعياً تماماً وعادياً! ليس هناك أي شيء غريب أو غير مفهوم في ذلك. وقد أكد السيد جابلر ذلك".

"لقد علمنا منه أن منزل ليتلجرين عرض للبيع بسعر مُغَرٍّ وهو ٢٨٥٠ جنيهًا إسترلينياً. هل ترى أن هذه بشارة طيبة أيضاً؟"

"بالطبع لا. لقد صدمت عندما علمت من جابلر أنه يسعى لشراء المنزل المعروض للبيع - لعله بحاجة لتحديث بالكامل. أقسم أنه - أو بالأحرى عميله - سوف يكون مستعداً لقبول سعر أقل بكثير من ذلك؛ فهذه المنازل القديمة الضخمة التي تطل على الشارع مباشرة يجب التخلص منها بأقصى سرعة ممكنة".

قال له بوارو: "حسناً، إذن. لا تقل "ولكن جابلر قال ذلك!" وكأنه رسول ملهم لا يكذب أبداً".

كنت على وشك إبداء مزيد من الاعتراضات، ولكننا في تلك اللحظة دخلنا فندق جورج؛ حيث أنهى بوارو النقاش بكلمة واحدة حاسمة "كفي!".

قادنا النادل لغرفة القهوة، وكانت غرفة مساحتها جيدة، نوافذها مغلقة بإحكام، تفوح منها رائحة طعام فاسد. فقدم إلينا نادلاً مسناً، يسير ببطء ويتنفس بصعوبة. لم يكن هناك غيرنا في المكان تقريباً. طلبنا لحم ضأن ممتازاً، وبعض شرائح الكرنب المسلوق، وبعض البطاطس الباردة. تبعها عصير فاكهة لا طعم

تركها وكل شيء. يبدو أنها لم تكن تعيش على المستوى نفسه الذي يكنه دخلها؛ فقد تركت حوالي ثلاثة أو أربعة آلاف جنيه".

صاح بوارو قائلاً: "لقد فاجأتني. وكأنها حكاية خرافية أليس كذلك؟ أصبح صديقتها الفقيرة ثرية للغاية بين عشية وضحاها. ألا تزال شابة، أعني الآن لوسون؟ هل ستعرف كيف تستمتع بالثروة الجديدة التي حصلت عليها؟"

"أوه، لا يا سيدي، إنها في منتصف العمر".

بدت طريقته في الحديث عنها مصطنعة للغاية. كان من الواضح أن الآنسة لوسون — الجليلة السابقة — ليست لها مكانة بارزة في ماركيت بيسينج".

قال بوارو متسائلاً: "قطعاً كان الخبر محبطاً لأبناء إخوتها؟"

"أظن ذلك يا سيدي، بدا الأمر صادمًا بالنسبة لهم، وغير متوقع على الإطلاق. ساد بلدة ماركيت بيسينج شعور بذلك. رأى البعض أنه من غير الصحيح أن تترك أموالك لأحد ليس من لحملك ودمك. ولكن بالطبع هناك من يرى أنه من حق المرأة أن يفعل ما يحلو له بماله الخاص. وبالطبع هناك ما يمكن أن يقال عن كلا الأمرين".

"لقد عاشت الآنسة أرونديل سنوات طويلة هنا، أليس كذلك؟"

"نعم يا سيدي، لقد عاشت هنا مع إخوتها والجنرال أرونديل الوالد من قبلهم. أنا شخصياً لا أذكره، ولكن أظن أنه كان يتمتع بشخصية قوية. كان يقاوم الثورة الهندية".

"أكان لديه كثير من البنات؟"

"أذكر ثلاثاً منهم، أظن واحدة منهم فقط هي من تزوجت. نعم، الآنسة ماتيلدا، والآنسة أجنس، والآنسة إميلي. توفيت الآنسة ماتيلدا في البداية، ثم الآنسة أجنس، وأخيراً الآنسة إميلي".

"حدث ذلك مؤخراً؟"

"في أول مايو - أوروبما في نهاية أبريل".

"هل كانت مريضة؟"

"بين الحين والآخر - بين الحين والآخر. كانت أقرب للمرض. أظنها ظلت أسابيعاً عام كامل. كانت تبدو صفراء اللون منذ ذلك الوقت. نعم كانت ضعيفة طوال السنوات الخمس الأخيرة من حياتها".

"أظن أن لديكم أطباء مهرة هنا؟"

"حسنًا، هناك دكتور جرينجر. ظل هنا طوال أربعين عامًا، وأغلب الناس يذهبون إليه. إنه غريب بعض الشيء، كما أن له ميولاً خاصة، ولكنه طبيب ماهر، هناك طبيب أفضل منه. وله شريك شاب يدعى دكتور دونالدسون، وهو مصري. بعض الناس يرون أنه طبيب أفضل، وهناك طبيباً دكتور هاردينج، وأظن لا يعمل كثيراً".

"أظن أن دكتور جرينجر كان الطبيب الخاص للآنسة أرونديل؟"

"أوه، نعم. لقد أنقذها عدة مرات من وعكات صحية. إنه من ذلك النوع من الأطباء الذين يدفعونك دفعاً للحياة، سواء كنت ترغب في ذلك أم لا".

أوما بوارو برأسه.

قال بوارو: "المرء يحب أن يعرف القليل عن المكان الذي يريد العيش فيه. والأطباء الجيد أحد أهم الأشخاص الذين يجب أن تعرفهم".

"هذا صحيح تمامًا يا سيدي".

ثم طلب بوارو فاتورته التي أضاف إليها إكرامية كبيرة.

"شكرًا لك يا سيدي. شكرًا جزيلاً لك. أتمنى أن تعيش هنا معنا".

فقال بوارو متصنعاً: "أتمنى ذلك أيضاً".

ثم تحركنا من فندق جورج.

سألت بوارو عندما خرجنا إلى الشارع: "هل اكتفيت من ذلك يا بوارو؟"

"ولا بأقل درجة يا صديقي".

ثم التفت في اتجاه غير متوقع.

"إلى أين ستتجه الآن يا بوارو؟"

"إلى دار العبادة يا صديقي. قد أجد هناك شيئاً مهماً.. بعض اللوحات النحاسية، تذكارات قديمة". هزرت رأسي في شك.

لم يتفحص بوارو دار العبادة من الداخل بدقة؛ فبرغم وجود لوحات جدارية ومعروفة هناك، فقد تم ترميمها بعناية في العصر الفيكتوري، ولم يصبح لها أهمية تذكر.

بعد ذلك، طرح بوارو بعض الأسئلة في ساحة دار العبادة بطريقة بدت لا طائل من ورائها عن بعض النقوش الموجودة على الأضرحة، وعلق على عدد الوفاء في أسر معينة، وهو يتعجب بين الحين والآخر من غرابة اسم معين.

إلا أنني لم أندش عندما توقف أخيراً أمام الأضرحة التي كنت واثقاً بأنه يهدف إليها من البداية:

كانت هناك كلمات مطموسة بشكل جزئي على أضرحة رخامية مهيبه كثيرة عليها:

إحياءً لذكرى

جون ليفيرتون أرونديل

الجنرال ٢٤ الذي قاوم الثورة الهندية

توفي في ١٩ مايو عام ١٨٨٨

في الـ ٦٩ من العمر

"خُضَّ المعركة الصحيحة بكل ما أوتيت من قوة".

ماتيلدا آن أرونديل

توفيت في ١٠ من مارس ١٩١٢

"سوف تصعد روحي وأذهب لوالدي".

أيضاً

آجنس جورجينا ماري أرونديل

توفيت في ٢٠ من نوفمبر عام ١٩١٢

"سل وسوف تجاب".

هناك قطعة رخام جديدة، واضح أنها وضعت مؤخراً:

أيضاً

إميلي هاريت لافيرتون أرونديل

توفيت في الأول من مايو ١٩٣٦

"الوصية نافذة"

وقف بوارو ينظر في الضريح لبعض الوقت.

ثم لمت بصوت منخفض قائلاً:

الأول من مايو... الأول من مايو... وأتلقى خطابها اليوم؛ ٢٨ من يونيو.

ألا توافقني الرأي يا هاستينجز أن هذا الأمر بحاجة لتفسير؟

وافقتته الرأي.

بمعنى أنني رأيت أن بوارو كان مصراً أن يجد تفسيراً لهذا الأمر.

كانت المصاريح التي لاحظتها في زيارتنا الأولى لدراسة المكان، مفتوحة
لنا، وسعها استعداداً لزيارتنا. ولاحظت أن كل شيء أصبح نظيفاً تماماً ومعتنى
به من الواضح أن مضيفتنا كانت سيدة مهتمة بأدق التفاصيل.
"هذه غرفة المعيشة الصباحية يا سيدي".

ألقيت نظرة استحسان على الغرفة. كانت غرفة جميلة لها نوافذ طويلة تطل
على الشارع. كانت مفروشة بأثاث جيد وقوي، طرازه قديم، أغلبه ينتمي للعصر
الفرنكوفوني، باستثناء خزانة للكتب من تصميم شيبندل، ومجموعة جاذبة من
الكراسي من تصميم هيلوايت.

أصرفت أنا وبنواري بالطريقة المعتادة التي يتبعها الأشخاص وهم يتفرون
في المنازل. وقفنا في أماكننا بدون حراك، ننظر بعين الحيرة، ونقول بين الحين
والآخر "جميل"، "غرفة لطيفة". غرفة المعيشة الصباحية، أليس كذلك؟
فأدنا الخادمة عبر الردهة ومنها إلى الغرفة المقابلة في الجانب المقابل.
كانت غرفة أكبر بكثير.

"غرفة الطعام يا سيدي".

كانت هذه الغرفة ذات طابع فيكتوري؛ حيث ضمت طاولة ثقيلة من خشب
الماهوجني، وطاولة سفرة ضخمة من الماهوجني الضارب للون الأرجواني،
وأراليا مجموعة هائلة من الفاكهة المنحوتة، وحولها كراسي مغطاة بالجلد.
وعلى الحائط كانت هناك صور معلقة واضح أنها صور لعائلة.

واصل الكلب التريير نباحه في مكان منفصل. والآن اشتد الصوت فجأة. ومع
ازداد نباحه سمعنا صوت ركضه وهو يسرع بالمجيء عبر الردهة.
كان من الواضح أنه يقول: "من الذي أتى إلى المنزل؟ سوف أقطع أوصاله".
ومل إلى المدخل وهو يتنفس بقوة وسرعة.

قالت له مضيفتنا: "أوه يا بوب، أنت كلب سيئ. لا تكثر له يا سيدي. لن
يؤذيك".

وبالفعل بعدما تعرف بوب على الزوار، غير طريقته تماماً؛ حيث دخل الغرفة
والقدم نفسه إلينا بطريقة تنم عن الاستحسان.

الثامن

بداخل منزل ليتلجرين

بعدما غادرنا ساحة دار العبادة، سار بنواري بسرعة في اتجاه منزل ليتلجرين
ففهمنا أنه سوف يلعب هذه المرة دور المشتري المرتقب للمنزل. كان يمسك
ببطاقات الشراء المختلفة، واضعاً الطلب الخاص بمنزل ليتلجرين في المقدمة.
فدفع البوابة، وسار مباشرة نحو الباب الأمامي.

في تلك اللحظة لم نر صديقنا الكلب التريير، ولكننا سمعنا نباحه من داخل
المنزل، رغم أنه كان قادماً من مكان قريب - خمنت أنه المطبخ.

وعلى الفور، سمعنا وقع أقدام آتية من الردهة وانفتح الباب فظهرت سيدا
وجهها يسر الناظرين ما بين الخمسين والستين من العمر، يبدو عليها أنها من
ذلك النوع القديم من الخدم الذين نادراً ما أصبحنا نراهم هذه الأيام.

قدم بنواري أوراقه.

"نعم يا سيدي، لقد اتصل وكيل المنزل. هلأ دخلت من هذا الاتجاه يا
سيدي؟".

نبح وهو يتشمم أرجلنا وكأنه يقول: "مسرور برويتكما، معذرة على الضوضاء، ولكن لدي عملاً أقوم به. يجب أن أنتبه لكل من يدخل المكان كما تعرفان. ولكنها حياة مملة؛ لهذا أنا مسرور حقاً برويتكما. أظنني أروككما؟ كان هذا السؤال الأخير موجهاً لي عندما انحنيت وربت ظهره.

قلت للسيدة: "كلب صغير لطيف. أظنه بحاجة لقص شعره قليلاً".

"نعم يا سيدي؛ فعادة ما تقص شعره ثلاث مرات في العام؟".

"هل هو كلب عجوز؟".

"أوه، لا يا سيدي، إنه لم يتجاوز السادسة. وأحياناً يتصرف وكأنه جرو صغير، فيمسك بخف الطاهية ويجوب المنزل يتخبر به. إنه كلب لطيف للغاية. رغم أنك قد لا تصدقني في ذلك. الشخص الوحيد الذي يخرج لاستقباله هو رجل البريد؛ فهو رجل مقدس بالنسبة له".

كان بوب يتشمم قدمي بنطال بوارو، وبعدما عرف كل ما يمكنه معرفته، أخذ نفساً عميقاً (ممممممم، ليس شيئاً للغاية، ولكنه ليس شخصاً محباً للكلاب) ثم عاد لي وهو يميل رأسه على أحد جانبيه وهو يتطلع في ترقب.

واصلت مضيفتنا كلامها قائلة: "لا أعرف لماذا تذهب الكلاب دوماً إلى رجال البريد".

فأجابها بوارو: "المسألة مسألة منطق؛ فالكلب كائن ذكي، ويصنع توقعات وفقاً لوجهة نظره الخاصة. وهناك أشخاص قد يدخلون المنزل، وآخرون لا يدخلون المنزل. وهو الأمر الذي يتعلمه الكلب بسرعة. حسناً، من الشخص الذي يحاول دوماً كسب القبول، ويدق الباب مرة أو مرتين كل يوم، ومع ذلك لا يسمح له أبداً بهذه الفرصة؟ رجل البريد. واضح إذن أنه ضيف غير مرغوب فيه من وجهة نظر صاحب المنزل. ودائماً ما يخرج لمتابعة عمله، ولكنه يعود دوماً ويحاول مرة أخرى. إذن مهمة الكلب واضحة، وهي المساعدة في التخلص من الشخص غير المرغوب فيه، بل وعضه إن لزم الأمر. أمر منطقي للغاية".

ثم ألقى نظرة على بوب والابتسامة تعلو شفתיه.

"وأظنه كلب غاية في الذكاء".

"أوه، إنه كذلك يا سيدي، إنه مثلنا تقريباً؛ بالفعل بوب كذلك".

ثم فتحت باب غرفة أخرى.

"غرفة المعيشة يا سيدي".

كانت غرفة المعيشة تثير ذكريات الماضي. اتبعنت منها رائحة خفيفة لمزيج من أوراق الورد المجففة. فرش مهترى، وزخرفة الأزهار المرسومة عليها باهتة. والى هناك مطبوعات على الحائط ولوحات مرسومة بالألوان المائية. وضمت الممرضة أيضاً قدراً كبيراً من الخزف الصيني، لرعاة وراعيات غنم. كانت هناك أرائك مصنوعة من الصوف، وصور باهتة موضوعة في أطر فضية راقية، وكثير من الصناديق وعبوات الشاي. ولكن أكثر ما أبهرني كان مجموعة من الصور المصنوعة من أوراق الخزاف الملونة موضوعة أسفل حاملة أكواب. إحداهما مجلة دوار، والآخرى لقطة جاثمة على ركبتها.

أحاطتني أجواء زمن ماضٍ، زمن يتسم بكثرة وقت الفراغ، زمن الكياسة والدوايق، زمن "علية القوم من الرجال والنساء". كانت بحق غرفة استقبال الضيوف. هنا كانت السيدات يجلسن ويقمن بأعمال التطريز، وإذا ما حدث ولحن أحد الحاضرين المفضلين من الذكور سيجاراً، يتم تنفيذ الستائر والهوية الغرفة جيداً بعد تلك الواقعة!

ركزت انتباهي على بوب. كان جالساً بجوار طاولة صغيرة أنيقة ذات درجين هي في توجه يعكس الانتباه الشديد.

وبمجرد أن لاحظ أنني أنظر إليه، نبح بصوت قصير وحزين، وأخذ ينظر إلي من جانب الطاولة.

سألت: "ما الذي يريده؟".

بدا واضحاً أن اهتمامنا ببوب كان يرضي مضيفتنا، التي كان من الواضح أنها مغرمة به كثيراً.

"إنها كرتة يا سيدي. دائماً ما توضع في هذا الدرج. لهذا السبب يجلس هناك وبسأل".

تغير صوتها عندما تحدثت مع بوب بصوت عالٍ ومصطنع.

"لم تعد هناك يا حبيبي. كرة بوب في المطبخ. في المطبخ يا بوبي".

تحول بوب بنظرة بسرعة إلى بوارو.

بدا كأنه يقول: "هذه السيدة حمقاء، أما أنت فتبدو ذكياً. الكرات توضع في أماكن محددة، وهذا الدرج أحد هذه الأماكن. لطالما كنا نضع الكرة هنا. قطعاً الكرة في هذا الدرج. هذا التفكير منطقي، أليس كذلك؟".

قلت له: "إنها لم تعد هناك يا صديقي".

نظر إليّ في ريبة. وعندما خرجنا من الغرفة تبعنا بطريقة غير المقتنع. ألقينا نظرة على دواليب مختلفة، وحجرة الإيداع في الطابق السفلي، وغرفة صغيرة للمؤن: "هنا اعتادت السيدة أن تذهب الورود يا سيدي".

سألها بوارو: "بقيت مع سيدتك لفترة طويلة؟".

"أثنان وعشرون عاماً يا سيدي".

"وأنت تعتنين بالمنزل بمفردك؟".

"أنا والطاهية يا سيدي".

"هل أمضت هي الأخرى فترة طويلة مع الأنسة أرونديل؟".

"أربع سنوات يا سيدي — بعدما توفيت الطاهية القديمة".

"على فرض أنني سأشتري المنزل، هل أنت مستعدة للبقاء فيه؟".

احمر وجهها قليلاً.

"هذا لطف كبير منك يا سيدي، ولكنني سوف أتقاعد من الخدمة. لقد تركت لي سيدتي مبلغاً جيداً من المال، وسوف أذهب إلى أخي. سوف أظل هنا كرفيقة للأنسة لوسون حتى يباع المكان — لأعتني بكل شيء".

أوما بوارو برأسه.

في ذلك الصمت اللحظي سمع صوتاً ما.

"يوم، يوم، يوم".

تزايد صوت واضح وبدا كأنه قادم من أعلى.

قالت مبتسمة: "إنه بوب يا سيدي. لقد حصل على كرتة وهو يقذفها الآن على السلالم. إنها لعبته المفضلة".

بمجرد أن وصلنا إلى بداية السلم، وصلتنا كرة مطاطية سوداء أصبح صوتها ماثوفاً عندما استقرت في مكانها الأخير. أمسكت بالكرة ونظرت لأعلى. كان بوب واقفاً أعلى درجات السلم، مباعداً مخالفه، وهو يهز ذيله. فقذفت الكرة إليه، وأمسكها على نحو جيد، ومضغها للحظة أو اثنتين بسعادة واضحة. ثم وضعها بين مخالفه ودفعها للأمام بأنفه حتى سقطت على درجات السلم درجة درجة، وهو يهز ذيله بحماسة وهو يتابع تقدمها.

"سوف يظل على هذا النحو لساعات يا سيدي؛ فهي لعبته المعتادة، التي لا يملأها أبداً ولو ظل كذلك طوال اليوم. يكفي هذا الآن يا بوب. السادة لديهم أمور أخرى أهم من اللعب معك".

شجعنا الكلب على الدخول في حديث ذي طابع ودي. فساعدنا اهتمامنا ببوب وحبا إياه على كسر جمود الخادمة الطيبة الذي كان طبيعياً. وعندما صعدنا الماابق العلوي متجهين إلى غرف النوم، كانت مضيفتنا تتحدث معنا بطلاقة وهي تعطينا تقريراً مفصلاً عن فطنة بوب الرائعة. وظلت الكرة متروكة أسفل السلم. وعندما مررنا عليه، رمقنا بوب بنظرة تنم عن ازدراء شديد وسار متبخترًا بطريقة مهيبة لكي يستعيدنا. وعندما نظرنا ناحية اليمين، رأيته يأتي من حديد ممسكاً بإياها بضمه، يسير وكأنه رجل عجوز للغاية أجبره شخص لا يفكر على أن يقوم بمهمة ليست من واجبه.

بعدما أخذنا جولتنا في غرف النوم، بدأ بوارو في استدراج مضيفته للحديث. سألها: "كانت أنسات عائلة أرونديل الأربع يعشن هنا، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح يا سيدي، ولكن ذلك كان قبل مجيئي إلى هنا. عندما أتيت لم أجد سوى الأنسة أجنس والأنسة إميلي فقط، وتوفيت الأنسة أجنس بعد ذلك بفترة قصيرة. كانت أصغر أفراد العائلة. بدا غريباً أن تقضي نحبها قبل أختها".

"أظنها لم تكن قوية مثل أختها؟".

"لا يا سيدي. العكس هو الصحيح. الغريب أن الأنسة إميلي هي التي كانت ضعيفة الصحة. طوال حياتها وهي تذهب كثيراً إلى الأطباء. أما الأنسة أجنس فكانت قوية ونشيطة دوماً، ولكنها توفيت قبل أختها. وعاشت الأنسة إميلي

التي كانت ضعيفة منذ طفولتها حياة أطول من كل أفراد أسرتها. غريبة للغاية الطريقة التي تسير عليها الأمور".

"الغريب أن هذا الأمر يحدث كثيراً".

اخترق بوارو (أنا واثق من ذلك) حكاية طويلة عن عم مزيف لن أشغل نفسي بتكرارها هنا. يكفي أن أقول إنها تركت أثرها هنا؛ فحوارات الموت ومثل هذه الأمور كفيلة بأن تحرر لسان المرء أكثر من أي موضوع آخر. فبدأ بوارو في طرح أسئلة كان سينظر إليها بعين الشك قبل عشرين دقيقة فقط.

"هل استمر مرض الأنسة أرونديل لفترة طويلة؟"

"لا، لا أستطيع أن أقول ذلك يا سيدي. ظلت معتلة إذا كنت تفهم قصدي، لفترة طويلة، قبل شتاءين. وأصبحت في حالة سيئة للغاية؛ حيث أصيبت بالصفراء؛ فاصفر وجهها، كذلك عيناها".

"أها، نعم، صحيح — ذكره ذلك بابن عم بوارو الذي كان تجسيدا لمرض الصفراء".

"هذا صحيح — كما تقول يا سيدي. كانت مريضة للغاية، عزيزتي المسكينة. لم تستطع الحفاظ على صحتها. إن سألتني سأقول لك إن دكتور جرينجر لم يظن أنها ستصمد طويلاً. ولكنه كان يتبع معها طريقة رائعة؛ فقد كان يستأسد عليها، ويقول لها دوماً: "لك مطلق الحرية بأن تستلقي وتطليبي ضريحك الخاص؟". فكانت تحببه قائلة: "ما زلت أتمتع بشيء من المقاومة يا دكتور". فكان يجيئها "جميل، هذا هو ما أحب أن أسمعه منك". استعنا بمرضعة من المستشفى، وكانت تظن أن الأمر انتهى بالنسبة للأنسة أرونديل؛ بل إنها قالت للطبيب ذات مرة إنها ترى أنها تفضل ألا تضغط على سببتها العجوز وتجبرها على تناول الطعام، ولكن الطبيب هاجمها قائلاً: "هراء. اضغطي عليها؟ يجب أن تستأسي عليها لتأخذ جرعة الكمكلمات الخاصة بها". أعطيتها مرق اللحم في الساعة كذا وكذا، وملعقة صغيرة من عقار كذا. ولا أنسى أبداً أنه كان يختتم كلامه أغلب الأحيان بقوله: "أنت صغيرة يا فتاتي. أنت لا تعرفين كم يكون عنصر الصمود قوياً في السن المتقدمة. الشباب هم من يسقطون ويلقون نحيمهم لأنهم غير مهتمين بالدرجة الكافية التي تمكنهم من الصمود ومواصلة الحياة. أرني أي

البعض تجاوز السبعين من عمره، وسوف تجددين أنه مقاتل؛ شخص لديه الإرادة ومواصلة الحياة. وهذا صحيح يا سيدي؛ فدائماً ما نتعجب من روعة كبار السن حيويتهم والطريقة التي يحافظون بها على قدراتهم — ولكن كما كان الطبيب يقول إن هذا هو السبب الذي يجعلهم يعيشون لفترة طويلة ويصلون إلى هذه السن".

"ما تقولينه صحيح جداً، صحيح للغاية! وهل كانت الأنسة أرونديل من أولئك الناس — تنبض بالحياة، شغوفة بالحياة؟"

"أوه، نعم يا سيدي. كانت صحتها ضعيفة، ولكن عقلها كان نشيطاً للغاية. ولما كنت أقول، تغلبت على مرضها، وفاجأت الممرضة. وقفت من جديد تتباهى بشبابها، مرتدية ثيابها ذات الياقات والأكمام المنتصبة، وعادت تصدر أوامرها بإعداد الشاي طوال الوقت".

"تعافت بشكل جيد".

"هذا صحيح يا سيدي. طبعاً كان على الأنسة أن تتبع نظاماً غذائياً دقيقاً في البداية، فلم تكن تتناول سوى الأطعمة المسلوقة والمطهونة على البخار، دون (بوت أو دهون، ولم يكن مسموحاً لها بأن تتناول البيض أيضاً. كان أمراً مملأً للغاية بالنسبة لها".

"ولكن تبقى النقطة المهمة أنها استعادت عافيتها".

"نعم يا سيدي. طبعاً كانت تمر ببعض الوعكات، التي كنت أسميها نوبات الصفراء. لم تكن دوماً حريصة على طعامها، ولكنها أيضاً لم تكن خطيرة للغاية حتى النوبة الأخيرة التي انتابها".

"هل كانت مثل المرض الذي أصابها قبل عامين؟"

"نعم، النوع نفسه يا سيدي. تلك الصفراء اللعينة، ذلك اللون الأصفر البهيج، والمرض الشديد الذي أصابها وتبعاته. أخشى أن تكون هي من جلبته على نفسها، عزيزتي المسكينة؛ فقد تناولت الكثير من الأطعمة التي ليس عليها لناولها. ذات مساء، تناولت الكاري على العشاء، وكما تعرف يا سيدي فإن الكاري غني ودم بعض الشيء".

"جاء مرضها بشكل مفاجئ إذن؟"

"حسنًا، بدا الأمر كذلك، ولكن دكتور جرينجر قال إن المرض كان يتطور منذ فترة. فضلًا عن برودة الجو — فقد كان الجو متقلبًا للغاية — هذا إلى جانب إسرافها في تناول الأطعمة الدسمة".

"طبعًا كان بإمكان جليستها — الأُنسة لوسون: أليس كذلك؟ — أن تثنيها عن تناول الأطباق الدسمة؟"

"أوه، لا أظن أن الأُنسة لوسون كان تملك من الأمر شيئًا؛ فالأُنسة أرونديل لم تكن تتقبل أوامر من أي شخص".

"هل كانت الأُنسة لوسون معها في مرضها الأخير؟"

"لا، لقد جاءت بعده. ظلت معها طوال عام تقريبًا".

"أظن أنه كان لديها أصدقاء قبل ذلك؟"

"أوه، إلى حد ما يا سيدي".

قال بوارو مبتسمًا: "لم يبق رفاقها معها بقدر ما بقي خدمها".

احمر وجه المرأة.

"حسنًا يا سيدي. الأمر مختلف. لم تكن الأُنسة أرونديل تخرج كثيرًا، وبسبب كثرة انشغالها — توقفت عن الكلام.

نظر إليها بوارو للحظة ثم قال:

"أتفهم عقلية السيدات المسنات. إنهن يُقنن للتجديد، أليس كذلك؟ لعلهن يعتدن الشخص بكل ما فيه".

"حسنًا، هذا ذكاء كبير منك يا سيدي. لقد أصبت. عندما كانت سيدة جديدة تأتي، كانت الأُنسة أرونديل مهمة دومًا بأن تحدثها عن حياتها وطفولتها وأين كانت، ورأيها في مختلف الأمور. وبعد ذلك عندما تعرف كل شيء عنها، أظنها حسنًا، أظن أن كلمة تمل هي الكلمة الأنسب لوصف الوضع".

"بالضبط، وبينني وبينك، هؤلاء السيدات اللاتي كن يصاحبنها، لم يكن في العادة مثيرات، أو ممتعات للغاية، أليس كذلك؟"

"لا، بالفعل يا سيدي. أغلبهن كن مخلوقات يحبين الحياة. كن حمقاوات أغلب الوقت. وكانت الأُنسة أرونديل تفهمهن بسرعة، ثم كانت تجري تغييرًا لهن بشخص آخر".

"فهل كانت مرتبطة بالأُنسة لوسون بشكل استثنائي؟"

"أوه، لا أعتقد ذلك يا سيدي".

"ألم تكن الأُنسة لوسون لافقة للنظر بأي طريقة؟"

"لا أستطيع أن أقول ذلك يا سيدي؛ فقد كانت عادية في كل شيء".

"لقد أحببتها، أليس كذلك؟"

هزت السيدة كتفها قليلًا.

"الأمر لا علاقة له بالحب أو عدم الحب. كانت تهتم بأدق التفاصيل، خادمة محبوز عادية، مهتمة بذلك الهراء عن الأرواح".

بدا بوارو منتبهًا: "أرواح؟"

"نعم، الأرواح يا سيدي. كانت تجلس على طاولة مستديرة في غرفة مظلمة وبألها أشخاص ميتون ويتحدثون إليها. أجد هذا الأمر أبعد ما يكون عن الدين، فكما نعرف يجب أن ترقد الأرواح التي غابت عنا في مكانها الصحيح، والا تتركه".

"والأُنسة لوسون كانت تؤمن بالأرواح! هل كانت الأُنسة أرونديل تؤمن بها أيضًا؟"

أجابته الأخرى بسرعة وقالت: "كانت الأُنسة لوسون تريدها أن تكون كذلك"، قالت هناك نبرة سخرية في صوتها.

قال بوارو مستوضحًا: "ولكنها لم تكن كذلك؟"

"كانت السيدة عاقلة للغاية. ولكنني لم أقل إنها لم تكن تسليها؛ فقد كانت تقول لها إنها مستعدة لأن تقتنع بما تقوله. ولكنها كثيرًا ما كانت تنظر إلى الأُنسة لوسون وكأنها تقول لها: "عزيزتي المسكينة، كم أنت مسكينة لتصدقني ذلك لهذه الدرجة".

"فهمت، لم تكن تؤمن بذلك، ولكن هذه الحكايات كانت مصدر متعة بالنسبة لها".

"أنا آسفة يا سيدي. إنه خطأ بوب؛ فهو يترك كرتة هناك. وليس بإمكانك أن تراها من تحت السجادة القائمة. سوف تؤدي بحياة شخص ما في مرة من المرات. لقد سقطت سيدتي المسكينة بسببها ذات مرة. لعله السبب الذي أودى بحياتها".

وقف بوارو فجأة على السلالم.

"قلت إنها مرت بحادثة؟"

"نعم يا سيدي، ترك بوب كرتة هناك، مثلما يفعل كثيرًا، وخرجت السيدة من هرفتها وسقطت على السلالم مباشرة. كان من الممكن أن يؤدي ذلك بحياتها".

"هل تأذت كثيرًا؟"

"ليس كما تعتقد. كانت محظوظة للغاية كما قال دكتور جرينجر؛ فقد جرح رأسها قليلاً، والتوى ظهرها، وطبعًا عانت بعض الكدمات. ناهيك عن الصدمة المروعة. ظلت في سريرها ما يقرب من أسبوع، ولكن وضعها لم يكن خطيرًا".

"هل كان ذلك منذ فترة طويلة؟"

"قبل أسبوع أو اثنين من وفاتها".

انحنى بوارو ليستعيد شيئًا كان قد أسقطه.

"عذرًا - قللي الحبر سقط مني، ها هو".

ثم وقف مرة أخرى.

قال: "إنه طائش، أعني الكلب".

قالت السيدة بصوت متساهل: "أها، حسنًا، ليس بإمكانه عمل شيء يا سيدي. ومن الممكن أن يرتكب أي إنسان مثل هذه الغلطة. لم تكن السيدة تنام جيدًا بالليل، وكانت كثيرًا ما تستيقظ وتجتول في المنزل دون أن يرافقها أحد".

"كانت تفعل ذلك كثيرًا؟"

"أغلب الليالي. ولكن لم تكن الأنسة لوسون أو أي شخص يصاحبها".

التفت بوارو ناحية غرفة المعيشة مرة أخرى.

قال: "هذه الغرفة جميلة، أتساءل عما إذا كانت هناك مساحة في هذه الغرفة لحزنة كتبتي؟ ما رأيك يا هاستنجر؟"

بتفكير مشوش قلت بحذر إنه من الصعب البت في هذا الأمر.

"هذا صحيح يا سيدي. كنت أتساءل أحيانًا عما إذا كانت تستمتع بهذه الحكايات، أعني تحرك الطاولة، وغيرها من الأمور الخارقة للعادة. وكان البهيم يتعاملون بجدية شديدة مع هذه الأمور".

"البقية؟"

"الآنسة لوسون، والآنسة تريبي".

"هل كانت الآنسة لوسون من المؤمنين بمخاطبة الأرواح؟"

"كانت تؤمن بها إيمانًا راسخًا يا سيدي".

"وكانت الآنسة أرونديل مرتبطة كثيرًا بالآنسة لوسون بالطبع".

كانت المرة الثانية التي يطرح فيها بوارو هذا السؤال تحديدًا، ويتلقى الإجابة نفسها.

"حسنًا، من الصعب أن أقول ذلك يا سيدي".

قال بوارو: "ولكن طبعًا بما أنها تركت لها كل شيء. فإنها قطعًا كانت تحبها أليس كذلك؟"

وهنا طرأ تغيير فوري؛ حيث اختفت الإنسانة، وعادت الخادمة لرشداه فتوقفت عن الحديث وقالت بصوت لا تون له لا يخلو من استنكار:

"لا يجوز لي أن أتحدث عن المال الذي تركته السيدة لخادمتها؛ فهذا ليس من شأني يا سيدي".

شعرت بأن بوارو أفسد عمله؛ فبعدما كسب المرأة بطريقة ودية، كان في طريقه الآن لخسارة الميزة التي اكتسبها. ولكنه كان ذكيًا بالدرجة التي تمنعه عمل أي محاولة فورية لاستعادة الميزة التي خسرها. وبعد ملاحظة عادية عن حجم وعدد غرف النوم، اتجه ناحية أعلى السلالم.

كان بوب قد اختفى، ولكن بمجرد أن ذهبت أعلى السلالم، تعثرت وكادت أسقطه، ولكنني تشبعت بالدرازين كي أقف مرة أخرى، وعندما نظرت حولي أدركت أنني وضعت قدمي على كرة بوب التي ظلت متروكة أعلى السلالم.

اعتذرت السيدة بسرعة.

"نعم المقاسات خداعة. من فضلك خذ مسطرتي الصغيرة وقس عرضها وسوف أدونه".

أخذت المسطرة المثنية التي أعطانى إياها بوارو وأخذت مقاييس مختلفة تحت إشراف بوارو وأخذ هو يدونها على ظهر مظلوف.

تساءلت عن السبب الذي دفعه لاتباع هذه الطريقة غير المرتبة والغريبة بدلاً من أن يكتب في مفكرة جيبه عندما أعطانى المظلوف وهو يقول:

"هذا صحيح، أليس كذلك؟ لعل من الأفضل أن تتأكد بنفسك".

لم تكن هناك أرقام على المظلوف. بل كتب عليه:

"عندما نصعد لأعلى مرة أخرى، تظاهر بأنك تذكرت موعداً وسل عما إذا كان بإمكانك إجراء اتصال هاتفي. دع السيدة تنزل معك، وأخبرها قدر استطاعتك".

قلت له وأنا أمسك المظلوف: "هذا جيد، أظن أن الخزانتين ستكونان مناسبتين تماماً في المكان".

"ولكن من الأفضل أن تتأكد من ذلك. أظن أنه ليست هناك مشكلة في ذلك، أريد أن ألقى نظرة أخرى على غرفة النوم الرئيسية. أنا لست متأكداً من مساحة الحائط هناك".

"بالطبع يا سيدي، ليست هناك أي مشكلة".

صعدنا الطابق العلوي مرة أخرى. قاس بوارو عرض الحائط، وكان يتحدث عن الأوضاع الممكنة للسريـر، والدولاب المناسب وطاولة الكتابة، عندما نظرت إلى ساعتي وأبدت دهشة مبالغة وقلت:

"يا إلهي! هل تعرف أن الساعة الآن الثالثة؟ ما الذي سيظنه أندرسون؟ يجب أن أتصل به"، ثم التفت إلى السيدة وقلت لها: "اتساءل هل بإمكانك أن أستخدم هاتفك إذا كان لديك هاتف".

"لماذا، طبعاً يا سيدي. إنه في الغرفة الصغيرة الموجودة في الردهة. سوف أدلك إلى الطريق".

أزلت معي وأرتني مكان الهاتف، ثم دفعته لمساعدتي في البحث عن رقم هاتف في الدليل. في النهاية اتصلت بالسيد أندرسون في حي هارشستر. لحسن الحظ، أنه كان في الخارج وتمكنت من ترك رسالة قلت له فيها إن الأمر غير مهم، وأني سوف أتصل به في وقت لاحق!

عندما خرجت من الغرفة، وجدت بوارو نزل الطابق السفلي واقفاً في الردهة. قالت عيناه تلمعان بعض الشيء، ولكنني لم أفهم سبب حماسه، ولكنني أدركت أنه متحمس.

قال بوارو:

"بالطبع سبب سقوط سيدتك من أعلى درجات السلم صدمة كبيرة لها. هل بدت منزوعة من بوب وكرته بعد ذلك؟".

"من الغريب أن تقول ذلك يا سيدي. لقد أفلقها هذا الأمر كثيراً. كانت متحمسة للغاية حتى وهي تحتضر، وكثيراً ما كانت تهذي وتتحدث عن بوب وكرته، وتذكر شيئاً متعلقاً بصورة مواربة".

قال بوارو مفكراً: "صورة مواربة".

"بالطبع هذا غير منطقي يا سيدي، ولكنها كانت تهذي".

"لحظة، يجب أن أذهب إلى غرفة المعيشة مرة أخرى".

أخذ بوارو جولة في الغرفة يتفحص الديكورات والزخارف. وركز على وجه الخصوص على زهرية كبيرة عليها غطاء جذبت انتباهه كثيراً. لا أظنها كانت مصنوعة من الخزف الجيد. قطعة تنتمي للعصر الفيكتوري؛ عليها صورة بسيطة لكلب يلدج يجلس خارج باب أمامي وعلى وجهه تعبير حزين، كتب تحتها: في الخارج طوال الليل بدون مفتاح.

بدا بوارو الذي لطالما كنت أعرف أنه يتمتع بذوق برجوازي سيئ للغاية - معجباً بها كثيراً.

تمتم قائلاً: "في الخارج طوال الليل بدون مفتاح. هذه القطعة رائعة! هل هذا ينطبق على السيد بوب؟ هل يبقى أحياناً في الخارج طوال الليل؟".

سخرت قائلة: "حسنًا، لا أعرف شيئًا عنه".

أعمل ملاحظتها كانت تفتقد الترابط، ولكنها لم تترك مجالًا للشك فيما أعنيه إلين.

بعدما استجمعت فطنتها قالت ببطء:

"هل أنت الرجل الذي وجه الخطاب له إذن؟"

"نعم، أنا هيركيول بوارو".

كأغلب الناس، لم تنتظر إلين إلى الاسم الذي كان مكتوبًا على الطلب الذي قدمه إليها عند قدومه إلى المنزل. أومأت برأسها ببطء.

قالت: "هذا صحيح هيركيولس بوارو". أضافت س على الاسم الأول ونطقت حرف التاء الوارد في الاسم الأخير.

قامت متعجبة: "يا إلهي! سوف تفاجأ الطاهية".

قال بوارو بسرعة:

"لعله من الأفضل أن نذهب إلى المطبخ، وهناك بصحبة صديقتك بإمكاننا أن نناقش الأمر؟".

"حسنًا، إن لم تكن تمنع يا سيدي".

بدأت إلين حائرة بعض الشيء. بدا واضحًا أن هذا المأزق الاجتماعي كان جديدًا عليها، ولكن طريقة بوارو المباشرة طمأنتها واتجهنا على الفور إلى المطبخ؛ حيث شرحت إلين الموقف برمته إلى سيدة جميلة المحيا كانت ترفع الغلاية من على موقد الغاز.

"لن تصدقي ذلك يا أني. في الحقيقة هذا الرجل هو الذي أرسل إليه الخطاب — أعني الخطاب الذي وجدته في نشافة الورق".

قال بوارو: "تعرفان أنني يجب أن أظل محجوبًا عن الصورة". لعلك لخبريني كيف وصلني الخطاب في ذلك التاريخ المتأخر؟".

"حسنًا يا سيدي، في الحقيقة، لم أعرف ماذا عليَّ أن أفعل. لم يعرف كلانا ماذا نفعل، أليس كذلك؟".

"في بعض الأحيان يا سيدي. في بعض الأحيان. إنه كلب رائع يا سيدي، كلب رائع حقًا".

"أنا واثق أنه كذلك، ولكن حتى أفضل الكلاب —"

"أوه، هذا صحيح تمامًا يا سيدي، مرة أو مرتين خرج ولم يعد إلى المنزل حتى الساعة الرابعة صباحًا، ثم جلس أمام المنزل ينبج حتى سُمح له بالدخول". ومن الذي كان يفتح له الباب — الأنسة لوسون؟".

"حسنًا، أي شخص يسمعه يا سيدي. كانت الأنسة لوسون هي من فعلت ذلك آخر مرة. كان ذلك ليلة الحادث الذي تعرضت له السيدة. وجاء بوب إلى المنزل في الساعة الخامسة. فأسرعت الأنسة لوسون لتفتح له الباب قبل أن يحدث ضجة. كانت تخشى أن يوقظ السيدة ولم تخبرها بأن بوب لم يكن في المنزل حتى لا تقلقها".

"فهمت. ظنت أنه من الأفضل ألا تخبر الأنسة أرونديل بالأمر؟".

"هذا ما قالته يا سيدي. قالت بالحرف: "بالطبع سيعود؛ فدانًا ما يفعل ذلك، ولكنها قد تقلق عليه، ولا يجب أن يحدث ذلك"، لذلك لم نقل أي شيء".

"هل كان بوب مغرمًا بالأنسة لوسون؟".

"حسنًا، كان يزورها بعض الشيء إذا كنت تفهم ما أعنيه يا سيدي؛ فالكلاب قد تفعل ذلك. كانت طيبة معه، وتصفه بأنه كلب طيب ولطيف، ولكنه كان يزدرى طبيعتها ولم يكن يلقى بالآ على الإطلاق لما كانت تخبره بعمله".

أوما بوارو برأسه وقال: "فهمت".

وفجأة فعل شيئًا أدهشني كثيرًا.

أخرج خطابًا من جيبه، الخطاب الذي تلقاه هذا الصباح.

قال لها: "إلين، هل تعرفين أي شيء عن هذا الخطاب؟"

طراً تغيير ملحوظ على وجه إلين.

فتحت فاهما وحدقت في بوارو وعلى وجهها تعبير بدا مضحكًا للغاية يعكس الحيرة والارتباك.

أكدت الطاهية كلامها: "فعلاً، لم تعرف".

"أرأيت يا سيدي. عندما بدأت الآنسة لوسون في تنظيف المنزل بعد وفاة السيدة، تم اكتشاف الكثير من الأشياء أو التخلص منها. وكان من بينها نشافة الورق الصغيرة تلك، أظنهم يسمونها نشافة الورق. كانت جميلة للغاية، عليها زنبقة جميلة، كانت السيدة تستخدمها دوماً عندما تكتب وهي على السريير. حسناً، لم ترد الآنسة لوسون أن تعطيها لي مع غيرها من الأشياء الصغيرة وقالت إنها ملك للسيدة. فوضعتها في أحد الأدراج، ولم أخرجها منها سوى البارحة. كنت سأضع بعض أوراق التششيف الجديدة فيها حتى تكون جاهزة لاستخدامها. كان هناك جيب داخلها فأدخلت يدي فيه لأجد خطاباً بخط يد السيدة مطوياً فيها.

حسناً، كما قلت لم أعرف التصرف الصحيح الذي علي عمله. كان مكتوباً بخط السيدة، ورأيت أنها كتبه ووضعته هناك تنتظر أن ترسله في اليوم التالي، ولكنها نسيت أن تفعل، الأمر الذي كانت معتادة أن تفعله كثيراً، عزيزتي المسكينة. لقد نسيت ذات مرة إرسال أمر دفع أرباح الأسهم إلى البنك، ولم يعرف أي منا مكانه حتى وجدناه أخيراً في صندوق الرسائل الموجود على المكتب".

"هل كانت غير مرتبة؟"

"أوه، لا يا سيدي، العكس هو الصحيح. كانت تضع أشياءها دوماً في مكانها وتنظفها باستمرار. كان ذلك يمثل نصف المشكلة؛ فلو كانت تترك أشياءها حيث تستخدمها، لكان ذلك أفضل. ولكن ترتيبها لها ونسيانها كان أمراً دائماً الحدوث منها".

سألها بوارو وعلى وجهه ابتسامة: "أشياء مثل كرة بوب على سبيل المثال؟"

دخل الكلب التيرير الذكي متبخرراً من الخارج وحياناً مرة أخرى بطريقة ودودة للغاية.

"بالفعل يا سيدي. بمجرد أن ينهي بوب اللعب بكرته، كانت تعيدها لمكانها. ولكن لم تكن هناك مشكلة في ذلك؛ لأنه كان هناك مكان مخصص لها في الدرج الذي أريتك إياه".

"فهمت، آسف لمقاطعتك، أكملني كلامك. اكتشفت الخطاب في نشافة الورق؟"

"نعم يا سيدي، اكتشفته بهذه الطريقة، وسألت أني عما يجب أن أفعله. لم أريد أن أحرقه، وبالفعل لم يكن باستطاعتي أن أفتحه، ولم أر أنا ولا أني أنه يخص الآنسة لوسون بعدما ناقشنا الأمر قليلاً، فوضعت طابعاً عليه وركضت بسرعة إلى صندوق البريد وأرسلته".

التفت بوارو إليّ وتمتم قائلاً بالفرنسية:

"أرأيت".

لم أستطع أن أمنع نفسي أن أقول له بعداً:

"كم من الممكن أن يكون التفسير بسيطاً لهذا الحد؟"

ظننته بدا مكتئباً بعض الشيء، وتمنيت لو لم أتسرع بقول ذلك.

التفت إليّ الين مرة أخرى.

"كما يقول صديقي: كم من الممكن أن يكون التفسير بسيطاً عندما تلقيت خطاباً بتاريخ مضى منذ شهرين، اندهشت بعض الشيء".

"نعم، أظنك يجب أن تندش يا سيدي. لم تفكر في ذلك".

"وأيضاً، سأل بوارو ثم تابع كلامه: "أنا في مآزق صغير. هذا الخطاب، مهمة أئتمنتني عليها الآنسة أرونديل. مسألة شخصية للغاية". ثم تنحنى بقوة وقال: "والآن بعد وفاة الآنسة أرونديل يساورني بعض الشك عن الكيفية التي يجب أن أنصرف من خلالها. هل كانت الآنسة أرونديل سترديني أن أقوم بهذه المهمة في هذه الظروف أم لا؟ هنا صعب، صعب للغاية".

نظرت لكلا السيدتين إليه باحترام.

"أظنني كنت سأستشير محامي الآنسة أرونديل. كان لديها محام، أليس كذلك؟"

أجابته الين بسرعة:

"أوه، نعم يا سيدي، السيد بيرفيس بهارشستر".

"هل يعرف كل شئونها؟".

"أعتقد ذلك يا سيدي. كان يقوم بكل شيء من جانبها على حد ما أذكر. كما أنها أرسلت في طلبه بعد الحادثة التي حدثت لها".

"حادثة سقوطها من على السلم؟".

"نعم يا سيدي".

"متى حدث ذلك بالضبط؟".

دخلت الطاهية في الحديث مباشرة:

"كان ذلك بعد عطلة عيد الربيع الرسمية. أذكر ذلك جيداً؛ فقد بقيت في المنزل يوم العطلة الرسمية لأبني احتياجات الضيوف الذين كانوا في المنزل وأخذت إجازتي يوم الأربعاء بدلاً من ذلك".

أخرج بوارو من جيبه تقويمًا صغيراً.

"بالضبط، بالضبط. كان يوم عطلة عيد الربيع في الثالث عشر هذا العام. وكتب لي هذا الخطاب بعد ذلك بثلاثة أيام. من المؤسف أنه لم يُرسل. إلا أن الأوان لم يفت بعد". توقف عن الكلام للحظة، ثم أردف يقول: "أتصور أن — ممم — المهمة التي كانت تريدني أن أقوم بها مرتبطة بأحد — ممم — الضيوف الذين ذكرتهم منذ قليل".

قوبل هذا القول — الذي كان مجرد محاولة لا أمل فيها — باستجابة فورية. فقد ظهرت نظرة ذكاء سريعة على وجه إلين؛ فالتفتت إلى الطاهية التي أعطتها هي الأخرى نظرة إجابة.

قالت: "إنه السيد تشارلز".

فقال بوارو: "فقط لو تخبريني بمن كانوا بـ —".

"دكتور تانيوس وزوجته السيدة بيلا، والأنسة تريزا والسيد تشارلز".

"جميعهم أبناء عمومة؟".

"هذا صحيح يا سيدي. ولكن دكتور تانيوس بالطبع لم يكن من أقاربهم. في الواقع كان أجنبيًا، يونانيًا أو شيئًا من هذا القبيل على ما أظن. لقد تزوج

السيدة بيلا، ابنة أخت الأنسة أرونديل. أما السيد تشارلز والأنسة تريزا فهما أخ وأخت".

"أها، فهمت. كان حفلًا عائليًا. ومتى غادروا المنزل؟".

"أوه، صباح يوم الأربعاء يا سيدي. وجاء دكتور تانيوس والسيدة بيلا مرة أخرى في إجازة الأسبوع التالي؛ لأنهما كانا قلقين على الأنسة أرونديل".

"وماذا عن السيد تشارلز والأنسة تريزا؟".

"لهما في العطلة الأسبوعية التالية، التي سبقت وفاتها".

سمرت بأن فضول بوارو كان لا ينتهي أبدًا. ثم أرَّ هدفًا من استمراره في هذه الأسئلة. لقد وجد تفسيرًا للغز الذي كان يبحث عن إجابة له، وكنت أرى أنه كلما أوقف مبكرًا عن هذه الأسئلة كان ذلك أفضل.

بدت الفكرة كأنها انتقلت من عقلي إلى عقله.

قال: "حسنًا. لقد أفادتني المعلومات التي زودتني بها كثيرًا. يجب أن أستشير السيد بيرفيس، أظن الاسم صحيح؟ شكرًا جزيلاً على مساعدتكما".

الحنى وربت بوب.

"قلب شجاع! لقد أحببت سيدتك كثيرًا".

استجاب بوب بتواضع لهذا الثناء، وأملًا منه في قليل من اللعب، ذهب وأحضر قطعة كبيرة من الفحم. الأمر الذي بُخ عليه وأخذت منه قطعة الفحم. فرمقني بإشارة تبحت عن العطف.

بدا وكأنه يقول: "هاتان السيدتان، تقدمان لي الكثير من الطعام، ولكنهما لا يهتمان بروح رياضية".

قال بوارو وهو يومئ برأسه عدة مرات: "ليس بالبساطة التي تتخيلها يا هاستنجز"، ثم أردف يقول: "أنا أعرف شيئاً صغيراً لا تعرفه".

"أالله بشيء من التشكك: "وما هو؟".

"أعرف أن هناك مسماراً دق في حافة الحائط أعلى السلالم".

عادت فيه، فوجدت وجهه جاداً للغاية.

هناك بعد دقيقة أو اثنتين: "حسناً، لماذا لا يجب أن يكون هناك؟".

"السؤال يا هاستنجز هو لماذا يجب أن يكون هناك مسمار".

"وكيف لي أن أعرف. لعله سبب متعلق بأصحاب المنزل. هل هذا مهم؟".

"مهماً مهم. وأظن أنه ليس هناك سبب لدق مسمار في حافة الحائط أعلى السلالم. كما تم دهنه بعناية أيضاً، لكي لا يظهر".

"ما الذي ترمي إليه يا بوارو؟ هل تعرف السبب؟".

"أستطيع أن أتخيله بمنتهى السهولة. إذا أردت أن تشد خيطاً أو سلكاً قوياً أعلى درجات السلم تبعد قدماً عن الأرض، بإمكانك أن تربطها على أحد جانبي الدرابزين، ولكن من الداخل ستحتاج إلى شيء كالمسمار لتربطه فيه".

سحت قائلاً: "بوارو، أفصح عما تعنيه مباشرة بالله عليك؟".

"سديقي العزيز، أنا أعيد تمثيل حادثة كرة الكلب! هل تريد أن تسمع تمثيلي الأياها؟".

"لفضل".

"حسناً، ها هو. لقد لاحظ شخص ما عادة بوب بترك كرتة أعلى درجات السلم، وهذا الأمر غاية في الخطورة، قد يؤدي لحادثة". توقف بوارو عن الكلام للحظة، ثم قال بنبرة مختلفة بعض الشيء: "إذا أردت أن تقتل شخصاً ما يا هاستنجز، فكيف تبدأ في ذلك؟".

"أنا — في الواقع — لست أدري. اخترع دافعاً، أو شيئاً ما على ما أظن".

"الخذ أي إجراء — أؤكد لك — أمر صعب وخطير. ولكنك لست قاتلاً حذراً بل منع بدم بارد. ألم يخطر ببالك أن أسهل طريقة لإزاحة شخص ما من طريقك،

التاسع

إعادة تمثيل حادثة الكلب

قلت وبوابة منزل ليتلجربين تنغلخ من خلفنا: "وبعد يا بوارو، أمل أن تكون قد ارتحت الآن؟".

"نعم يا صديقي، ارتحت".

"حمداً لله على ذلك! تكشف كل الألغاز. لقد تجددت أسطورة الرفيدة الشريفة والسيدة العجوز الغنية. كما أن تأخر الخطاب وحتى حادثة كرة الكلب الشهيرة اتضحت بلونها الحقيقي. كل شيء اتضح الآن على نحو مُرضٍ كما يقول الكتاب!".

سعل بوارو سعالاً جافاً ثم قال:

"لن أستخدم كلمة مُرضٍ يا هاستنجز".

"لقد قلت ذلك منذ لحظات".

"لا، لا، لم أقل إن الأمر مُرضٍ، بل قلت إن فضولي الشخصي أصبح راضياً". أعرف حقيقة حادثة كرة الكلب".

"وقد كان هذا الأمر أيضاً غاية في البساطة!".

هو الاستفادة من حادثة؟ فالحوادث تحدث طوال الوقت. وأحياناً يا هاستنجز، يتم دفعها للحدث".

توقف للحظة ثم أردف يقول:

"أظن أن كرة الكلب التي تركت مصادفة أعلى السلالم أوحث للقاتل بفكر ما. كانت الأنسة أرونديل معتادة الخروج من غرفتها ليلاً والتجول في المنزل وبصرها لم يكن قوياً؛ فمن المحتمل جداً أن تتعثر فيها وتسقط مباشرة في السلالم. ولكن أي قاتل حذر لا يترك الأمور للصدفة. مجرد شد خيط أعلى درجات السلم سوف يكون أفضل بكثير. فمن شأنه أن يوقعها على أم رأسها مباشرة. وبعد ذلك عندما يأتيها أهل البيت مسرعين، يكون سبب الحادث واضحاً للجميع؛ وهو كرة بوب".

صحت قائلاً: "كم هذا مروع".

قال بوارو بجدية واضحة:

"نعم، هذا مروع... ولكن الفكرة لم تنجح... فلم تصب الأنسة أرونديل بأذى كبير رغم أنه كان من السهل أن تنكسر رقبته بمنتهى السهولة - الأمر الذي كان محيطاً للغاية لصديقنا المجهول! ولكن الأنسة أرونديل كانت سيدة عجوزاً ذكية للغاية. أخبرها الجميع بأنها انزلت على الكرة التي كانت موجودة فعلاً كدليل دافع، ولكنها عندما استرجعت الحادثة علمت أن الحادثة كانت لسبب آخر. علمت أنها لم تنزل على الكرة. كما أنها تذكرت شيئاً آخر؛ فقد تذكرت أنها سمعت نباح بوب لكي يتم السماح له بالدخول إلى المنزل في الساعة الخامسة صباح اليوم التالي".

"اعترف بأن هذا مجرد تخمين لما حدث، ولكنني موقن أنني محق فقد وضعت كرة بوب بنفسها الليلة الماضية في درجها. وبعد ذلك خرج ولم يعد إلى المنزل. في هذه الحالة ليس بوب هو من ترك هذه الكرة أعلى السلالم".

اعترضت على كلامه بقولي: "كل هذا مجرد تخمين يا بوارو".

اعترض قائلاً:

"ليس بالضبط يا صديقي؛ فلدينا الكلمات المهمة التي ذكرتها الأنسة أرونديل عندما كانت تهذي - شيء ذكرته عن كرة بوب "وصورة مائلة". فهمت ما أعنيه، أليس كذلك؟".

"مطلقاً".

"غريب. أنا أعرف اللغة الإنجليزية جيداً حتى أفهم أن المرء لا يتحدث عن صورة بوصفها مواربة؛ فالباب هو الذي يكون موارباً. ولكن وصف صورة بهذه الكلمة أمر غريب".

"أو مائلة ببساطة".

"أو مائلة ببساطة كما تقول. لذلك أدركت على الفور أن إلين أخطأت فهم الكلمات التي سمعتها. إنها كانت تتحدث عن صورة ما. وعندما ألقيت نظرة أخرى على غرفة المعيشة، وجدت زهرية بارزة من الخزف الصيني. وعندما تذكرت هذا الهديان نهضت وألقيت نظرة عليها عن كثب، فوجدت أن عليها صورة كلب كان في الخارج طوال الليل. أفهمت تسلسل أفكار السيدة المحمومة؟ كان بوب مثل الكلب الموجود في الصورة على الزهرية - في الخارج طوال الليل - وبهذا فإنه ليس من ترك الكرة على السلالم".

صحت بصوت عالٍ: فقد كنت أشعر بإعجاب رغمًا عني.

"يا لك من داهية يا بوارو! كيف تفكر في كل هذه الأمور".

"أنا لا أفكر فيها، ولكنها هناك - واضحة - لأي شخص لكي يراها. حسناً، أفهمت الوضع؟ أصبحت الأنسة أرونديل، وهي مستلقية على سريرها بعد تلك الحادثة، متشككة. وقد يكون هذا التشكك الذي شعرت به خيالياً وسخيفاً، ولكنه هل قائماً، كما كتبت بالحرف: "منذ حادثة كرة الكلب، انتابني الشك وشعرت بهدمل متزايد"، ثم كتبت خطاباً لي، ومن حظها العاثر أنه لم يصلني الخطاب حتى مر شهران على وفاتها. أخبرني الآن، ألا تجد خطابها متفقاً مع هذه الحقائق؟".

اعترف قائلاً: "بلي، هو متفق تماماً".

تابع بوارو كلامه:

"هناك نقطة أخرى مهمة يجب وضعها في الاعتبار. أليس من المفترض أن يصل قلق الأنسة لوسون البالغ من حقيقة وجود بوب خارج المنزل طوال الليل لمسمع الأنسة أرونديل؟"

"أظنها كانت —"

"أظن أن هذه الحقيقة يجب التفكير فيها بروية."

قلبت الأمر في رأسي للحظة أو اثنتين.

قلت له أخيراً وأنا أتهد: "حسنًا، الأمر كله مثير للاهتمام، تدريب ذهني جيد. اسمح لي أن أرفع القبة تحية لك. كان تمثيلًا متقنًا للحدث. من المؤسف حقًا أن السيدة العجوز توفيت."

"مؤسف حقًا. لقد كتبت تقول لي إن شخصًا ما حاول قتلها (فهذا ما كان) ترمي إليه في النهاية) وبعد وقت قصير للغاية، توفيت."

قلت له: "نعم، الشيء الذي سبب خيبة أمل كبيرة لك أنها توفيت بشكل طبيعي، أليس كذلك؟ هيا، اعترف بذلك."

هر بوارو كتفيه.

قلت له بنبرة لا تخلو من شر: "أو لعلك تظن أنها قتلت بالسم."

هر بوارو رأسه بشكل ينم عن إحباطه.

اعترف قائلاً: "قطعاً يبدو كأن الأنسة أرونديل توفيت لأسباب طبيعية."

قلت له: "لهذا سوف نعود إلى لندن ونحن نجر من ورائنا أذيال الخيبة."

"عذراً يا صديقي، ولكننا لن نعود إلى لندن."

صحت قائلاً: "ماذا تعني يا بوارو؟"

"إذا رأى كلب أرناباً يا صديقي، فهل يعود إلى لندن؟ لا، بل يدخل جحر الأرناب."

"ماذا تعني؟"

"الكلب يصطاد الأرناب. وهيركيول بوارو يصطاد القتلة. لدينا قاتل هنا، صحيح أن جريمته من الممكن أن تكون قد فشلت، ولكنه يظل قاتلاً. وأنا يا صديقي سوف أدخل الجحر وأتعبه، أو أتعبها لست أدري."

الفت بسرعة ناحية البوابة.

"إلى أين ستذهب يا بوارو؟"

"إلى الجحر يا صديقي. إنه منزل دكتور جرينجر الذي لازم الأنسة أرونديل في مرضها الأخير."

كان دكتور جرينجر رجلاً في الستين من عمره تقريباً. وجهه نحيف تبرز عظامه، وذو ذقن حاد، وحاجبين كثيفين، وعينين ذكيتين. انتقل بناظره مني إلى بوارو.

سأل بسرعة: "حسنًا، ماذا يمكنني أن أفعل لكما؟"

بدأ بوارو في الكلام بطريقة مصطنعة للغاية.

"يجب أن أعذر يا دكتور جرينجر على هذا التطفل. يجب أن أصارك على الفور بأنني ما جئتكم في استشارة طبية."

قال دكتور جرينجر على نحو جاف:

"سعيد بسماع ذلك. تبدو سليماً معافاً!"

تابع بوارو كلامه قائلاً: "دعني أشرح سبب زيارتي. حقيقة الأمر أنني أولف أهاباً عن حياة الجنرال أرونديل الذي أعرف أنه عاش في ماركيت بيسينج لسنوات قبل وفاته."

بدأ الطبيب مندهشاً بعض الشيء.

"نعم لقد عاش جنرال أرونديل هنا حتى وفاته؛ في منزل ليتلجرين، الواقع أعلى الطريق بجوار البنك، لعلك ذهبت إلى هناك؟"، فأوماً بوارو برأسه. "ولكنك أعرف أن هذا كان قبل مجيئي إلى هنا بفترة؛ فقد جئت إلى هنا عام ١٩١٩."

"ولكنك كنت تعرف ابنته الأنسة أرونديل؟"

"لقد عرفت إميلي أرونديل جيداً."

"أتعرف، كانت مفاجئة قوية أن أعرف أن الأنسة أرونديل توفيت مؤخراً."

"نعم في نهاية أبريل."

"علمت ذلك؛ فقد كنت أمل أن تعطيني تفاصيل شخصية عن ذكرى والدها."

"مفهوم مفهوم. ولكنني لا أعرف ما الذي بوسعي أن أقدمه لك".

فسأله بوارو:

"ليس للجنرال أرونديل أي أبناء أو بنات على قيد الحياة؟"

"لا؛ فقد قضى الجميع نحبه".

"كم كان عددهم؟"

"خمسة: أربع بنات، وولد".

"وفي الجيل التالي؟"

"تشارلز أرونديل وأخته تريزا. بإمكانك أن تصل إليهم. ولكنني لا أعرف ما

إذا كان ذلك سيفيدك أم لا؛ فالجيل الأصغر ليس مهتمًا كثيرًا بجده. أيضًا هناك

السيدة تانيوس، ولكنني أشك أنك ستعرف منها الكثير أيضًا".

"لعل بحودتهم أורافًا خاصة بالأسرة - مستندات؟"

"ربما، ولكنني أشك في ذلك؛ فقد تم التخلص من قدر كبير من الأوراق

وحرقه بعد وفاة الأنسة إميلي. أنا أعرف ذلك".

تأوه بوارو بشكل ينم عن خيبة أمل.

نظر إليه جرينجر بفضول، ثم قال له:

"لماذا أنت مهتم بالسيد أرونديل؟ لم أسمع يومًا أنه كان مهمًا بأي حال من الأحوال؟"

لمعت عينا بوارو من الدهشة لما سمعه ثم قال له: "سيدي العزيز، أليس

هناك حكمة تقول إن التاريخ لا يعرف شيئًا عن أعظم رجاله؟ وقد خرجت مؤخرًا

بعض الأوراق إلى النور والتي تلقي ضوءًا مختلفًا تمامًا عن موضوع الثورة

الهندية بالكامل. هناك سر تاريخي في هذه الثورة. وقد لعب جون أرونديل دورًا

كبيرًا في ذلك السر؛ فالهند والسياسة الإنجليزية المتعلقة بها أصبحت موضوع

الساعة".

قال الطبيب: "مممم. لقد سمعت أن المرحوم الجنرال أرونديل كان يتحدث

باستفاضة عن موضوع الثورة. في الواقع، كان يعتبر موسوعة في هذا الموضوع".

"من أخبرك بذلك. الأنسة بيبودي، بالمناسبة يمكنك أن تتصل بها. فهي أقدم
الآن في هذه البلدة، وكانت تعرف عائلة أرونديل عن قرب. كما أن القيل والقال
ممتعة حياتها. وهي في حد ذاتها تستحق أن تراها، من حيث الشخصية".

"شكرًا لك، إنها فكرة رائعة. لعل بإمكانك أيضًا أن تعطيني عنوان السيد
أرونديل الصغير، حفيد الجنرال أرونديل".

"تشارلز؟ نعم، بإمكانك أن أعطيك العنوان، ولكنه شيطان صغير غير مهتم
بمثل هذه الأمور؛ فتاريخ العائلة لا يعني له أي شيء".

"هل هو صغير للغاية؟"

"قال الطبيب وهو يغمز بعينه: "من الممكن أن يصفه رجل كبير مثلي بأنه
شاب، في بداية الثلاثينات - ذلك النوع من الشباب الذين يولدون ليمثلوا مشكلة
وعلى أسرهم. كل ما يتمتع به هو سحر الشخصية، دون أي شيء آخر. لقد
أففر إلى كل أنحاء العالم، ولم يفلح في أي مكان تقريبًا".

بادر بوارو يقول: "قطعًا كانت خالته مغرمة به؟ فكثيرًا ما يكون الأمر كذلك".

"ممممم، لتست أدري. فإميلي أرونديل لم تكن غبية. وعلى حد علمي لم
يأبج أبدًا في الحصول على أي مال منها. كانت سيدة قوية. لقد أحببتها، كما
أنت، أحترمها أيضًا. كانت محاربة قديمة بكل ما تعنيه الكلمة".

"هل كان موتها مفاجئًا؟"

"نعم بشكل ما. ضع في اعتبارك أن صحتها كانت ضعيفة منذ سنوات. ولكنها
انجرفت في تجاوز بعض الومعات الصحية".

"لقد سمعت قصة؛ اعتذر عن تكرار الشائعات - مد بوارو يده في
استكثار - شجارها مع عائلتها؟"

"قال دكتور جرينجر ببطء: "لم تتشاجر معهم بالضبط، لم يكن هناك شجار
واضح على حد علمي".

"معذرة. لعلني لم أحسن الحكم على ما سمعت".

"لا، لا؛ فهذه المعلومات ملك للجميع".

"وقد حرمت عائلتها كل أموالها، كما علمت؟"

"نعم، تركتها لجليسة مروعة كانت تتملقها دوماً. أمر غريب أن تفعل ذلك. لم أفهمه شخصياً. لم تكن كمادتها".

قال بوارو متأملاً: "أها، حسناً. يمكن للمرء أن يتخيل حدوث ذلك. عجوز ضعيفة ومعتلة. تعتمد كثيراً على الشخص الذي يرعاها ويعتني بها. سيدة ذكية تتمتع بشيء من سحر الشخصية بإمكانها أن تسيطر عليها إلى كبير".

بدت كلمة سيطرة كأنها كانت بمثابة علم أحمر رآه ثور.

ضحك دكتور جرينجر ضحكة تتم عن ازدراء شديد:

"سيطرة؟ سيطرة؟ لا شيء من ذلك! كانت إميلي أرونديل تعامل موسون معاملة أسوأ من المعاملة التي توليها لجليتها. وهي سمة ذلك الجيل. أية حال، السيدات الثلاثي يكسبن قوتهن بالعمل جلسيات عادة ما يكن حتماتاً. فلو كن يتمتعن بعقل لتمكن من عيش حياة أفضل. كانت إميلي أرونديل تتجاهل الحمقاوات بكل سعادة. كانت عادة ما تهلك سيدة مسكينة مرة كل عام. سيطرة لا شيء من هذا القبيل".

تعجل بوارو بدخول أرض لا يعرف مداها.

اقترح قائلاً: "هذا ممكن، لعل هناك خطابات أو مستندات تخص الأسرة في حوزة الأنسة... إيبه... لوسون؟".

وافقه جرينجر الرأي قائلاً: "ربما، عادة ما تكون هناك أشياء كثيرة محجوبة في مكان ما في منزل سيدة عجوز. لا أظن أن الأنسة لوسون وصلت ولو لنصفها. نهض بوارو من مكانه.

"شكراً جزيلاً لك دكتور جرينجر. لقد كنت كريماً معي للغاية".

قال الطبيب: "لا تشكرني. أسف لأنني لم أفعل أي شيء مفيد. الأنسة بيبودي هي أفضل فرصة أمامك. وهي تعيش في مورتون ماثور: التي تبعد ميلاً خارج المدينة".

تشمم بوارو باقة أزهار كبيرة على طاولة الطبيب.

الآن قائلاً: "جميلة".

"أهم، أظن ذلك. لا أستطيع أن أشمها بنفسي؛ فقد فقدت حاسة الشم. أصبحت بالأنفلونزا منذ أربع سنوات. اعتراف لطيف بالنسبة لطبيب، أليس كذلك؟" "داو نفسك أيها الطبيب". هراء. لم أعد أستمتع بالتدخين مثلما كنت في قبل".

"أسوء الحظ. بالمناسبة. سوف تعطيني عنوان أرونديل الصغير؟".

فأدنا إلى الردهة وهو يقول: "سوف أعطيه لكما"، ثم نادى قائلاً: "دونالدسون".

ثم قال لنا موضحاً: "إنه شريك. وهو خطيب أخت تشارلز؛ تريزا".

ثم نادى مرة أخرى: "دونالدسون".

خرج شاب من غرفة في نهاية المنزل. كان متوسط الطول له مظهر يخلو من أي لون تقريياً. وكان يتصرف على نحو حسن. كان صورة معاكسة تماماً للدكتور جرينجر.

فشرح الآخر ما يريده.

رأينا دكتور دونالدسون بعينه الزرقاوين الشاحبتين اللتين كانتا جاحظتين دائماً وكأنه يحاول قراءتنا. كان يتحدث بطريقة جافة ودقيقة.

"لا أعرف بالضبط أين تجدان تشارلز. بإمكانني أن أعطيكما عنوان الأنسة أوبرا. قطعاً ستوصلكما بأخيها".

أكد له بوارو أن هذا يفي بالغرض تماماً.

كتب الطبيب عنواناً على ورقة قطعها من مفكرته، ثم أعطاهما لبوارو، فشكره بوارو وودع الطبيب. وبينما كنا على وشك الخروج من الباب لاحظت وقوف الدكتور دونالدسون في الردهة وهو يمعن النظر فينا وعلى وجهه نظرة اندهاش بعض الشيء.

"لا أعرف لماذا يجب أن يكون كذلك؛ فهناك بلهاء يكتبون عن حياة غيرهم في البلهاء كل يوم. وهذا أمر منته كما تقول".

قلت وأنا أبتسم ابتسامة استهزاء: "هذه المرة الأولى التي أسمعك تصف نفسك بالبله".

قال بوارو ببرود: "أستطيع أن ألعب دوراً، كأني شخص آخر. أنا أسف جداً أنك لم تعجب بالقصة الصغيرة التي اخترقتها. أنا شخصياً راضٍ تمام الرضا عن نفسي".

هبرت الموضوع بقولي:

"ماذا تفعل بعد ذلك؟"

"هذا سهل. نركب سيارتنا ونذهب إلى مورتون مانور".

الضح أن مورتون مانور منزل كبير قبيح ينتمي للعصر الفيكتوري. استقبلنا في الخدم العجوز بشيء من التشكك ثم عاد على الفور ليسأل "عما إذا كان هناك موعد".

قال بوارو: "من فضلك أخبر الأنسة بيبودي بأننا من طرف دكتور جرينجر".

بعد انتظار دام بضع دقائق انفتح الباب ودخلت سيدة قصيرة سميئة الغرفة. كان شعرها الأبيض الخفيف مفروقاً بعناية من المنتصف. كانت ترتدي ثوباً أبيضاً قاتم اللون، ووبره مزال تماماً من عدة أماكن، وحول رقبتها أنشطة وروطة بشكل جميل عليها دبوس زينة مُطعم بحجر كريم.

دخلت الغرفة وهي تنتظر إلينا بطريقة تدل على ضعف بصرها. وعكست أول لمعاتها شيئاً من الدهشة.

"أليكم شيء للبيع؟"

قال بوارو: "لا يا سيدتي".

"أكيد؟"

"نعم، أكيد".

"ليست لديكما مكانس كهربية؟"

العاشر

زيارة إلى الأنسة بيبودي

سألت بوارو ونحن نخرج من المنزل: "هل من المهم أن تلجأ لهذه الأكاذيب بهذه الصورة يا بوارو؟"

هز بوارو كتفيه.

"إذا كان المرء سيكذب من الأساس، ولقد لاحظت بالمناسبة أن طبيعتك بعيدة كل البعد عن الكذب، ولكنها بالنسبة لي أمر في منتهى السهولة — قلت له: "لاحظت ذلك".

"كما قلت، إذا كان المرء سيكذب من الأساس، وقد تكون أيضاً كذبة فنية، أو كذبة رومانسية — كذبة مقنعة".

"هل تعتبر هذه كذبة مقنعة؟ هل تظن أن دكتور دونالدسون اقتنع بهذه الكذبة؟"

اعترف بوارو قائلاً: "هذا الرجل متشكك بطبيعته".

"لقد نظر إليّ في شك كبير".

"لا".

"جواب؟".

"لا".

"سجاجة؟".

"لا".

قالت الأنسة بيبودي وهي تجلس على كرسي: "حسنًا، هذا جيد. بإمكانك الجلوس".

جلسنا إذعانا لأمرها.

قالت الأنسة بيبودي بطريقة تنم عن اعتذار: "عذراني. يجب أن أؤذرك الحذر. أنتم لا تصوران الأشخاص الذين يأتون إلى هنا. الخدم ليس لهم نفع، ولا يستطيعون تحديد هوية الحاضرين. ولا يمكنني تومهم أيضًا، فهم يستخدمون أصواتًا مناسبة، ويرتدون ملابس مناسبة، ويذكرون أسماء صحبة فكيف يمكنهم أن يعرفوا القائد ريدجواي، السيد سكوا إدراجتون، كابتن أرس فيتزربيرت، أشخاص حسنو المظهر، بعضهم يكون كذلك، ولكن قبل أن تعرف أين أنت تجد لديك ماكينة إعداد الكريمة".

قال بوارو متحدًا بجذ:

"أؤكد لك يا سيدتي أنه ليست لنا علاقة بشيء من هذا النوع".

قالت الأنسة بيبودي: "قطعا تفهمان سخافة ذلك".

انهلك بوارو في سرد قصته، والأنسة بيبودي تسمعه دون أن تبدي أي تعاطف وهي تغمض عينيها الصغيرتين مرة أو مرتين، ثم قالت في النهاية:

"سوف تؤولف كتابًا، ها؟".

"نعم".

"بالإنجليزية؟".

"طبعًا بالإنجليزية".

"ولكنك أجنبي، أليس كذلك. هيا، اعترف، أنت أجنبي، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

ثم الجهد بناظرها نحوي.

"أملك السكرتير الخاص به؟".

"لا، تشكك: إرر، نعم".

"هل تستطيع أن تكتب إنجليزية جيدة؟".

"أهل ذلك".

"مهم، ما المدرسة التي تخرجت فيها؟".

"أيتون".

"أذن لن تستطيع ذلك".

استعمرت لأن أتخلى عن الدفاع عن نفسي من اتهام هذه السيدة العجوز بحدودة التعليم الذي تلقته؛ حيث عادت الأنسة بيبودي للنظر إلى بوارو مرة أخرى.

"سوف تكتب عن حياة جنرال أرونديل، صحيح؟".

"نعم، كنت تعرفينه على حد علمي".

"نعم عرفت جون أرونديل. كان يسرف في الشرب".

ساد صمت للحظات، ثم تابعت الأنسة بيبودي كلامها متأملة:

"الثورة الهندية، ها؟ يبدو الأمر لي بمثابة ضرب حصان ميت لإجباره على السير بسرعة، ولكن هذا شأنكما".

"لعرفين يا سيدتي أن هناك اتجاهًا لمثل هذه الكتابات. والهند أصبحت دولة العصر".

"ربما، ولكن الأمور تتغير، كما هي سنة الحياة".

الزمن الصمت.

قالت الأنسة بيبودي: "دائمًا ما تكشف الثورات عن وجهها القبيح". ثبتت أظفارها على بوارو، ثم قالت له: "والآن، ما الذي تريد أن تعرفه؟".

أشاح بوارو بيديه وقال:

"أي شيء! تاريخ الأسرة، الإشاعات. حياتهم المنزلية".

أما حسنًا، لقد توفي الاثنين الآن. كان زوجًا سعيدًا. هناك شيء يقال عن الزواج من سيدة عادية؛ حيث تعرف أسوأ ما فيها على الفور، كما أنها تكون مسئولة. وأخيرًا أجنس. كانت أصغرهم، وأجملهم. كنا نظنها ولدًا؛ فقد كانت سريعة الغيرة. هذا غريب، غريب أن تتذكر أنه لو كانت إحدى الأخوات ستزوج لكانت أهدس، ولكنها لم تتزوج. توفيت بعد وقت قصير من الحرب".

لنمتم بوارو قائلاً:

"قلت إن زواج السيد توماس كان غير متوقع".

أملتت الأنسة بيبودي تلك الضحكة من أعماقها مرة أخرى.

"غير متوقع؟ قطعًا كان كذلك، وقد تسبب في فضيحة كبيرة. لم نتصور أبدًا أنه سوف يتزوج؛ ذلك الشاب الهادئ الخجول، المنكمش على نفسه، والمخلص لأخواته".

لوقفت عن الكلام للحظة.

"أذكر قضية أحدثت ضجة في أواخر التسعينات؟ السيدة فارلي؟ كان من المعتقد أنها سممت زوجها بالزرنخ. كانت سيدة حسنة المظهر. لقد أحدثت هذه القضية ضجة كبيرة. وتم تبرئتها من هذا الاتهام. حسنًا لقد فقد توماس أرونديل عقله. كان معتادًا شراء كل الصحف وقراءة كل الأخبار المتعلقة بالقضية وفحص صور السيدة فارلي. أتصدق، عندما انتهت المحاكمة ذهب إلى لندن وطلب الزواج منها؟ توماس! توماس الهادئ الذي طالما كان يحب البقاء في المنزل! لا يستطيع أي شخص قراءة الرجال، أليس كذلك؟ كما أنهم عرضة للنزجار دومًا".

"وماذا حدث؟"

"أوه، لقد تزوجته".

"كانت صدمة كبيرة لأخواته؟"

"أظن ذلك؛ لم يكن يستقبلونها. لا أستطيع أن أؤمنهم في ذلك. لقد أساء توماس لنفسه على نحو قاتل. سافر ليعيش في جزر القنال ولم يسمع أي شخص هذه شيئًا بعد ذلك. لا نعرف ما إذا كانت زوجته سممت زوجها الأول. ولكنها لم

قالت الأنسة بيبودي: "لا أستطيع أن أخبرك أي شيء عن الهند. في الواقع أنا أمل الاستماع لحكايات الرجال الكبار المملة. كان رجلًا غريبًا للغاية، ولكنني أستطيع أن أقول كلمة واحدة في حق الجنرال. لطالما سمعت أن الذكاء غير مهم في الجيش. كل ما عليك هو أن تهتم بزوجة الكولونيل وأن تستمع باحترام إلى الضباط الذين يعلونك في الرتبة، وسوف تنجح، هذا ما كان والذي يقوله".

تعامل بوارو مع هذا الرأي العابر باحترام، ثم صمت للحظة أو اثنتين قبل أن يقول:

"كنت تعرفين عائلة أرونديل عن قرب، أليس كذلك؟"

قالت الأنسة بيبودي: "أعرفهم جميعًا. كانت ماتيلا أكبرهم، تغطي وجهها حبوب. كانت معلمة في مدرسة سانداي الدينية. وكانت مغرمة بأحد رجال الدين هناك. تصفها إميلي التي كانت تحسن ركوب الأحصنة. كانت الوحيدة التي بإمكانها أن تفعل أي شيء مع والدها عندما تعثر به إحدى ثوباته، فقد كان يسرف في الشراب، وكان يتم إخراج الكثير من الزجاجات من المنزل. كانوا يدفنونها بالليل. وبعد ذلك - دعني أتذكر من الأكبر؛ أرابيلا أم توماس؟ توماس على ما أظن. لطالما كنت أشعر بالحزن من أجله. رجل واحد وأربع بنات. هذا يجعل أي رجل يبدو أحرق. كان توماس أشبه بسيدة عجوز. لم يظن أي شخص أنه سوف يتزوج؛ فكان زواجه صدمة للجميع".

ضحكت الأنسة بيبودي ضحكة قديمة ثرية.

كان واضحًا أن الأنسة بيبودي مستمتعة للغاية. لدرجة أنها نسيت وجودنا تمامًا، وغرقت في ذكريات الماضي.

"ثم ولدت أرابيلا التي كانت فتاة بسيطة، وجهها أشبه بكعكة رقيقة، ورغم كونها أقل أبناء عائلتها جمالًا، فإنها تزوجت على الفور من أستاذ بجامعة كامبريدج. كان رجلًا عجوزًا للغاية، قطعًا كان في الستين من عمره. وقد قاد سلسلة من المحاضرات هنا؛ أظنها كانت عن عجائب الكيمياء الحديثة. لم زرتها ذات مرة، كان يتكلم بطريقة غير واضحة على حد ما أذكر. بسبب لحيته لم أستطع أن أسمع مزيدًا مما يقول. كانت أرابيلا معتادة أن تبقى في المؤخرة وتطرح أسئلة. لم تكن جبانة بطبيعتها. قطعًا كانت على مشارف الأربعينيات.

«كم بوارو، ثم تتمم قائلاً: "أفهم أن الأتيسة أرونديل توفيت وهي ثرية؟".

«اعتدت الأتيسة بيبودي في جلستها وجلست في وضع مريح على كرسيها.

"نعم، هذا هو ما سبب كل المشكلات! فلم يحلم أي شخص بأنها كانت ثرية لهذه الدرجة. فكيف جمعت كل هذه الثروة. لقد ترك جنرال أرونديل دخلاً كبيراً لها، قسم بالتساوي بين ابنه وبناته. وقد أعيد استثمار بعض هذا المال، وأعلن أن كل الاستثمارات سارت على نحو جيد. كانت لديهم أسهم ثابتة في شركة وورولد، والآن بالطبع حصل توماس وأرابيلا على نصيبهما بعد زواجهما. وعاش الاثنان الثلاثة هنا، ولم ينفقا عشر دخلهما المجمع، كان كله يعاد استثماره من جديد. وعندما توفيت ماتيلدا، قسمت أموالها بين إميلي وأجنس، وعندما توفيت أجنس، تركت أموالها إلى إميلي. وظلت إميلي لا تنفق سوى أقل القليل. ونتيجة لذلك، توفيت سيدة ثرية، وحصلت المرأة المدعوة لوسون على كل هذا المال!"

أخرجت الأتيسة بيبودي الجملة الأخيرة بنبرة انتصار، لا تخلو من شماتة.

"هل فاجأك هذا الأمر يا أتيسة بيبودي؟".

"كي أصدقك القول، فاجأني فعلاً! فقد صرحت إميلي عدة مرات قبيل وفاتها بأن أموالها سوف تقسم بين ابن وابنة أخيها وابنة أختها. وكان من المفترض أن يسير الأمر على هذا النحو من الأساس. فتترك جزءاً للخدم، ثم تقسم باقي الأموال بالتساوي بين تريزا وتشارلز وبيلا. يا إلهي! حدث لفظ كبير بعد وفاتها عندما اكتشفنا أنها صنعت وصية جديدة توصي فيها بترك كل أموالها إلى الأتيسة لوسون المسكينة!"

"هل كتبت الوصية قبل وفاتها؟".

رغمته الأتيسة بيبودي بنظرة حادة.

"أظن أنها كانت تحت تأثير معين. لا، أخشى ألا يكون الوضع كذلك. ولا أظن أن لوسون المسكينة لديها عقل أو أعصاب لتحاول عمل أي شيء من هذا القبيل. كي أصدقك القول، لقد بدت مندهشة تماماً كأني شخص آخر — أو قالت إنها كذلك!"

تسمم توماس؛ فقد ظل على قيد الحياة بعد وفاتها ثلاث سنوات، وقد أنجب منها طفلين، ولدًا وبنًا، حسناً المظهر يشبهان والدتهما.

"أظنهما كانا يأتيان إلى عمتهما كثيرًا؟".

"لم يحدث ذلك إلا بعد وفاة والديهما؛ فقد ظل في كنف والديهما. كانا يأتيان في الإجازات. كانت إميلي بمفردها في العالم في ذلك الوقت، وكانت بيبودي ييجز الوحيدة من أقاربها التي كانت تقيم معها.

"بيجز؟".

"ابنة أرابيلا. فتاة كئيبة، تكبر تريزا ببضع سنوات. ولكنها جعلت من نفسها أضحوكة. فقد تزوجت من شخص أسباني خريج الجامعة، طبيب يوناني، رجل ذي مظهر مروع، ولكنني يجب أن أعترف بأنه يتمتع بأخلاقيات ساحرة. حسناً لا أظن أن بيلا المسكينة أتحت لها الكثير من الفرص. قضت وقتها تساعد والديها أو تمسك الصوف لوالدتها التي كانت غريبة. ولكنها راققتها".

"هل زواجها سعيد؟".

"لا أحب أن أجزم بحالة أي زوجة يبدو أنهما سعيدان للغاية. ولديهما طفلان شاحبان، يعيشان في سميرنا".

"ولكنهما في إنجلترا الآن، أليس كذلك؟".

"نعم جاءوا في مارس. أظن أنهما سيعودان عما قريب".

"هل كانت الأتيسة إميلي أرونديل مغرمة ببنت أختها؟".

"مغرمة ببيلا؟ أوه، فعلاً. إنها سيدة كئيبة، غارقة مع أطفالها وشئون منزلها".

"هل وافقت على زواجها؟".

ضحكت الأتيسة بيبودي.

"لم توافق عليه، ولكنني أظن أنها كانت تحب هذا الوغد الذي يتمتع بعقل كبير، إذا سألتني عن رأيي سأقول لك إنه كان يتملقها بلطف. كان يضع عينيه على المال".

ابتسم بوارو من إضافتها الأخيرة.

تابعت الأنسة بيبودي كلامها قائلة: "لقد كتبت الوصية قبل وفاتها بعشر أيام. ويقول المحامي إنها صحيحة. حسناً، قد تكون كذلك".

مال بوارو للأمام وقال: "أتعنين —".

قالت الأنسة بيبودي: "أقول إن هناك خدعة في الأمر. هناك شيء تفوح منه رائحة نتنه".

"ما الذي تعنيه بالضبط؟".

"ألم تراودك فكرة كهذه! كيف لي أن أعرف أين الخدعة في ذلك؟ أنا لست محامية، ولكن هناك شيئاً غريباً في الأمر، تذكر كلامي".

قال بوارو ببطء:

"هل فكر أي شخص في الطعن في الوصية؟".

"أخذت تريزا رأي مستشار، على ما أظن. أرى أن استشارة كثير من المحامين أمر مفيد! فماذا يكون رأي تسعة محامين من أصل عشرة؟ لقد كنت في موقف مماثل: نصحتني خمسة محامين بعدم اتخاذ أي إجراء، فماذا فعلت؟ لم أهتم بكلامهم، وتقدمت بقضية، وربحتها أيضاً. وضعتني على منصة الشهود وحاول شاب ذكي من لندن أن يجعلني أبدو وكأنني أناقص نفسي. ولكنه لم ينجح في ذلك. قال لي: "لا يمكنك تحديد هذه الأنسجة بسهولة؛ فليس هناك علامة توضح صانعها".

"قلت: "قد يكون الأمر كذلك، ولكن هناك رقفاً في البطانة، ولا يمكن لأي شخص هذه الأيام أن يصنع رقفاً كهذا، أنا واثقة من ذلك". فانهار الشاب تماماً". ضحكت الأنسة بيبودي من أعماقها.

قال بوارو بحذر: "أظن أن — إرر — هناك عاطفة قوية بين الأنسة لوسون وأفراد عائلة أرونديل".

"ماذا تتوقع؟ أنت تعرف الطبيعة البشرية — دائماً ما تثير مشكلات بعد الوفاة. ومن الصعب أن يبرد أي رجل أو امرأة في كفته قبل أن يؤدي أغلب من هم في حداد عليه بعضهم بعضاً".

أنهد بوارو.

"صحيح جداً".

قالت الأنسة بيبودي بتسامح: "هذه هي الطبيعة البشرية".

أنهد بوارو لموضوع آخر.

"هل صحيح أن الأنسة أرونديل كانت تؤمن بالجلسات الروحية؟".

ردته الأنسة بيبودي بعينها الناقبة بحدة شديدة.

قالت: "إذا كنت تظن أن روح جون أرونديل عادت للحياة وأمرت إميلي أن تترك أموالها لميني لوسون وأن إميلي أطاعت الأمر؛ فأؤكد لك أنك مخطئ للغاية. إميلي ليست بهذه السذاجة. إن سألتني عن رأيي، أظنها كانت تجد الجلسات الروحية أفضل من لعب الألعاب الورقية. أرايت الأختين ترييس؟".

"لا".

"إن فعلت، لأدركت مدى سخافة الأمر. سيدتان مزعجتان. دائماً ما تعطيانك رسائل من أحد أقاربك، ودائماً ما تكون هذه الرسائل متضاربة. ولكنهما تصدقان هذه الرسائل، وهكذا كانت ميني لوسون. أوه، أظن أن طرق تمضية الأمسيات لديهن واحدة دوماً".

لجأ بوارو لخيوط آخر.

"أظنك تعرفين تشارلز أرونديل الصغير؟ أي نوع من الأشخاص تجدينه؟".

"عديم النفع، فتى ساحر، في حالة عوز مستمرة، كما أنه مدين على الدوام، وألماً ما يعود من رحلاته مثل القرش المعيب الذي يعود لصاحبه دوماً. إنه يعرف كيف يتحايل على السيدات ويدخل لهن من المدخل الصحيح". ضحكت ثم أزدفت تقول: "لقد رأيت شباباً كثيراً مثله تتهاافت النساء عليه! من المضحك أن ينجب توماس ابناً مثله. كان رجلاً رصيناً وقوراً؛ نموذجاً للاستقامة. صحيح أن العرق دساس، ولكنني رغم ذلك أحب هذا الوغد، ولكنه من ذلك النوع الذي يفتل جدته للحصول على شلن أو اثنين. ليست لديه أي أخلاقيات. غريب أن بولد بعض الناس بلا أخلاق بهذا الشكل".

"وماذا عن أخته؟".

"علم المداواة باللقاحات. أظنني نطقها بشكل صحيح. الفكرة أنك تخضع لعمل تحت الجلد بغض النظر عما تشعر به، خشية أن تصاب بمرض ما. ولكنني أعتقد لست مقتنعة بهذه الحقن القذرة".

"هل يجري دكتور دونالدسون أي تجارب معملية على مرض معين؟"

"لا تسألني، كل ما أعرفه هو أن عمله كممارس عام ليست مناسبة له؛ فهو يريد أن يقتل في لندن، ولكنه ليفعل ذلك يجب أن يحصل على مال، ولكنه فقير للغاية".

"نعم بوارو قائلاً:

"من المؤسف حقاً أن تعاق موهبة حقيقية بسبب نقص المال. بينما نجد لدى الصعبد الآخر أشخاصاً لا ينفقون ربع دخلهم".

"هالت الأنسة بيبودي: "كانت إميلي أرونديل من ذلك النوع. لقد فوجئ كثير من الناس عندما فتحت الوصية؛ فقد كان كمية المال أقل بكثير مما كان عليه".

"أعتقد أن ما كانت مفاجئة لأفراد عائلتها؟"

"هالت الأنسة بيبودي وعيناها تعكسان قدراً كبيراً من المتعة: "لا أقول نعم، ولا أقول لا. كان لدى أحدهم فكرة قوية عن الأمر".

"أيهم؟"

"السيد تشارلز. قام ببعض الحسابات على حسابه الخاص. تشارلز هذا ليس هرباً أبداً".

"ولكنه وغد، أليس كذلك؟"

"قالت الأنسة بيبودي بوحشية: "ولكنه ليس رجلاً ضعيفاً".

"التزمت الصمت للحظة ثم سألت قائلة:

"هل ستصل به؟"

"أجابها بوارو ببرازنة: "أنوي ذلك. أظن أنه من الممكن أن تكون لديه أوراق متعلقة بجده".

"تريزا؟". هزت الأنسة بيبودي رأسها وقالت ببطء: "لا أعرف. إنها مخلوقة غريبة. غير عادية. وهي مخطوبة لذلك الطبيب الضعيف الذي يعيش هنا. لعلك رأيته؟".

"دكتور دونالدسون".

"نعم، يقولون إنه بارع في مهنته. ولكن هذا الرجل النحيل تنقصه أشياء كثيرة. ليس من نوع الشباب الذين كانوا يحبونني في شبابي. ولكن تريزا لها تجاربها الخاصة — أنا واثقة من ذلك".

"ألم يكن دكتور دونالدسون يتابع حالة الأنسة أرونديل الصحية؟"

"كان يفعل ذلك في عطلات دكتور جرينجر".

"ولكنه لم يفعل ذلك في مرضها الأخير".

"لا أعتقد ذلك".

قال بوارو وهو يرسم ابتسامة على شفتيه:

"أظنك يا آنسة بيبودي لا تعترفين به كطبيب؟"

"لم أقل ذلك أبداً، بل إنك مخطئ في الحقيقة. إنه ذكي للغاية، كما أنه بارع في عمله، ولكنه ليس من النوع الذي يعجبني. على سبيل المثال، في الأيام الماضية عندما كان أي طفل يسرف في تناول التفتح الأخضر كان يصاب بتوبات صفراء. وكان الطبيب يصفها بذلك، وتعود لمنزلك ويرسل لك بعض فواتير الجراحة. ولكن هذه الأيام، تسمح أن الطفل يعاني ارتفاع الأحماض، وأنه يجب أن يتبع نظاماً غذائياً خاصاً، وتحصل على الأدوية نفسها، ولكن على شكل أقراص بيضاء مغلقة بشكل جيد يصنعها لك كيميائيون وتكلفك حوالي ثلاثة أضعاف التكلفة! دونالدسون ينتمي لهذه المدرسة، وضع في اعتبارك أن أغلب الأمهات الصغيرات يفضلن هذه الطريقة؛ لأنها تبدو أفضل. ولكن هذا الشاب لن يظل في مكانه يرعى مرضى الحصبنة وتوبات الصفراء. ولكنه يضع عينيه على لندن، وهو طموح، وبحاجة لأن يتخصص".

"في أي فرع؟"

"أغلب الظن أنه أحرقها: فهذا الشاب لا يكن أي احترام لمن هم أكبر منه".
قال بوارو بإيجاز: "على المرأة أن يطرق كل الأبواب".
قالت الأنسة بيبودي بطريقة جافة: "هذا صحيح".

لمعت عيناها الزرقاوان للحظة بطريقة بدت لا تسره: فنهض من مكانه.
"لا أريد أن أضيع وقتك أكثر من ذلك يا سيدتي. أنا ممتن للغاية لما أخبرني
به".

قالت الأنسة بيبودي: "لقد بذلت وسعي. يبدو أننا ابتعدنا كثيراً عن النور
الهندية، أليس كذلك؟".
قالت ذلك وهي تصافحنا.

ثم قالت لنا ونحن على الباب: "أبلغاني بموعد صدور الكتاب. أنا مهتمة كثيراً
بقراءته".

كان آخر ما سمعناه ونحن نغادر الغرفة ضحكة ثرية من أعماقها.

الحادي عشر

زيارة إلى الأنستين تريب

قال بوارو ونحن ندخل مرة أخرى السيارة: "والآن، ماذا سنفعل بعد ذلك؟".
كنت قد تعلمت من التجربة، لذلك لم أكرر اقتراح العودة إلى البلدة مرة
أخرى. وعلى أية حال، إذا كان بوارو يستمتع بنفسه بطريقته الخاصة، فلماذا
أعترض على ذلك.

أقترحت أن نتناول بعض الشاي.

"شاي يا هاستنجز؟ يا لها من فكرة! ضع الوقت في اعتبارك".

"لقد وضعته في اعتباري، أعني أنني نظرت إلى الساعة. الساعة الخامسة
والنصف. إنه الوقت المناسب لاحتساء الشاي".

تنهد بوارو.

"أنتم الإنجليز حريصون على احتساء الشاي بعد الظهيرة! لا يا صديقي،
ليس هناك وقت للشاي. لقد قرأت في كتاب عن قواعد السلوك وعلمت منه أن
المرء لا يجب أن يذهب لأي زيارة بعد الساعة السادسة: فالقيام بذلك خطأ كبير
في قواعد السلوك: لهذا أمامنا نصف ساعة نقوم فيها بمهمتنا".

"كم أصبحت اجتماعياً اليوم يا بوارو! إلى أين سنذهب الآن؟".

"إلى الأستين تريب".

"هل ستؤلف كتاباً عن الجلسات الروحية الآن، أم أنك ستواصل البحث في حياة الجنرال أرونديل؟".

"سيكون الأمر أبسط من ذلك بكثير يا صديقي. ولكننا يجب أن نعرف أين تقطنان".

كانت التعليمات واضحة ومباشرة بالقدر الكافي، ولكن كانت لها طبيعة محيرة بعض الشيء؛ فقد احتوت على كلمات تتحمل أكثر من معنى. اتضح أن الأستين تريب تقيمان في كوخ جميل، ولكنه قديم للغاية، فبدا كأنه سوف يتهار في أي لحظة.

فتحت الباب فتاة في الرابعة عشرة من عمرها تقريباً، اعتصرت نفسها بشق الأنفس في الحائط لتسمح لنا بدخول الكوخ.

بدا المنزل من الداخل غنياً بعوارض قديمة من البلوط، وكان هناك موقد كبير مفتوح، ونافذة صغيرة للغاية جعلت من الصعب أن نرى بوضوح. كان الأثاث كله ذا طبيعة مصطنعة تبدو بسيطة - مصنوعاً من شجر البلوط القديم يناسب ساكني الكوخ القديم - كان هناك قدر كبير من الفاكهة في طبق خشبي، وعدد كبير من الصور، لاحظت أن أغلبها لسيديتين اثنتين في أوضاع مختلفة - تحملان باقات من الزهور دوماً تضمامانها إلى صدريهما أو ترتديان قبعيتين كبيرتين من القش.

قالت لنا الطفلة التي فتحت لنا الباب بصوت خافت شيئاً ما ثم اختفت، ولكن صوتها كان مسموعاً بشكل واضح من الطابق العلوي.

"هناك سيدان يرغبان في رؤيتك يا آنسة".

سمعت أصواتاً أثنوية أشبه بقرقرة الصافير، وعلى الفور نزلت سيدة درجات السلم محدثة قدراً كبيراً من الصبر والهيف، واقتربت منا بسماحة.

كانت أقرب إلى الخمسين منها إلى الأربعين، وكان شعرها مفروقاً من المنتصف بشكل يوحي بالحشمة والوقار، وكانت عيناها بنيتين جاحظتين بعض الشيء. كانت ترتدي ثوباً قطنياً مشجراً يعطيك انطباعاً أنها ترتدي ملابس تنكرية.

اندم بوارو للأمام وبدأ في الحديث بطريقة منمقة للغاية:

"يجب أن اعتذر أولاً على المجيء بهذه الطريقة يا آنسة، ولكنني أواجه مشكلة. لقد جئت إلى هنا بحثاً عن سيدة معينة، ولكنها غادرت ماركيت بيسينج قبل لي ذلك تعرفين عنوانها".

"حقاً؟ ومن هي هذه السيدة؟".

"الآنسة لوسون".

"أوه، مني لوسون. طبعاً! إننا عز الأصدقاء. اجلس يا سيد - إررر -؟".

"باروتي يا عزيزي، وهذا كابتن هاستنجز".

تعرفت الآنسة تريب عليهما ثم أحدثت بعض الضجة. "اجلس هنا، من فضلك لا، أرجوك - تفضل. دائماً ما أفضل الجلوس على كرسي مستقيم. والان، أوافق أنك مرتاح هناك؟ عزيزتي الآنسة لوسون - أوه، ها هي أختي".

سمعنا المزيد من الصبر والهيف، ثم انضمت إلينا سيدة أخرى، ترتدي ثوباً قطنياً آخر يناسب فتاة في السادسة عشرة من العمر.

"أختي إيزابيل - السيد - إررر - باروت - و - إررر - كابتن هاستنجز. عزيزتي إيزابيل، هذان الرجلان أصدقاء مني لوسون".

كان جسد الآنسة إيزابيل تريب أقل امتلاءً من أختها، بل إنه من الممكن أن توصف بأنها نحيفة. وكان شعرها فاتح اللون، ولبط قدراً كبيراً منه لأعلى في خصلات مبعثرة. وكانت تتصرف كأنها فتاة صغيرة، فأدركنا على الفور أنها صاحبة القدر الأكبر من الصور التي رأيناها مع باقات الأزهار.

"كم هذا رائع! عزيزتي مني! هل رأيته مؤخراً؟".

قال بوارو: "لم أرها منذ سنوات؛ فقد فقدنا الاتصال ببعضنا تقريباً. كنت خارج البلاد، لهذا فوجئت وسررت عندما علمت أنها ورثت ثروة كبيرة من صديقة قديمة".

"هذا صحيح. وهي تستحقها للغاية! مني تتمتع بروح طيبة - بسيطة للغاية - ومخلصة جداً".

صاحت إيزابيل: "جوليا".

"نعم يا إيزابيل؟"

"كم هذا غريب. أتذكركين إصرار آلة الكتابة على كتابة حروف الليلة الماضية. زائر من وراء البحار يبدأ اسمه بالحرف ب."

وافقتها جوليا الرأي قائلة: "هذا صحيح فعلاً".

نظرت كلتا السيدتين إلى بوارو وكأنها سرحتا في عالم آخر، وعلى وجهيهما دهشة تنم عن فرحة.

قالت الأنسة جوليا: "إنها لا تخطئ أبداً".

"هل أنت مهتم يا سيد باروت بالتنجيم والجلسات الروحية؟"

"لدي تجربة بسيطة معها يا أنسة، ولكنني مثل أي شخص سافر كثيراً إلى الشرق، يجب أن أعترف أن هناك الكثير من الأمور التي لا يفهمها المرء ولا يمكن تفسيرها بطرق طبيعية".

قالت جوليا: "هذا صحيح. صحيح جداً".

تمتعت إيزابيل قائلة: "الشرق - منبع التبصر الروحي والتنجيم".

على حد علمي، لم يسافر بوارو إلى الشرق سوى في رحلة إلى سوريا امتدت إلى العراق، استمرت بضعة أسابيع تقريباً. ولكن مظهره الحالي يجعل المرء يقسم أنه قضى معظم حياته في الأدغال والحاتات، وتحدث كثيراً مع الدراويش والدجاجين والزعماء الروحيين.

على حد ما خمنت، كانت الأنستان تريب نباتيتين، تحملان الجنسية الإنجليزية، محبتان لتأمل حكمة الله، تؤمنان بالعلوم الدينية والروحية، عاشقتين لتصوير النواة.

قالت جوليا وهي تتنهد: "أحياناً يشعر المرء، بأن ماركيت بيسينج مكان يستحيل العيش فيه؛ فليس هناك أي جمال، وليس فيه روح. والمرء يجب أن تكون له روح، ألا توافقني الرأي يا كابتن هوكينز؟"

قلت وأنا محرج بعض الشيء: "طبعاً، أوه، طبعاً".

قالت إيزابيل وهي تتنهد: "حيثما تختفي الرؤيا، يموت الناس. كثيراً ما حاولت أن أناقش بعض الأمور مع رجال الدين، ولكنني لم أصل إلى نتيجة حتى الآن".

أردفت أختها تقول: "والأمر كله غاية في البساطة حقاً؛ فكما نعرف جيداً، كل ما نحتاج إليه هو البهجة والحب".

قال بوارو: "كما تقولان، كما تقولان. كم من المؤسف أن تنشب مشكلات أاجمة عن سوء فهم ونزاعات؛ خاصة إذا كانت متعلقة بالمال".

لنهدت جوليا قائلة: "المال مفسدة كبيرة".

قال بوارو: "أظن أن الرحلة الأنسة أرونديل كانت تهتدي بكلامكم؟"

نظرت الأختان لبعضهما.

قالت إيزابيل: "لست أدري".

قالت جوليا: "لم تتأكد من ذلك أبداً. كانت تبدو مقتنعة تماماً في لحظة معينة، ثم كانت تقول شيئاً بديناً للغاية".

ثم أردفت تقول: "أها، ولكنك تذكرين التجسد الأخير". ثم التفتت محدثة بوارو: "كان أمراً ملحوظاً للغاية. كان ذلك ليلة وفاة الأنسة العزيزة أرونديل. ذهبت أنا وأختي بعد العشاء وأقمنا جلسة هناك؛ نحن الأربعة فقط. أتعرف رأينا - رأينا نحن الثلاثة - بوضوح شديد، شيئاً أشبه بهالة يحيط برأس الأنسة أرونديل".

"نعم، كان أشبه بضباب منير". ثم التفتت لأختها وأردفت تقول: "أليس هذا هو الوصف الأنسب يا إيزابيل؟".

"نعم، نعم، إنه الوصف الأنسب، ضباب منير أحاط تدريجياً برأس الأنسة أرونديل - هالة من نور باهت. كانت علامة - عرفنا ذلك الآن - علامة على أنها على حافة الموت والانتقال إلى العالم الآخر".

قال بوارو بصوت مبهور: "أمر غير عادي. كانت الغرفة مظلمة، صحيح؟"

"أوه، نعم، دائماً ما نحقق نتائج أفضل في الظلام، وكانت ليلة دافئة؛ فلم نحتاج أيضاً إلى إشعال المدفأة".

قالت إيزابيل: "تحدثت إلينا روح مثيرة للغاية. كانت تدعى فاطيمة. قالت لنا إنها قضت نحبها أيام الحروب الصليبية. أتتنا برسالة جميلة".

"تحدثت إليكم فعلاً؟".

"لا، لم يكن صوتاً مباشراً، ولكنها تحدثت بصوت عال وبسرعة وقالت: الحب، الأمل، الحياة. كلمات جميلة".

"وكانت الأنسة أرونديل مريضة فعلاً في أثناء الجلسة؟"

"بل مرضت بعدها. أحضرنا بعض الشطائر والشراب، وقالت الرحلة الأنسة أرونديل إنها لن تتناول أي شيء لأنها ليست على ما يرام. كان ذلك بداية مرضها. الحمد لله أنها لم تتحمل الكثير من المعاناة".

قالت إيزابيل: "لقد توفيت بعد ذلك بأربعة أيام". ثم أردفت تقول بحماسة: "وحصلنا بالفعل على رسائل منها. تقول إنها سعيدة للغاية، وإن كل شيء جميل وأنها تتمنى أن يكون هناك حب وسلام بين كل من أحببت".

سعل يوارو.

"هذا — إرر — أخشى ألا يكون الأمر كذلك؟"

قالت إيزابيل: "لقد تصرف أقاربها بشكل مهين مع ميني المسكينة". احمر وجهها من شدة الغضب.

وافقتها جوليا الرأي وقالت: "ميني تتمتع بروح ليس لها مثيل على الأرض". "مضى الناس في الكلام عنها بطريقة قاسية للغاية — أنها خططت للحصول على المال الذي تركته لها"

"متى كانت دهشتها الكبرى —"

"لم تصدق أذنيها عندما قرأ المحامي الوصية —"

"لقد قالت لي ذلك بنفسها، قالت لي،" عزيزتي جوليا، لقد فوجئت كثيراً. تركت بعض المال للخدم، وسأترك منزل ليتلجرين وما تبقى من أموالي لفيلهلمينيا لوسون". كانت مندهشة للغاية وكانت تتحدث بصعوبة. وبعدما تماثلت نفسها، سألت عن التركة — كانت تظن أنها بضعة آلاف — ولكن السيد بيرفيس بعدما همهم، وتلعثم وتحدث عن أمور محيرة مثل الإجمالي، والصافي، قال إنها ستكون خمسة وسبعين ألفاً وثلاثمائة جنيه. فسقطت ميني المسكينة مغشياً عليها. كما قالت لنا".

كررت الأخت الأخرى كلامها: "لم تكن لديها أية فكرة. لم يخطر على بالها أبداً حدوث أمر كهذا".

"هذا ما قائلته لكما، أليس كذلك؟"

"أوه، نعم، كررت هذا الكلام مرات عديدة؛ وهذا هو ما جعل إصرار عائلة أرونديل على اتهامها شيئاً كريهاً للغاية — كانوا يتعاملون معها بلا مبالاة ورمالونها برغبة شديدة؛ فعلى كل، نحن في بلد حر —"

نمتم بوارو قائلاً: "يبدو أن الإنجليز يخطئون فهم هذه العبارة".

"أتمنى أن يتمكن كل إنسان من ترك أمواله كما يختار بالضبط! أظن أن الأنسة أرونديل تصرفت بحكمة شديدة. واضح أنها لم تكن تتق بأقاربها، وقطعاً كانت لديها أسبابها الخاصة".

مال بوارو ناحية الأمام باهتمام شديد وقال: "أها؟ فعلاً؟"

شجع هذا الاهتمام الزائف إيزابيل على مواصلة كلامها.

"نعم صحيح. فالسيد تشارلز أرونديل — ابن أخيها — شخص سيئ للغاية. هذا معروف تماماً! أظن أنه مطلوب للعدالة أيضاً في بعض الدول الخارجية. ليس شخصية محبوبة على الإطلاق. وبالنسبة لأخته، حسناً في الحقيقة لم يحدث شخصياً معها، ولكنها تبدو فتاة غريبة للغاية. عصرية جداً، وتكثر من استخدام مساحيق التجميل. منظر فيها يجعلني أشعر بالغثيان. يبدو مثل الدم. وأشك أيضاً أنها تتعاطى مخدرات؛ فقد كانت تتصرف على نحو غريب في بعض الأحيان. وهي مخطوبة بالمناسبة لذلك الشاب اللطيف دكتور دونالدسون، ولكنني أشعر أحياناً بأنه يشمئز منها في بعض الأحيان. طبعاً تصرفاتها جذابة، ولكنني أمل أن يعود لصوابه ويتزوج من فتاة إنجليزية لطيفة مغرمة بالحياة الريفية والذهاب لأماكن مفتوحة".

"وقريبتها الأخرى؟"

"حسناً، ها قد عدنا من جديد — غير جذابة على الإطلاق. ليس لدي شيء أقوله عن السيدة تانيوس — فهي سيدة لطيفة للغاية — ولكنها غبية جداً، كما أنها خاتم في إصبع زوجها. أظنه تركي. من المروع أن تتزوج فتاة إنجليزية من

"١٧ كلانويديين مانجونز، لا يبعد كثيراً عن وايتليز. أبلغها سلامنا وتحياتنا، هلا فعلت؟ لم نسمع عنها شيئاً مؤخراً".

هض بوارو من مكانه ففعلت مثله.

قال لهما: "أشكركما شكراً جزيلاً، على هذا الحديث الممتع والمشوق، وأيضاً على مساعدتكما لي أنا وصديقي بإعطائي عنوان صديقتي".

قالت إيزابيل متعجبة: "أتساءل لماذا لم يعطوه لك في المنزل. قطعاً إلين فعلت ذلك! الخدم يغارون كثيراً، كما أن عقولهم ضيقة. كانوا يتعاملون بوقاحة جديدة مع ميني في بعض الأحيان".

سافحت جوليا على طريقة الهوانم.

قالت له: "لقد استمتعنا بزيارتك. أتساءل -".

رقت أختها بنظرة تساؤل.

احمر وجه إيزابيل قليلاً: "لعل بإمكانك -" هلا بقيت وشاركتنا وجبة العشاء؟ وجبة بسيطة للغاية - بعض الخضراوات المقطعة، والخبز البني والزبد والفاكهة".

قال بوارو بسرعة: "تبدو شهية، ولكن يا إلهي! يجب أن أعود أنا وصديقي إلى لندن".

تصافحنا مرة أخرى وتبادلنا الرسائل التي سننقلها للأنسة لوسون، بعد ذلك هرجنا من الكوخ على الفور.

رجل أجنبي، على ما أظن، ألا توافقني الرأي؟ فهذا يعكس قدراً كبيراً من عدم القدرة على حسن الاختيار. طبعاً السيدة تانيوس أم طيبة للغاية، ولكن طفلها غير جذابين أبداً، مخلوقات صغيرة مسكينة".

"وهذا يجعلك تظنين أن الأنسة لوسون أكثر جدارة منهم بأن تحصل على ثورة الأنسة أرونديل؟".

قالت جوليا بهدوء:

"ميني لوسون سيدة طيبة للغاية. روحها ليس لها مثيل على الأرض. وهي لم تفكر أبداً في المال. كما أنها لم تكن طماعاً أو جشعة أبداً".

"ولكنها لم تفكر أبداً في رفض قبول التركة؟".

تراجعت إيزابيل قليلاً: "أوه، حسناً، من الصعب على المرء أن يفعل ذلك".

ابتسم بوارو.

"لا، ربما لا...".

أسرعت جوليا تقول: "أندري يا سيد باروت، إنها تعتبر التركة رمز ثقة - ثقة كبيرة تؤسستها فيها الأنسة أرونديل، ويجب أن تكون عند حسن ظنها".

وأقبعها إيزابيل تقول: "وهي مستعدة تماماً لعمل أي شيء تساعد به السيدة تانيوس وأطفالها الصغار. ولكنها لا تريد أن يحصل على هذا المال".

"بل إنها قالت إنها تفكر في ترك جزء من المال لثريزا".

"وأظن أن هذا كرم بالغ منها - رغم الطريقة المهينة التي عاملتها بها الفتاة".

"فعلأ يا سيد باروت، فميني إنسانة كريمة للغاية. طبعاً أنت أكثر الناس معرفة بها".

قال بوارو: "نعم، أعرفها. ولكنني ما زلت لا أعرف عنوانها".

"طبعاً! كم أنا غبية! هل أكتبه لك".

"أستطيع أن أكتبه".

أخرج بوارو مفكرته من جيبه.

"سوف تسعد يا هاستنجز عندما تعرف أننا انتهينا من بلدة ماركيت
بيسينج —".

"رائع".

"في الوقت الراهن فحسب. سوف أعود إلى هناك".

"هل ستستمر في تتبع القاتل الفاشل؟"

"بالضبط".

"هل خرجت بشيء من الكلام الفارغ الذي كنا نسمعه للتو؟"

قال بوارو بالضبط:

"كانت هناك نقاط معينة تستحق الانتباه. بدأت مختلف الشخصيات
في الدراما الخاصة بنا تتكشف بوضوح أكبر. ألا تشبه — بشكل ما — الروايات
المصيرة القديمة؟ الجليسة المتواضعة — التي كانت تعامل بازدراء من قبل —
أصبحت غنية وتلعب الآن دور السيدة الكريمة المعطاءة".

"أرى أن تصرفًا كهذا يثير بالضرورة غضب وحقد الأشخاص الذين
يعتبرون أنفسهم الورثة الشرعيين للتركة".

"كما تقول يا هاستنجز. هذا صحيح للغاية".

فقدنا السيارة في صمت لبضع لحظات، حتى خرجنا من بلدة ماركيت ببيسينج
وعندما مرة أخرى إلى الطريق الرئيسي. كنت أذندن لنفسي بصوت رقيق لحن
ألمانية: "أيها الرجل؛ لقد مررت بيوم مزدحم".

سألته بعد فترة صمت: "هل استمتعت بوقتك يا بوارو؟"

قال بوارو ببرود:

"لا أعرف بالضبط ما تعنيه بعبارة "استمتعت بوقتي يا هاستنجز".

قلت له: "حسنًا، أعني عملك خلال عطلتك".

"ألا تعتقد أنني جاد؟"

"أوه، أنت جاد بالقدر الكافي. ولكن يبدو أن هذا العمل غير عملي. أنت تفعل
ذلك لترضي نفسك على المستوى الذهني. أعني أن هذا ليس حقيقيًا".

الثاني عشر

بوارو يناقش القضية

قلت بحماسة شديدة: "حمداً لله يا بوارو. أنك أخرجتنا من كوخ هاتين السيدتين
غير الناضجتين! إنهما سيدتان مروعتان!".

"أحضرتنا شريحة لحم — مع بطاطس مقلية — وزجاجة من عصير طليهي
طازج. ترى ماذا كنا سنشرب هناك؟"

أجبت: وأنا أهز كتفي: "حسنًا، أظننا كنا سنشرب الماء. أو شراب تفاح خال من
الكحول؛ فهما من هذا النوع! أراهن أنه ليس لديهما حوض استحمام أو أدوات
صحية، لا شيء سوى حوض متواضع في الحديقة".

قال بوارو بتأمل: "من الغريب أن تستمتع سيدتان بعيش حياة غير مريحة
الفقر لا يكون السبب وراء ذلك دومًا، رغم أنهما تحستان العيش في أحلك
الظروف".

سألته، وأنا أخرج من آخر حارة جانبية، إلى الشارع الرئيسي لبلدة ماركيت
بيسينج: "بماذا تأمر السائق الآن؟ إلى أين سنذهب الآن؟ أم أننا سنعود إلى فندق
جورج ونسأل النادل المصاب بالربو مرة أخرى؟"

"على العكس، إنه حقيقي للغاية".

"لقد أسأت التعبير عما أعنيه. ما أريد قوله هو أنه إذا كان هناك مجال لمساعدة سيدتنا العجوز، أو حمايتها من هجوم آخر - حسناً ستكون هناك بعض المتعة. ولكن في الوضع الذي نحن فيه، لا أستطيع أن أمنع نفسي من التفكير أنها ماتت، فلماذا نشغل أنفسنا بها؟".

"في هذه الحالة يا صديقي، لن يحقق المرء في أي قضية قتل أبداً".

"لا، لا، لا، هذا أمر آخر، أعني أنه في تلك الحالة ستكون لديك جثة لللعنة".

"لا تغضب نفسك يا صديقي. أفهم جيداً ما تعنيه. أنت تتحدث عن وجوه جثة قتيل، وجثة شخص ميت. افترض على سبيل المثال أن الآتسة أرونديل توفيت جراء عنف مفاجئ ومباغت وليس نتيجة مرض استمر معها لفترة، هل ستظل غير مكترث بجهودي لاكتشاف الحقيقة؟".

"بالطبع لا".

"الأمر واحد، لقد حاول شخص ما أن يقتلها؟".

"نعم، ولكنه لم ينجح. هذا هو ما يحدث كل الفارق".

"أليس لديك فضول أبداً في الرغبة في معرفة من حاول قتلها؟".

"حسناً، لحد ما".

قال بوارو مفكراً: "لدينا دائرة محدودة للغاية. ذلك الخيط -".

قاطعه قائلاً: "الخيط الذي استنتجت وجوده لوجود مسمار في حافة الحائط! لماذا، لعل هذا المسمار كان موجوداً هناك من سنوات؟".

"لا، فالاطلاء كان جديداً".

"حسناً، ما زلت مقتنعاً أن هناك عدة تفسيرات لهذا الأمر".

"أعطني تفسيراً واحداً".

في تلك اللحظة لم أستطع أن أفكر في أي شيء معقول بالقدر الكافي فاستغل بوارو صمتي لكي يكمل حديثه.

"نعم، الدائرة المشتبه بهم محدودة. ذلك الخيط تم شده أعلى درجات السلم يوم كل من في المنزل. لهذا ليس أمامنا سوى سكان المنزل. وهذا يعني أن المرممة لا تخرج عن سبعة أشخاص: دكتور تانيوس، والسيدة تانيوس، وتريزا والشارلز أرونديل. والآتسة لوسون، والين، والطاهية".

"مبلغاً ستخرج الخدم من دائرة المشتبه بهم".

"لقد نالوا نصيباً من التركة يا صديقي، وقد تكون هناك أسباب أخرى - ذهنية - شجار - اختلاف - لا يمكن أن نجزم بذلك".

"أجد هذه الأسباب غير مرجحة".

"على غير العادة، أو أفكك الرأي في ذلك. ولكن على المرء أن يضع كل الاحتمالات في اعتباره".

"في هذه الحالة، يجب أن تفكر في شخص ثامن، وليس سبعة فقط".

"عمن تتحدث؟".

شعرت بأذني أوشك أن أحرق نقطة لصالحه.

"يجب أن تضع في اعتبارك الآتسة أرونديل نفسها. كيف تعرف أنها لم تشد ذلك الخيط عبر السلال لكي تسقط أحد أفراد المنزل أرضاً؟

هز بوارو كتفيه وقال:

"من الحماقرة أن تقول ذلك يا صديقي؛ فلو كانت هي من نصب هذا الفخ، لكانت ستتوخى الحذر ولما سقطت من على السلال. تذكر أنها هي من سقطت من على السلال".

تابع بوارو كلامه بطريقة تتم عن تفكير عميق:

"تسلسل الأحداث واضح تماماً - السقوط - الخطاب المرسل لي - زيارة المحامي - ولكن هناك نقطة تثير الريبة. هل امتنعت الآتسة أرونديل عن إرسال الخطاب لي عن عمد، أم أنها ترددت في إرساله؟ أم أنها افترضت أنه تم إرساله بمجرد كتابتها له؟".

قلت له: "لا يمكننا البت في ذلك. كل ما يمكننا عمله هو أن نخمن. أنا شخصياً أتصور أنها افترضت أنه تم إرساله. قطعاً تعجبت من عدم تلقيها أي رد...". كانت أفكارى مشغولة في اتجاه آخر.

سألته: "هل تظن أن هذا الهراء الروحي مهم بأي حال؟ أعني، هل تعتقد... رغم سخريه الأنسة بيبودي من الاقتراح... أن هناك أمراً صدر في إحدى هذه الجلسات الروحية، أنها يجب أن تغير وصيتها وتترك أموالها إلى الأنسة لوسون؟"

هز بوارو رأسه في تشكك.

"هذا الافتراض لا يتناسب مع الانطباع العام الذي كونته عن شخصية الأنسة أرونديل".

قلت وأنا غارق في أفكارى: "تقول الأختان تريب إن الأنسة لوسون فوجئت تماماً عند قراءة الوصية".

واقفني بوارو الرأي وقال: "هذا ما قالته لهما، صحيح".

"ولكنك لا تصدق ذلك؟".

"صديقي العزيز، أنت تعرف طبيعتي الشكاكة! أنا لا أصدق أي شيء يقوله أي شخص حتى يتم تأكيده أو إثباته".

قلت له بحب: "هذا صحيح يا صديقي. طبيعة دقيقة شديدة التشكك".

"هو يقول"، "هي تقول"، "هم يقولون"، أفا ماذا يعني ذلك؟ لا شيء على الإطلاق. قد تكون هذه الأقوال حقيقية تماماً، وقد تكون محض افتراء. أنا لا أخذ سوى بالحقائق".

"وما الحقائق؟".

"أن الأنسة أرونديل سقطت من على السلالم، لا جدال في ذلك. وكانت السقطة غير طبيعية، بل كان مخططاً لها".

"الدليل على ذلك هو أن هيركيول بوارو قال ذلك".

"هذا غير صحيح. الدليل هو وجود المسمار، وأيضاً خطاب الأنسة أرونديل لي. الدليل أن الكلب كان خارج المنزل في تلك الليلة. الدليل كلمات الأنسة

أرونديل عن الزهرية والصورة الموجودة عليها، وكرة بوب. كل هذه الأمور مماثل".

"أنتي بالحقيقة التالية من فضلك".

"الحقيقة التالية هي الإجابة عن سؤالنا المعتاد. من المستفيد من وفاة الأنسة أرونديل؟ أجب... الأنسة لوسون".

"جليستها الشريفة! على الصعيد الآخر، كان أفراد عائلتها يعتقدون أنهم يستفيدون من وفاتها. وأنهم سوف يستفيدون من الحادثة".

"بالضبط يا هاستنجز. لهذا السبب هم جميعاً في دائرة الشك. وهناك أيضاً حقيقة صغيرة، وهي أن الأنسة لوسون كلفت نفسها عناء منع الأنسة أرونديل من أن تعرف أن بوب كان خارج المنزل طوال الليل".

"هل ترى هذا الأمر مثيراً للريبة أيضاً؟".

"أبداً، ولكنها مجرد ملاحظة. قد يكون خوفاً طبيعياً أن تقلق سيدتها العجوز. حتى الآن، هذا هو أكثر تفسير محتمل".

نظرت إلى بوارو من الجانب. كان حائراً للغاية.

قلت له: "لقد أعربت الأنسة بيبودي عن رأيها بأن هناك "خدعة" في الوصية. ما الذي تعنيه بذلك في رأيك؟".

"أظن أنها طريقة خاصة بها في التعبير عن مختلف الأمور غير الواضحة وأسألاتها المثيرة للشك".

قلت بتفكير عميق: "يمكننا بذلك استبعاد وجودها تحت تأثير أمر غير مشروع. ومن الواضح أيضاً أن إميلي أرونديل كانت أعقل من أن تصدق سخافات مثل جلسات تحضير الأرواح".

"ما الذي يجعلك تقول إن جلسات تحضير الأرواح سخافات يا هاستنجز؟".

حدقت فيه في دهشة.

"عزيزي بوارو، هاتان السيدتان المروعتان...".

ابتسم.

"وأفكك الرأي في تقييمك للأختين تريب، ولكن مجرد حقيقة أن الأخذ بتريب نباتيتان متحمستان للعلوم الدينية، تؤمنان بحكمة الله والأمور الروحية يعني عدم أخذ كلاهما على محمل الجد! فسيده حقاء قد تخبرك بالكثير من الهراء عن جعران مزيف أخرجه من حبيبة تاجر وغد، ولكن هذا لا يجعلنا نأخذ موضوع علوم الآثار المصرية برمته!"

"هل تؤمن بالجلسات الروحية يا بوارو؟"

"أتعامل بعقل مفتوح مع الموضوع. لم أدرس أي من هذه الجلسات بنفسى ولكننى يجب أن أقبّل أن كثيراً من رجال العلم والمعرفة أكدوا وجود ظواهر لا يمكن تفسيرها لما نسميه خرافات الأختين تريب؟"

"إذن أنت تؤمن بمسألة ظهور هالة من نور حول رأس الأنسة أرونديل؟"

أشاح بوارو بيده.

"كنت أتحدث في العموم - أسخر من توجهك المتشكك دون منطلق. بإمكانى أن أقول إننى بعدما كنت رأياً قاطعاً عن الأختين تريب، فعلى أن أدرس بعناية أي حقيقة قدمتها لي. فالسيدات الحمقات يا صديقي العزيز حمقات، سواء تحدثن عن الجلسات الروحية، أو السياسة أو الاقتصاد أو البوذية."

"ولكنك استمعت لما ذكرته بعناية بالغة."

"كانت هذه مهمتي لهذا اليوم، أن أستمع - أن أستمع لرأي الجميع من الأشخاص السبعة المتهمين، وطبعاً بالأخص، الأشخاص الخمسة المستقبدين ونحن بالطبع نعرف حقائق معينة عن هؤلاء الأشخاص. خذ الأنسة لوسون على سبيل المثال، لقد عرفنا من الأختين تريب أنها كانت مخلصه، غير أنانية، لا مثيل لها على الأرض، شخصية جميلة بشكل عام. وعلمنا من الأنسة بيبودي أنها كانت حمقاء غبية، ليس لها عقل أو أعصاب لتخطط لأي جريمة. وعلمنا من دكتور جرينجر أنها كانت تداس بالأقدام، وأن منصبها كان مؤقتاً وأنها "دجاجة مذمورة، خائفة" على حد ما أتذكر. وتحدث عنها النادل واصفاً إياها بأنها مجرد "شخص"، وعلمنا من إلين أن بوب الكلب يحترقها! الجميع يراها من زاوية مختلفة - الأمر نفسه ينطبق على البقية، كما أن الجميع اتفق على أن أخلاق تشارلز ليست حميدة، وبالرغم من ذلك، تغيرت طريقتهم في الحديث

هذه. فدكتور جرينجر وصفه بأنه "شيطان صغير غير مهتم بشئون عائلته"، ورواها قالت الأنسة بيبودي إنه قد "يقتل جدته للحصول على شلن أو اثنين"، والآن واضح أنها تحب الشاب الوغد أكثر مما تحب "ذلك العصا". لم تشر الأنسة أرونديل إلى أنه قد يرتكب جريمة، بل إنه فعل ذلك مرة أو أكثر. هذه المعلومات العرضية مفيدة ومهمة للغاية، فهي تقودنا إلى النقطة التالية."

"وما هي؟"

"أن نكون حكماً الخاص يا صديقي."

مللنا ننتظر بضع لحظات حتى دخلت الغرفة فتاة نظرت إلينا في تساؤل.
كانت تريزا أرونديل تبدو في الثامنة أو التاسعة والعشرين من العمر. كانت
بلاهة ونحيفة للغاية، وكانت تبدو أشبه بلوحة مبالغ فيها مرسومة باللونين
الأبيض والأسود. كان شعرها أسود كالصمغ، تغطي وجهها مساحيق تجميل بكرة
وأنت شاحبة لدرجة الموت، يعطيك حاجبها المرسوم بشكل غريب إجمالاً
ومهاجرة ساخرة. وكانت شفاتها منبع اللون الوحيد على وجهها؛ فقد كانتا أشبه
بمروح قرمزي اللون في وجهها الأبيض. تعطيك تقاسيم وجهها انطباعاً بأنها
المرء بالحيوة مرتين على الأقل أكثر من غالبية الناس؛ فقد كانت تصرفاتها
مكررة إلى حد ممل، بسبب لا أعرفه بالضبط. وكأنها تتمتع بطاقة وحيوية
مرونة بفعل سوط لف حول رقبته.

بنظرة استفسار بارد، انتقلت بناظرها مني إلى بوارو.
بدافع الملل (تمنيت ذلك) من اللجوء للغش والخداع، قدم بوارو لصاحبة
المنزل بطاقة الخاصة. كانت تمسكها بين أصابعها، تقلبها بينها.
قالت: "أفترض أنك السيد بوارو؟".

الحنى بوارو بأفضل طريقة ممكنة لديه.
"لحت أمرك يا أنستي. أنسمحين لي بالدخول وأخذ بضع لحظات من وقتك
الأمين؟".

أجابته بطريقة تحاكي طريقته:
"مذهل يا سيد بوارو. اجلس من فضلك".

جلس بوارو بحذر شديد على مقعد مربع منخفض. بينما جلست أنا
على مقعد مستقيم من الكروم. وجلست تريزا بإهمال على مقعد منخفض لا
يظهر له موضوع أمام المدفأة. عرضت علينا سجائر، فرفضنا فأشعلت نفسها
واحدة.

"لعلك تعرفين اسمي يا أنسة؟".
أومات برأسها.

"صديق من شرطة إسكوتلاند يارد، صحيح؟".

الثالث عشر

تريزا أرونديل

في صباح اليوم التالي اتخذنا الطريق المؤدي إلى العنوان الذي أعطاه لنا دكتور
دونالدسون.

اقترحنا على بوارو أن زيارة السيد بيرفيس المحامي قد تكون فكرة طيبة.
ولكن بوارو عارض الفكرة بقوة.

"لا يا صديقي. ماذا سنقول له - ما الذي سنقدم به إليه طلباً لمعلومات؟"
"عادة ما تكون الأسباب حاضرة لديك يا بوارو! أي كذبة قديمة قد تلي
بالغرض، أليس كذلك؟".

"على العكس يا صديقي،" فأني كذبة قديمة "كما قلت لن تفي بالغرض، إن
تتطلي على محام. يجب أن نكون - ما التعبير الذي تستخدمه - لا يجب أن نسكن
النار على البنزين".

قلت له: "حسنًا، لا تجعلنا نخاطر بذلك".

هكذا - وكما قلت - بدأنا في رحلتنا وقصدنا شقة تريزا أرونديل.

كانت الشقة المعنية تقع في مبنى بـ تشلسي مطل على النهر. كانت مفروشة
بأحد الأثاث، تحتوي على بديوم لامع وسجاجيد سميكة عليها تصميمات هندسية
بديدة.

أظن أن بوارو لم يستمتع بهذا الوصف؛ فقال بشيء من الأهمية:

"أنا أشغل نفسي بالجرائم يا آنسة."

قالت تريزا أرونديل بصوت ينم عن السأم: "كم هذا مخيف، مع الأسف أضعت دفتر التوقيعات الخاص بي!"

تابع بوارو كلامه قائلاً: "المسألة التي أعمل عليها الآن هي أنني تلقى البارحة خطاباً من عمك."

انفتحت عينها الطويلتان المسحوبتان بعض الشيء قليلاً. ثم نفتت فداً كبيراً من الدخان.

"من عمي يا سيد بوارو؟"

"هذا ما قلته يا آنسة."

تمتمت قائلة:

"أنا أسفة أن أفسد حفلكما بأي طريقة، ولكن لم تعد لدي أية عمت! قال عماتي توفين والحمد لله. آخرهن توفيت منذ شهرين."

"الآنسة إميلي أرونديل؟"

"نعم، الآنسة إميلي أرونديل. أنت لا تتلقى خطابات من جثث أليس كذلك يا سيد بوارو؟"

"أحياناً أفعل يا آنسة."

"كم هذا مخيف!"

بدا شيء جديد في صوتها، نبرة انتباه وحذر مفاجئ.

"وماذا قالت عمتي يا سيد بوارو؟"

"هذا يا آنسة ما لا أستطيع أن أطلعك عليه الآن؛ فهذه —. سعل بوارو ثم واصل كلامه — "مسألة حساسة".

عمّ الصمت المكان للحظة أو اثنتين. دخنت تريزا أرونديل السيجارة ثم قالت:

"الأمر كله يبدو سريراً للغاية. ولكن ما شأني أنا به؟"

"أمل يا آنستي أن توافقي على الإجابة عن بعض الأسئلة."

"أسئلة؟ عن ماذا؟"

"أسئلة عائلية بعض الشيء."

السمعت عينها مرة أخرى.

"كلامك يبدو مبهماً للغاية! أرجو مزيداً من الدقة."

"طبعاً. هل يمكنك أن تعطيني عنوان أخيك تشارلز الحالي؟"

سأقت عينها من جديد، وكان مستوى طاقتها تراجع بشكل واضح.

"أخشى أنه لا يمكنني أن أفعل؛ فنحن لا نتراسل كثيراً، أظنه غادر إنجلترا."

"فهمت."

لزم بوارو الصمت للحظة أو اثنتين.

"هل هذا كل ما أردت معرفته؟"

"أوه، لدي أسئلة أخرى. هل أنت راضية عن الطريقة التي وزعت عمك بها أرونها؟ السؤال الثاني، منذ متى وأنت مخطوبة للدكتور دونالدسون؟"

"أنت تتنقل في عدة موضوعات، ألا ترى ذلك؟"

"حسناً؟"

"حسناً — بما أننا لا نعرف بعضنا، فإجابتي عن سؤالك هي أن هذا ليس من شأنك"، ثم ردت كلامها باللغة الفرنسية، "هذا ليس من شأنك يا سيد هيركيول بوارو".

لخصها بوارو للحظة أو اثنتين عن كئيب. ودون أن تبدو عليه أية علامة إهمال، نهض من مكانه.

"إذن الأمر كذلك! حسناً لعل هذا ليس غريباً. اسمحي لي يا آنسة بأن أهنتك على لغتك الفرنسية. وأتمنى لك صباحاً جميلاً. هيا يا هاستنجز."

وصلنا إلى الباب عندما تحدثت الفتاة. خطر على بالي مرة أخرى صورة الموط الذي يحيط برقبتها. لم تتحرك من وضعها ولكنها تفوهت بكلمة كانت هسيرة سوط.

قالت: "عدا".

أطاعها بوارو بهدوء. جلس من جديد ونظر إليها مستفسراً.

قالت له: "لنتوقف عن التظاهر بالحماقة؛ فمن الممكن أن تكون مفيداً بالنسبة لي يا سيد هيركيول بوارو".

"يسعدني ذلك يا آنسة، وكيف ذلك؟".

قالت بهدوء واعتدال شديدين بعدما نفث دخان السجارة:

"أخبرني كيف أكسر تلك الوصية".

"بالتطبع أي محام —".

"نعم، محام، ربما لو كنت أعرف محامياً مناسباً. ولكن كل المحامين الذين أعرفهم أشخاص محترمون! وقد قالوا إن الوصية صحيحة من الناحية القانونية وإن أي محاولة للطعن فيها ستكون تكلفة لا طائل منها".

"ولكنك لا تصدقين هذا الكلام".

"أعرف أنه دائماً ما تكون هناك طريقة لعمل الأشياء، إذا كنت لا تمانع استخدام أساليب تتنافى مع الضمير، وكنت مستعداً للدفع. حسناً، أنا مستعد لأن أدفع".

"وأنت واثقة أنني مستعد لأن أستخدم وسائل تتنافى مع الضمير إذا ما دفعت لي؟".

"وجدت ذلك ينطبق على أغلب الناس؛ ولا أرى سبباً يستثنيك منهم. ولكن الناس يتباهون دوماً في البداية بنزاهتهم واستقامتهم".

"هذا صحيح، هذا جزء من اللعبة، إيه؟ ولكن على فرض أنني كنت مستعداً لاستخدام وسائل تتنافى مع الضمير، ما الذي تظنين أن بإمكانني أن أفعله؟".

"لست أدري. ولكنك رجل ذكي. الجميع يعرف ذلك. بإمكانك أن تفكر في خطة ما".

"مثل؟".

هزت تريزا أرونديل كتفها.

"هذا عملك. اسرق الوصية أو ضع وصية مزيفة. اخطف لوسون وهدهدها إذا، سوف تقول إنها هددت العمة إميلي لكي تفعل ذلك. اصنع وصية أخرى".

"أوه إميلي العجوز وهي على فراش الموت".

"هيا لك الخصب يخيفني كثيراً يا آنسة".

"حسناً، ما رأيك؟ لقد كنت صريحة بالقدر الكافي. إذا كنت ترفض ذلك، فالأرباب من هناك".

قال بوارو: "أنا أرفض العرض — ولكن —".

ضحكت تريزا أرونديل وفطرت إلي.

قالت له: "صديقك يبدو مصدوماً. هلا تخرجه ونعطيه الفرصة لكي يلعب في الخارج؟".

التفت بوارو إلي وهو غاضب بعض الشيء وقال:

"أرجو أن تتمالك نفسك؛ فطبيعتك جميلة ونزيهة يا هاستنجز. أرجو أن أعادري صديقي يا آنسة؛ فهو نزيه كما رأيته. كما أنه مخلص أيضاً. وولاؤه لي مطلق. على أية حال، دعينيؤكد هذه النقطة". نظر إليها بصعوبة شديدة. "أيا كان ما نوشك على القيام به، سيكون قانونياً".

رفعت حاجبها قليلاً.

قال بوارو مفكراً: "القانون. فيه ثغرات كثيرة".

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت: "فهمت. حسناً هذا مفهوم. هل تحب أن نناقش نصيبك من الغنيمة، إذا ما أصبحت هناك غنيمة؟".

"هذا أيضاً مفهوم. شيء من الفتات، هذا كل ما أطلبه؟".

قالت تريزا: "أمرك نافذ".

مال بوارو ناحية الأمام.

"اسمعي الآن يا آنسة، في تسع وتسعين من إجمالي مائة قضية آخذت في العادة جانب القانون. ولكن في القضية المائة، المسألة تكون مختلفة بعض الشيء. فعلى جانب تكون مربحة للغاية... ولكن يجب تنفيذ الأمر بهدوء شديد،

أنفهمينني - بهدوء شديد للغاية؛ فسمعتي لا يجب أن تتأثر. يجب أن أتوكل الحذر".

وأمرت تريزا برأسها.

"و يجب أن أُلِمَّ بكل الحقائق الخاصة بالقضية! يجب أن أعرف الحقيقة تعرفين أنه بمجرد أن يعرف المرء الحقيقة يصبح من السهل أن يعرف الأكاذيب التي عليه استخدامها!"

"كلام معقول جداً".

"حسنًا، ممتاز. والآن في أي تاريخ كتبت الوصية؟"

"في ٢١ من أبريل".

"والوصية السابقة؟"

"كتبت العمة إميلي وصية سابقة قبل خمس سنوات".

"لصالح؟"

"بعد ترك جزء من المال لـ إلين وطاهية سابقة، تقسم كل التركة بين ابنتي

أخيها توماس، وابنة أختها أرابيلا".

"هل هناك حجوزات على هذه الأموال؟"

"لا؛ فهي ملك لنا".

"والآن انتهت جيداً. هل الجميع يعرفون بنود هذه الوصية؟"

"أوه، نعم أنا وتشارلز نعرفها، وبيلا أيضاً تعرفها. لم تخفها العمة إميلي

علينا. في الحقيقة، عندما كان أحداً يطلب منها قرضاً، كانت تقول له: "سوف

تحصل على كل أموالي عندما أموت. اسعد بهذه الحقيقة".

"هل كانت ترفض إقراضكم بعض المال في حالة المرض أو ظهور أي

ضرورة ملحة؟"

قالت تريزا ببطء: "لا، لا أظنها كانت تفعل ذلك".

"ولكنها كانت ترى أن كلاً منا لديه ما يكفيه؟"

"نعم، كانت ترى ذلك".

قالت هذه العبارة بمرارة واضحة.

"ولكنك لم تَرَي ذلك؟"

انتظرت تريزا لحظة أو اثنتين قبل أن تتحدث. ثم قالت:

"لقد ترك والدي لكل واحد منا ثلاثين ألف جنيه. فوائده هذا المبلغ - فوائده

أمة - كانت تصل إلى اثني عشر ألفاً في العام. فتقتطع ضرائب الدخل جزءاً من

هذا المبلغ، ويتبقى لنا دخل صغير نتدبر به شؤوننا على نحو مرض. ولكنني -

لهير صوتها، وانتصبت قامتها، وأرجعت رأسها للخلف؛ ظهرت كل الحيوية التي

استشعرتها فيها بوضوح شديد - "ولكنني أردت شيئاً أفضل من ذلك لحياتي!

أردت الأفضل! أفضل طعام، أفضل ملابس - ملابس فخمة - جمالاً - وليس

مجرد عيشة مناسبة بالطريقة المعتادة. أردت أن أعيش وأستمتع - أن أذهب

للبحر المتوسط وأسبح في مياه البحر الدافئة - أن أجلس حول طاولة وأراهن

بمبالغ كبيرة - أن أقيم حفلات - جامحة، غريبة، فخيمة، أردت كل شيء في هذا

العالم المتعفن - ولم أرده في يوم ما - أردت كل ذلك الآن!"

كان صوتها مثيراً ودافئاً ومفعماً بالحيوية على نحو رائع.

كان بوارو يفحصها بانتباه شديد.

"أظنك كنت تستمتعين بهذه الحياة؟"

"نعم يا هيركيول - حصلت عليها".

"وكم تبقى من الثلاثين ألفاً؟"

ضحكت على نحو مفاجئ.

"مائتان وواحد وعشرون جنيهاً، وأربعة عشر بنساً. هذا هو حسابي بالضبط.

أمنى أنني لن أدفع لك ثمن خدماتك إلا إذا وجدت نتائج ملموسة. بدون نتائج -

لن تحصل على أتعاب".

قال بوارو بطريقة عملية للغاية: "في هذه الحالة. قطعاً ستكون هناك

نتائج".

"أنت رجل صغير رائع يا هيركيول. أنا سعيدة بلقائنا".

تابع بوارو حديثه بطريقة عملية.

أومات برأسها.

"وهو أيضًا يحتاج إلى المال؟"

"بشدة، ولكن لأسباب تختلف عن أسابي؛ فهو لا يريد الثراء - أو العمل - أو المتعة - أو أي شيء من هذا القبيل. فهو لا يجد غرضًا في ارتداء بدلة واحدة حتى تتمزق، وأن يتناول قطعة مجمدة من اللحم كل يوم على الغداء، ومادة كبيرة، وأن يغتسل في حوض استحمام مكسور. ولكنه إن حصل على المال فهو جاهل كله لشراء أنابيب اختبار ومعمل بكل مستلزماته. إنه طموح. عمله يعني له كل شيء، حتى إنه يجده أهم مني."

"كان يعرف أنك ستحصلين على المال بوفاة الأنسة أرونديل؟"

"أخبرته بذلك. أودأ بعد خطبتنا. إنه لن يتزوجني للحصول على مالي إذا كان هذا ما ترمي إليه."

"هل ما زالت خطبتكما قائمة؟"

"طبعًا."

لم يجب بوارو. بدا صمته كأنه ألقاها.

كررت كلامها بحدّة: "طبعًا ما زلنا مرتبطين"، ثم أردفت تقول: "هل رأيته؟"

"رأيتُه البارحة في ماركيت بيسنج."

"لماذا؟ ماذا قلت له؟"

"لم أقل له أي شيء. سألتُه فقط عن عنوان أخيك."

تحدثت بصوت حاد من جديد: "تشارلز؟ ماذا تريد منه؟"

"تشارلز؟ من يريد تشارلز؟"

كان صوتًا جديدًا، صوت رجل مبتهج.

دخل شاب برونزي اللون ذو ابتسامة محبوبة الغرفة متبختّرًا.

سأل: "من يتحدث عني. سمعت اسمي في الردهة، ولكنني لم أكن أستمع."

السمع: فهم حريصون للغاية على عدم استراق السمع في مدرسة بورستال. والآن

يا تريزا، ماذا يحدث؟ أخبريني."

"هناك أشياء قليلة من الضروري للغاية أن أعرفها. هل تتعاملين المخدرات؟"

"لا، أبدًا؟"

"كحوليات؟"

"بكثرة، ولكن ليس حبًا فيها. ولكن رفاقي يشربونها فأشربها معهم، ولكن بإمكانني أن أقطع عنها غدًا."

"هذا مرض للغاية."

ضحكت.

"ولكن لا تظن يا هيركيول أن إسرافي في الشراب سيجعلني أكشف لك كل أوراقي."

تابع بوارو كلامه:

"علاقات صداقة؟"

"كثيرة في الماضي."

"والحاضر؟"

"ريكس فقط."

"أتعنين دكتور دونالدسون؟"

"نعم."

"يبدو بشكل ما غريبًا للغاية عن الحياة التي تحدثت عنها."

"نعم، هذا صحيح."

"ومع ذلك تهتمين به. ترى ما السبب؟"

"أوه، ما السبب؟ لماذا أحببت جوليت روميو؟"

"مع كل احترامي لشكسبير، كان أول رجل في حياتها."

قالت تريزا ببطء:

"ريكس لم يكن أول رجل رأيته - ليس منذ فترة طويلة". ثم أردفت تقول

بصوت منخفض: "ولكنني أعتقد - أشعر - بأنه سيكون آخر رجل أراه."

"وهو رجل فقير يا آنسة."

"ليس بالضبط. كنت أسأل عنك. وقالت لي أختك إنك سافرت للخارج."
قال تشارلز: "تريزا أختي حريصة للغاية. نادرًا ما ترتكب أي خطأ. في الحقيقة إنها متشككة لأقصى درجة".

ابتسم لأخته في حنو، ولكنها لم تبادله التبرسم في وجهه، بل بدت قلقة
مستغرقة في التفكير.

قال تشارلز: "طبعًا، يبدو أن الوضع أصبح معكوسًا؟ أنيس السيد بوارو
معروف بتعقبه المجرمين؟ طبعًا لا يساعدهم ولا يشجعهم على جرائمهم؟".
قالت تريزا بحدة: "نحن لسنا مجرمين".

قال تشارلز بعطف: "ولكننا مستعدان لأن نكون. أنا شخصيًا فكرت في
التزوير. هذا هو أسلوب المعتاد. لقد طردت من جامعة أوكسفورد لسوء تفاهم
بسيط متعلق بشيك. كان هذا الأمر صبيانًا للغاية. مجرد مسألة إضافة صفر.
ثم دخلت في شجار آخر صغير مع العمدة إميلي والبنك المحلي. طبعًا كانت
مماقة من جانبي. ولكن هذه المشكلات كانت على مبالغ صغيرة. فئة الخمسة
أو العشرة. ولكن طرح شخص على فراش الموت مخاطرة كبيرة. علينا أن نسيطر
على الإبن التي تتسم بالتصلب والجمود. هل كلمة نغريها بإدلاء شهادة زور هي
الكلمة الصحيحة؟ على أية حال، نغريها بأن تقول إنها شهدت ذلك. قد يحتاج
ذلك منا إلى بعض الأمور. وأخشى أن أضطر للزواج منها حتى لا تستطيع أن
التهدم بأي دليل ضدي بعد ذلك".

نظر لبوارو وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

قال له: "أنا واثق بأنك زرعت مسجل صوت سرّي وأن قسم شرطة
اسكوتلاند يارد يستمع إلينا الآن".

قال بوارو بلمسة توبيخ في صوته: "مشكلتك تهمني. طبيعي ألا أخطئ لأي
شيء غير قانوني. ولكن هناك طرقًا أخرى من —. توقف عن الكلام على نحو
جاد.

هز تشارلز أرونديل كتفيه العريضتين.

قال مصدقًا على كلامه: "ليس لدي أي شك أن هناك طرقًا منحرفة قانونية
أيضًا. الجميع يعرفون ذلك".

الرابع عشر

تشارلز أرونديل

يجب أن أعترف بأنني منذ الوهلة الأولى التي وقعت فيها عيناى عليه، تسلس إلى
قلبي إعجاب بتشارلز أرونديل. كان فيه شيء مبهج وسعيد يخلو من أي هم. عيناى
تلمعان بطريقة محبوبة ومبهجة، وكان يتمتع بابتسامة لم أر مثيلًا لها تجرد
من أي سلاح تحمله ضده.

دخل الغرفة وجلس على ذراع أحد الكراسي الضخمة المنجدة.

سأل قائلاً: "ما الذي يحدث هنا يا فتاة؟".

"إنه السيد هيركيول بوارو يا تشارلز. إنه مستعد لـ... إرر — عمل بعض
الألاعيب القذرة مقابل حصّة صغيرة من التركة".

صاح بوارو: "أعترض، ليست الألاعيب — دعينا نقل خداعًا بسيطًا لا ضرر منه
ولا ضرار. وهكذا تنفذ النية الأساسية لصاحبة الوصية؟ دعينا نقل ذلك".

قال تشارلز موافقًا: "قلها بالطريقة التي تحلو لك. أتساءل عما جعل تريزا
تفكر فيك؟".

قال بوارو بسرعة: "لم تفعل، جئت إلى هنا بملء إرادتي".

"تعرض خدماتك؟".

"من الذي شهد على الوصية - أعني الوصية التي كتبت في ٢١ من أبريل؟"
"أحضر بيرفيس كاتبه، وكان الشاهد الثاني هو البستاني".

"إذن وقَّعت في حضور السيد بيرفيس؟"

"نعم".

"أظن أن السيد بيرفيس له مكانته المرموقة؟"

قال تشارلز: "بيرفيس، بيرفيس، تشارلزورث وبيرفيس مرة أخرى محترم ولا غبار عليه تمامًا مثل بنك إنجلترا".

قالت تريزا: "لم تعجبه كتابة الوصية. بل إنني أظن أنه حاول أن يثني العمدة إميلي عن كتابتها".

قال تشارلز بجدّة:

"هل أخبرك بذلك يا تريزا؟"

"نعم، ذهبت لرؤيته مرة أخرى بالأمس".

"لا طائل من ذلك يا عزيزتي - يجب أن تتذكر ذلك، ولكن هذه الزيارات ستكلفك مزيداً من النقود".

هزت تريزا كتفيها.

قال بوارو:

"سوف أطلب منك أن تزوديني بمزيد من المعلومات عن الأسابيع الأخير"

في حياة الأنسة أرونديل. الآن، أعرف أنك وأخاك وأيضاً دكتور تانيوس وزوجته مكثتم هناك في عيد الربيع".

"نعم فعلنا".

هل حدث أي شيء مهم خلال تلك العطلة الأسبوعية؟"

"لا أعتقد ذلك".

"لا شيء؟ ولكنني ظننت -"

قاطعها تشارلز قائلاً:

"يا لك من مخلوقة أنانية يا تريزا. لم يحدث شيء مهم بالنسبة لك! أنت هارفة في حلم حب سخيف! دعني أخبرك يا سيد بوارو بأن تريزا لديها رجل أرق العينين يعيش في ماركيت بيسينج - أحد الجراحين المحليين. لهذا السبب لم تعد تدرك كل ما يحيط بها. في الحقيقة، سقطت عمتي الموقرة من أعلى السلالم مغشياً عليها تقريباً. أمنيّة تمتنتها. كان من الممكن أن تنقذنا من كل هذا الهراء".

"سقطت من أعلى السلالم؟"

"نعم، تعثرت في كرة الكلب. تركها كائن صغير ذكي أعلى السلالم فتعثرت فيها وسقطت بالليل".

"كان ذلك - متى؟"

"دعني أتذكر - الثلاثاء - عشية ليلة مغادرتنا".

"هل أصيبت عمتك بجروح بالغة؟"

"لسوء الحظ أنها لم تسقط على رأسها. لو فعلت لنزف مخها حتى الموت - أو أيًا كان الاسم العلمي لذلك. لا، من الصعب أن تقول إنها تأذت".

قال بوارو بطريقة جافة:

"أمر محبط لكما!".

"إيه؟ أوه، فهمت ما تعنيه، نعم، كما تقول، محبط للغاية. هؤلاء السيدات المسنات أشبه بثمرّة جوز لها قشرة صلبة".

"وغادرتم جميعاً المنزل صباح يوم الأربعاء؟"

"هذا صحيح".

"كان ذلك يوم الأربعاء الخامس عشر. متى كانت المرة التالية التي رأيت عمتك فيها؟". "حسنًا، لم تكن العطلة الأسبوعية التالية، بل التي تلتها".

"كان ذلك يوم - دعني أر - الخامس والعشرين، أليس كذلك؟"

"نعم، أظنه كذلك".

"طيباً تذكرين، أيتها الفتاة؟ قلت لك، إن العمة إميلي صنعت ما يشبه المسخة النهائية منها. جلست هناك وكأنها قاض في محكمة. وألقت خطبة قالت فيها إنها غير راضية عن كل أقاربها؛ أي أنا وتريزا. كما قالت إنها لا تكن أي شيء أبداً، ولكنها لا تحب زوجها ولا تثق به؛ فقد كان شعار العمة إميلي هو اشتر البريطانسي. كانت موقنة أن بيلا إذا ورثت مبلغاً كبيراً من المال، فسوف يحصل اندروس عليه بشكل أو بآخر. ثم مضت تقول "إنها في أمان أكبر كما هي الآن". ثم قالت إنها لا تأتمني أنا ولا تريزا على أموالها؛ فكل ما ستفعله بها هو أننا ننامر بها ونبعثرها. ثم أنهت كلامها بأنها كتبت وصية جديدة وأوصت بالتركة لها إلى الأنسة لوسون. قالت باللفظ "إنها حمقاء، ولكن روحها مخلصه. وأنا متأكدة أنها مخلصه لي. ليس ذنبها أن قدراتها العقلية محدودة. وجدت من العدل أن أخبركما بذلك، وكما تعرف يا تشارلز من المستحيل بالنسبة لك أن تجمع أموالاً مما تنتظره مني". كانت بشعة، هذا هو ما كنت أحاول أن أفعله".

سألته تريزا بحدة: "لمادا لم تخبرني يا تشارلز؟".

سأل بوارو:

"وماذا قلت يا سيد أرونديل؟".

قال بوارو بخفة: "أنا؟ ضحكت فحسب؛ فليس هناك طائل من الغضب. كما أنها ليست الطريقة المثلى للتصرف. قلت لها: "كما تشائين يا عمتي إميلي. لعلها مجرد زوبعة، ولكن في النهاية، هذا مالك الخاص وبإمكانك أن تفعلي به ما يحلو لك".

"وكيف كانت ردة فعل عمتك على هذا الكلام؟".

"أوه، هذا الأمر في سلام، وسار بشكل جيد للغاية. قالت "حسناً أنت تتمتع بروح رياضية يا تشارلز"، وقلت لها علينا أن نرضى بالأوقات الصعبة، مثلما نرضى بالأوقات الرعدة. في الحقيقة، لم أكن أتوقع أن تعطيني ولا حتى عشرة جنيهات. فقالت لي إنني ولد صفيق وصفعتني على وجهي".

"لقد أخفيت مشاعرك بذلكاء شديد".

"ومتى توفيت عمتك؟".

"الجمعة التالية".

"هل مرضت عشية يوم الاثنين؟".

"نعم".

"كان ذلك يوم الاثنين الذي غادرتما فيه؟".

"نعم".

"ولم تزوراها خلال مرضها؟".

"لم نعد حتى يوم الجمعة. لم نكن نعرف أن حالتها سيئة للغاية".

"وصلت إلى هناك قبل وفاتها؟".

"لا؛ فقد توفيت قبل وصولنا".

انتقل بوارو بنظرة إلى تريزا أرونديل.

"هل صاحبت أخاك في هاتين الزيارتين؟".

"نعم".

"ولم يذكر أي شيء خلال العطلة الأسبوعية الثانية عن كتابة وصية جديدة؟".

قالت تريزا: "لا".

ولكن تشارلز أجاب في الوقت نفسه.

قال: "أوه، نعم، حدث ذلك".

تحدث بحيوية كعادته، ولكن كان هناك شيء مصطنع بعض الشيء في حيويته المعتادة.

قال بوارو: "وما هو؟".

صاحت تريزا: "تشارلز؟".

بدا تشارلز حريصاً على ألا تلتقي عيناه بعيني أخته.

تحدث إليها دون أن ينظر لها.

"عني أستوضح منك نقطة واحدة. هل أخبرتك الأنسة أرونديل بأنها على هذا أن تغير وصيتها، أم أنها قالت لك إنها غيرتها بالفعل؟".

"أوه، كانت حاسمة تماماً، حتى إنها أرثني الوصية الجديدة في واقع الأمر".
مال بوارو ناحية الأمام. وعيناه مفتوحتان على وسعهما.

"هذا غاية في الأهمية. تقول إن الأنسة أرونديل أرتك الوصية بالفعل؟".
الموى تشارلز على نحو مفاجئ وكأنه صبي في المدرسة؛ كان تصرفاً يثير الريبة؛ حيث جعلته جدية بوارو يشعر بأنه غير مرتاح.

قال: "نعم. أرثني إياها؟".

"هل أنت متأكد من ذلك؟".

"طبعاً أنا متأكد". نظر تشارلز إلى بوارو في توتر وقال: "لا أرى ما المهم في هذه النقطة لهذه الدرجة".

قامت تريزا بحركة مفاجئة تنم عن الغيظ. نهضت من مكانها ووقفت إلى بوارو رف المستوقد. أشعلت سيجارة أخرى بسرعة.

التفت بوارو إليها بسرعة وقال لها على نحو مباغت: "وأنت يا أنسة؟ هل حدثتك عمك في أي شيء يمثل أهمية بالنسبة لك خلال العطلة الأسبوعية؟".

"لا أعتقد ذلك. كانت - لطيفة للغاية. أعني أنها كانت لطيفة كمادتها دوماً. ألفت عليّ محاضرة صغيرة عن طريقة حياتي وما إلى ذلك، مثلما تفعل دوماً. أعلها بدت عصبية أكثر من المعتاد".

قال بوارو مبتسماً:

"أظن يا أنسة، أنك كنت تمضين وقتك مع خطيبك؟".

قالت تريزا بحدة:

"لم يكن هناك. كان في الخارج، ذهب لمؤتمر طبي".

"إذن لم تريه منذ إجازة عيد الربيع؟ هل كانت هذه آخر مرة رأيته فيها؟".

"نعم؛ فقد جاء وتناول معنا العشاء عشية يوم مغادرتنا".

"إذن - اسمحي لي - لم تدخلني معه في أي شجار؟".

"في الحقيقة، لم أتعامل مع الموقف بجدية شديدة".

"ألم تفعل؟".

"لا. ظننت أنها ما نسويه حركة من جانبها. أرادت أن تخيفنا. كنت وأنا
أنها بعد بضعة أسابيع أو ربما أشهر سوف تمزق هذه الوصية؛ فالعمة إميلي
تعرف عائلتها جيداً. وفي الواقع، كنت مقتنعاً بأنها سوف تفعل ذلك لو لم
بهذا الشكل المفاجئ والمحير".

قال بوارو: "أها! هذه الفكرة مثيرة".

التزم الصمت لحظة أو اثنتين ثم تابع قوله:

"هل سمع أي شخص - كالأنسة لوسون على سبيل المثال - حديثكما؟".

"ربما؛ فنحن لم نكن نتحدث بصوت منخفض للغاية. في الواقع، كان طائر
السيدة لوسون يحلق خارج باب الغرفة عندما خرجت منها. أظنها كانت تقوم
ببعض أعمال التجسس في رأيي".

رمق بوارو تريزا بنظرة تأمل.

"ولم تعرفي شيئاً عن ذلك؟".

قبل أن تتمكن من الإجابة. تدخل تشارلز في الحديث.

"تريزا يا عزيزتي، أنا واثق أنني أخبرتك بذلك، أو لمُخْتُ لك على الأقل؟".

ساد صمت غريب للحظات. كان تشارلز يحدق النظر خلالها إلى أخته، وساء
جو من القلق والاثبات في نظراته بدت بكل المقاييس متعلقة بهذا الموضوع.

قالت تريزا ببطء:

"إذا كنت قد أخبرتني - ولا أعتقد ذلك - فمن الممكن أن أنسى، أليس كذلك
يا سيد بوارو؟".

رمقته بعينيها القاتمتين المسحوبتين.

قال بوارو ببطء:

"لا، لا أعتقد أنه من الممكن أن تنسى شيئاً كهذا يا أنسة أرونديل".

ثم التفت بسرعة إلى تشارلز.

"بالطبع لا".

"ظننت أنه كان في الخارج في زيارتك الثانية __".

تدخل تشارلز في الحديث:

"أها، ولكنك تعرف أن زيارة العطلة الأسبوعية الثانية كانت غير متعمدة، فقد كانت زيارة مفاجئة.

"حقاً؟".

قالت تريزا بملل: "أوه، دعنا نقل الحقيقة. علمنا أن بيلا وزوجها ذهبا لزيارتها في العطلة الأسبوعية السابقة، وأسرفا في رعاية العمه إميلي جراء الحادث الذي حدث لها. فظننا أنهما بذلك قد يحرزان نقطة لديها ويسبقا لنا بخطوة __".

قال تشارلز والابتسامه تملو شفتيه: "ظننا أنه من الأفضل أن نظهر قدرًا من الاهتمام بصحة العمه إميلي أيضًا. ولكن السيدة العجوز كانت في منتهى الذكاء، فلم يكن مثل هذا الاهتمام المصطنع ينطلي عليها. كانت تعرف جيدًا كل واحد فينا. لم تكن العمه إميلي مغفلة أبدًا".

ضحكت تريزا على نحو مفاجئ.

"إنها قصة جميلة، أليس كذلك؟ جميعنا يلهث من أجل حفنة من المال، هل كان الأمر كذلك بالنسبة لابنة خالك وزوجها؟"

"أوه، نعم؛ فقد كانت بيلا في حاجة دائمة للمال. كانت الطريقة التي تحاول أن تقلدني فيها أرثدي بثمن الثمن مثيرة للشفقة. وكان تانيوس يضارب بأموالها في صفقات خطيرة على ما أظن. كانا يجدان صعوبة بالغة في تلبية احتياجاتهما؛ فلديهما طفلان يرغبان في تعليمهما في إنجلترا".

قال بوارو: "هل يمكنك أن تعطيني عنوانهما؟".

"إنهما يعيشان في فندق دورهام ببلومزبري".

"كيف تبدو، أعني ابنة خالك؟".

"بيلا؟ حسنًا إنها سيدة كنيية. أليس كذلك يا تشارلز؟".

"أوه، طبعًا سيدة كنيية للغاية. مثل حشرة أبو مقص؛ فهي أم مخلصه لابناتها للغاية، تمامًا مثل حشرة المقص على ما أظن".

"وزوجها".

"تانيوس؟ حسنًا يبدو غريبًا بعض الشيء، ولكنه شخص لطيف حقًا. ذكي ومسل ولطيف".

"أتوافقينه الرأي يا آسة؟"

"حسنًا، يجب أن أعترف بأنني أفضله على بيلا. إنه طبيب ذكي لعين على ما أظن. ولكنني لا أستطيع أن أثق به هو الآخر".

قال تشارلز: "تريزا لا تثق بأي إنسان".

قال ذلك وهو يطوقها بذراعه.

"حتى إنها لا تثق بي".

قالت تريزا بلطف: "أي شخص يثق بك يا حبيبي، هو قطعًا مجنون".

ابتعد الأخوان عن بعضهما ونظرا إلى بوارو.

انحنى بوارو وتحرك ناحية الباب.

"أنا _ كما تقولون _ ملتزم بأداء عملي؛ إنه صعب، ولكن الأنسة محقة؛ فدائمًا ما تكون هناك طريقة. آه، بالمناسبة، هل الأنسة لوسون من ذلك النوع الذي قد يهدد تسلسل أفكاره إذا طلب للشهادة في المحكمة؟".

تبادل تشارلز وتريزا النظرات.

قال تشارلز: "أقول إن أي طفل متممر حقًا بإمكانه أن يضغط عليها لتقول لها ترى اللون الأسود أيضًا".

قال بوارو: "هذا، قد يكون مفيدًا للغاية".

خرج من الغرفة وأنا أتبعه. التفتل قبعته من الردهة، وتحرك ناحية الباب الأمامي، وفتحته ثم أغلقه مرة أخرى بسرعة بدفعة قوية، ثم سار على أطراف أصابعه لباب غرفة المعيشة ووضع أذنيه على الباب. أيا كانت المدرسة التي أخرج بوارو فيها، كان من الواضح أنها لم تكن فيها قواعد بشأن التنصت.

كنت خائفاً للغاية، ولكن لم يكن باليد حيلة. أشرت إليه على عجل ولكنه لم يلتفت إلي.

وبعد ذلك، سمعنا صوت تريزا أرونديل واضحاً رناناً وهي تقول كلمتين: "أنت أحمق!"

سمعنا وقع أقدام في الممر، فأمسك بوارو ذراعي بسرعة وفتح الباب الأمامي وخرج منه، وأغلقه من خلفه دون أن يصدر أي ضوضاء.

الخامس عشر

الآنسة لوسون

قلت لبوارو: "بوارو، هل أنت مضطرب للتصمت على الأبواب؟"

"هذه نفسك يا صديقي. أنا من تنصت! لم يكن أنت من وضع أذنيه على الباب واسترق السمع. على العكس، وقفت متمسراً في مكانك وكأنك جندي."

"ولكنني سمعت مثلك تماماً."

"هذا صحيح، كان صوت الآنسة عالياً."

"لأنها ظننت أننا غادرنا الشقة."

"نعم، مارسنا قدرًا من الغش في ذلك."

"أنا لا أحب مثل هذه التصرفات."

"توجهك الأخلاقي لا عيب فيه! ولكن دعنا لا نتحدث في ذلك مرة أخرى.

هذه الحادثة حدثت في مرات سابقة. سوف تقول لي إن هذا التصرف بعيد عن

أواعد اللعبة. وسوف أجيبك بأن القتل ليس لعبة."

"ولكن ليست هناك جريمة قتل هنا."

"لا تكن واثقًا من ذلك".

"لعلها مجرد نية. ولكن في النهاية، يبقى القتل ومحاولة القتل شيئًا مختلفان".

من الناحية الأخلاقية، الأمر واحد تمامًا. ولكنني أعني، هل أنت واثق تمامًا أن ما يشغل انتباهنا هو مجرد محاولة قتل؟"

حدقت فيه.

"ولكن الأنسة أرونديل توفيت بطريقة طبيعية تمامًا".

"سأكرر ما قلته. هل أنت واثق من ذلك تمام الثقة؟"

"الجميع يقول ذلك".

"الجميع؟ يا إلهي!"

قلت له: "قال الطبيب ذلك - أعني دكتور جرينجر. من المفترض أن يعرف".

تحدث بوارو بصوت غير راض: "نعم، من المفترض أنه يعرف. ولكن تذكر يا هاستنجز أنه في مرات عديدة عند تشريح الجثث، يتم اكتشاف وجود جريمة رغم توقيع الطبيب بسلامة نية على أن الوفاة كانت طبيعية".

"نعم، ولكن في هذه الحالة، توفيت الأنسة أرونديل من جراء مرض لازمها لفترة طويلة".

"صحيح أن هذا هو الظاهر".

كان صوت بوارو ينم عن عدم الرضا. نظرت إليه باهتمام شديد.

قلت له: "بوارو، سأظل أقول لك هل أنت واثق؟ هل أنت واثق أنك لست متحمسًا للقضية بسبب حماسك لعملك؟ أنت تريدها أن تكون جريمة قتل لذلك تعتقد أنها يجب أن تكون كذلك".

عبس بوارو قليلاً، وأوماً برأسه بترؤ.

"من الذكاء أن تقول ذلك يا هاستنجز. إنها نقطة ضعف وضعت يدك عليها، فالقتل هو عملي. أنا أشبه بجراح عظيم متخصص في - لنقل - التهاب الزائدة أو أية جراحة أخرى أقل شيوعاً. أتاه مريض فتعامل معه من وجهة نظر مجال تخصصه فحسب. هل هناك سبب محتمل للاعتقاد أن هذا الرجل يعاني كما

والله... أنا مثل هذا الرجل. دائماً ما أقول لنفسني: "هل من الممكن أن تكون هذه جريمة؟"، وكما ترى يا صديقي أنه دائماً ما يكون هناك احتمال لذلك".

قلت له: "لا يجب أن أقول إن هناك احتمالاً كبيراً لذلك".

"ولكنها ماتت يا هاستنجز! لا تستطيع أن تنكر هذه الحقيقة. ماتت".

"كانت في صحة سيئة. كما أنها تجاوزت السبعين. الأمر كله يبدو طبيعياً للغاية بالنسبة لي".

"وهل من الطبيعي بالنسبة لك أيضاً أن تصف تريزا أرونديل أخاها بالأحمق لول تلك الشدة؟".

"وما علاقة ذلك بما نقوله؟".

"العلاقة وثيقة جداً! أخبرني، ما رأيك فيما قاله السيد تشارلز أرونديل - إن مهمته أرتة الوصية الجديدة التي صنعتها؟".

نظرت إلى بوارو بحذر شديد.

سألته: "ماذا فهمت من ذلك؟".

لماذا يجب أن يكون بوارو هو من يطرح الأسئلة دومًا؟

"أجد هذه النقطة مهمة للغاية، مهمة للغاية حقًا. تمامًا مثل ردة فعل الأنسة تريزا أرونديل عليها. فوضع ذراعها عليها كان له دلالة، دلالة قوية".

قلت له بطريقة تكهنية: "ممممم".

"هذا يفتح أمامنا احتمالين منفصلين".

قلت له: "يبدو أنهما لسان متفاهمان. مستعدان لأي شيء. الفتاة تبدو بمظهر رائع. وبالنسبة لتشارلز، فهو وغد جذاب".

كان بوارو يشير لسيارة أجرة. فوقفت إلى جوار الرصيف وأعطى بوارو العنوان إلى السائق.

"١٧ كلارووين مانجونز، بيزواتر".

"إذن سنذهب إلى لوسون. وبعد ذلك سنذهب لعائلة تانيوس؟".

"هذا صحيح يا هاستنجز".

سألته عندما انطلق السائق إلى كلأروبيدين مانجونز: "ما الدور الذي ستلعبه هناك - كاتب السيرة الذاتية للجنرال أرونديل، أم مشتر محتمل للمزاد ليلتجرين، أم شيء أكثر ذكاءً؟".

"سأقدم بشخصيتي الحقيقية: هيركيول بوارو".

قلت مستهزئاً: "كم هذا محبباً".

ألقي عليّ بوارو نظرة سريعة ثم أعطى السائق أجرته.

الشقة رقم ١٧ موجودة في الطابق الثاني. فتحت الباب خادمة تبدو مضغمة بالحيوية والنشاط وأدخلتنا غرفة تثير الضحك بعد الغرفة التي غادرناها لتوّنّا.

كانت شقة تريزا أرونديل عارية لدرجة الفراغ. ولكن شقة الأنسة لوسون ملي الصعيد الآخر كانت مزدحمة بالأثاث وكثير من الأشياء المختلفة لدرجة تجعل تمر بصعوبة، خشية أن تسقط شيئاً على الأرض.

افتتح الباب ودخلت الغرفة سيدة بدينة في منتصف العمر. كانت الأنسة لوسون مثلما تخيلتها إلى حد كبير. كان لديها وجه متلهف، تبدو عليه الحماسة بشعر أشهب غير مرتب، تجثم على أنفها نظارة أنفية مائلة قليلاً. وكانت تتحدث بطريقة متقطعة تتخللها فترات من الصمت.

"صباح الخير - إرر - لا أعتقد -".

"الآنسة فيلهلمينا لوسون؟".

"نعم - نعم - هذا اسمي ...".

"أنا بوارو - هيركيول بوارو. ذهبنا بالأمس في زيارة لمنزل ليلتجرين".

"أوه، نعم؟".

انفتح فم الأنسة لوسون بعض الشيء وحاولت تهذيب شعرها غير المرتب دون أن تنجح في ذلك.

تابعت كلامها: "ألن تجلسا. اجلسا هنا، ألن تجلسا؟ أوه عزيزي، أخشى أن تعرض هذه الطاولة طريقكما. المكان مزدحم قليلاً هنا. هذا صعباً هذه الشق! صغيرة للغاية. ولكنها متركزة للغاية! وأنا أحب التمرکز. ألا تحبانه؟".

جلست وهي تلتقط أنفاسها على كرسي يبدو غير مريح من الطراز الفيكتوري، والطارها الأنفية لا تزال مائلة، ومالت للأمام منقطعة الأنفاس ونظرت إلى بوارو بتفاؤل.

تابع بوارو كلامه: "ذهبت إلى منزل ليلتجرين بصفتي مشترياً للمنزل. وألني أريد أن أوضح من البداية أن هذا الأمر سري للغاية -".

التقطت الأنسة لوسون أنفاسها وقالت: "أوه، نعم" بدت متحمسة ومستمتعة. تابع بوارو كلامه: "هذا الأمر سري للغاية، لقد ذهبت إلى هناك بهدف أهدر... لعلك تعرفين أو لا تعرفين أنه قبل وفاة الأنسة أرونديل بفترة قصيرة أهدت لي -".

لوقف عن الكلام ثم تابع يقول:

"أنا محقق خاص معروف".

ظهرت تعبيرات مختلفة على ملامح وجه الأنسة لوسون المحمر. لدرجة أنني تساءلت عن التعبير الذي سيختاره بوارو كإجابة على كلامه - حذر، انفعال، دهشة، حيرة...

قالت: "أوه". وبعد قليل من الصمت كررتها ثانية: "أوه".

ثم سألت على نحو غير مفاجئ:

"هل كان متعلقاً بالمال؟".

انصدم بوارو بعض الشيء. ثم قال على سبيل التجربة:

"أنتعني المال الذي -؟".

"نعم، المال الذي أخذ من الدرج؟".

قال بوارو بهدوء:

"ألم تخبرك الأنسة أرونديل بأنها كتبت لي تسأل عن هذا المال؟".

"لا، لم تفعل. ليست لدي أدنى فكرة عن ذلك. حقاً، يجب أن أعترف بأنني مدهشة للغاية -".

"ظننت أنها لم تذكر هذا الأمر لأي شخص؟".

"طبعاً لم أظن ذلك. أرايت، كانت لديها فكرة قوية -".

توقفت عن الكلام مرة أخرى؛ فقال بوارو بسرعة:

"كانت لديها فكرة قوية عمن أخذها. هذا ما كنت ستقولينه، أليس كذلك؟"

أومأت الأنسة لوسون بحماسة وتابعت كلامها بإرهاق:

"ولم أعتقد أنها تريد __ حسنًا __ أعني أنها كانت __ أنها تشعر __"

تدخل بوارو بصورة منظمة مرة أخرى وسط هذا الكلام غير المترابط.

"كانت مسألة عائلية؟"

"بالضبط."

قال بوارو: "ولكنني متخصص في المسائل العائلية. أنا كتوم جدًا جدًا."

أومأت الأنسة لوسون بحماسة:

"أوه! طبعًا __ هذا يحدث فأرقًا؛ فهذا أبعد ما يكون عن الشرطة."

"لا، لا، أنا لست مثل رجال الشرطة؛ فهذا سيفسد الأمر كله."

"أوه، لا. فالآنسة أرونديل العزيزة كانت سيدة متفخرة. طبعًا كانت هناك

مشاكل من قبل مع تشارلز، ولكن كان يتم التكتم عليها. أظنه كان مضطربًا للسرور إلى أستراليا ذات مرة."

قال بوارو: "هكذا إذن. إذن حقيقة القضية كما يلي، وأرجو أن تؤكد كلامي"

كانت الأنسة أرونديل تضع بعض المال في درج __"

توقف عن الكلام. وأسرعت الأنسة لوسون بتأكيد كلامه.

"نعم __ أحضرتها من البنك. من أجل المرتبات كما تعرف، والكتب."

"وكم المبلغ الذي فقد بالضبط؟"

"أربعمائة جنيه. لا، لا. أنا مخطئة، ثلاثمائة جنيه وعشرون شلن. على

المرء أن يتحرى الدقة، أعرف ذلك، خاصة في هذه الأمور". نظرت إليه الأنسة

لوسون بشغف، ثم رفعت نظراتها الأنفية فزادت ميلًا. بدت عيناها الجاحظتان

تحملتان فيه.

"شكرًا لك يا أنسة لوسون. أرى أنك تتمتعين بحس عملي ممتاز."

رفعت الأنسة لوسون رأسها قليلًا في شموخ وأطلقت ضحكة خفيفة.

أربع بوارو كلامه: "انتاب الشك الأنسة أرونديل - قطعًا لسبب ما - أن ابن

أوها تشارلز كان مسئولًا عن هذه السرقة."

"نعم."

"رغم عدم وجود دليل محدد يكشف شخصية السارق؟"

"أوه، ولكنه تشارلز بالتأكيد! فالسيدة تانيوس لا تفعل شيئًا كهذا، وزوجها

محب تمامًا لا يعرف أين يتم الاحتفاظ بالمال، كلاهما لا يعرف مكان المال. ولا

أعتقد أن تريزا أرونديل يخطر ببالها شيء كهذا. فلديها الكثير من المال، ودائمًا

فانتردي ملابس فخمة وجميلة."

قال بوارو: "قد يكون أحد الخدم."

بدت الأنسة لوسون مدعورة من الفكرة.

"أو، لا، فالذين وأنى لا تفعلان شيئًا كهذا؛ بل تتمتعان بأخلاق عالية جدًا

وأمانة منقطعة النظير، أنا واثقة من ذلك."

انظر بوارو لحظة أو اثنتين، ثم قال:

"أسأل عما إذا كان بإمكانك أن تمديني بأي فكرة __ وأنا واثق أن هذا

إمكانك __ عما إذا كان هناك شخص حمل ثقة الأنسة أرونديل مثلك __"

لتمت الأنسة لوسون بحيرة قائلة:

"أوه، لا أعرف شيئًا عن ذلك، أنا واثقة __ كان الحياء واضحًا عليها.

"أشعر بأن بإمكانك مساعدتي."

"أوه، أنا واثقة، إن أمكنني __ عمل أي شيء __"

نابح بوارو كلامه:

"هذا سر بيننا __"

كان هناك تعبير جاد مرتسم على وجه الأنسة لوسون. ولكن كان لكلمة بوارو

"تأثير السحر عليها، وكأنه قال لها افتح يا سمسم."

"هل لديك أية فكرة عن السبب الذي جعل الأنسة أرونديل تغير وصيتها؟"

"وصيتها؟ أوه __ وصيتها؟"

بذت الأنسة لوسون مأخوذة قليلاً.

قال بوارو وهو يراقبها عن كثب:

"صحيح، أليس كذلك، أنها صنعت وصية جديدة قبل وفاتها بفترة قصيرة، تركت بموجبها كل أموالها لك؟".

قالت الأنسة لوسون بصرخة اعتراض: "نعم، ولكنني لم أعرف شيئاً منها، لم أعرف أي شيء على الإطلاق! كانت مفاجأة كبيرة بالنسبة لي! مفاجأة رائعة بالطبع! منتهى الطبيعة من الأنسة أرونديل. كما أنها لم تلمح لي بذلك ولا بأمر تلميح! لقد فوجئت عندما قرأ السيد بيرفيس الوصية، لم أعرف ماذا أفعل! أضحك أم أبكي! أؤكد لك يا سيد بوارو مفاجاتي التامة... المفاجأة، أفهم ما أعنيه /الطبيعية - طيبة الأنسة أرونديل الرائعة، طبعاً كنت أتمنى أن أحصل على شيء منها ربما ميراث صغير للغاية، رغم عدم وجود أي سبب يضطرها لترك أي شيء كهذا لي، فأنا لم أمكث معها فترة طويلة للغاية. ولكن ذلك - كان أشبه بقصص الروايات وحتى الآن، لا أستطيع أن أصدق ذلك، إذا كنت تفهم ما أعنيه. وأحياناً - نعم أحياناً لا أشعر براحة تامة حيال هذا الأمر. أعني - حسناً، أعني -".

رفعت نظارتها الأنفية قليلاً، ثم أمسكتها في يدها، وتابعت كلامها بطريقة غير مترابطة أكثر من ذي قبل.

"أحياناً أشعر بأن - حسناً، اللحم والدم لحم ودم، ولا أشعر براحة كبيرة تجاه حرمان الأنسة أرونديل عائلتها من كل أموالها. أعني، هذا لا يبدو صحيحاً، أليس كذلك؟ ليس صحيحاً أبداً. كما أنها ثروة كبيرة أيضاً! لم يكن لدى أحداً أية فكرة ولكن - حسناً - هذا يجعل المرء لا يشعر بالراحة، وكلام الناس لا ينتهي، كما تعرف - وأنا واثقة أنني لم أكن سيدة ذات طبيعة سيئة أبداً! أعني أنني لم أكن لأؤثر على الأنسة أرونديل بأي شكل كان! كما أن هذا ليس بإمكانني أيضاً. لكي أصدقك القول، كنت أخشاهم قليلاً! كانت حادة للغاية، تميل لأن تنقض عليك في كثير من الأحيان. كما كانت وحة أحياناً! كانت تتاجتني بقولها: "لا تكوني حمقاء". وكنت أضيق بها في بعض الأحيان بل أغضب أيضاً... ثم أكتشف أنها كانت مغرمة بي طوال الوقت. حسناً، كان ذلك رائئاً للغاية، أليس كذلك؟ كما قلت، كانت تعاملني في كثير من الأحيان بقسوة، وكنت أشعر في بعض الأحيان أعني - حسناً، يبدو ذلك صعباً، أليس كذلك، على بعض الناس؟".

سألها بوارو: "أتعنين أنك تفضلين التنازل عن المال؟".

اوهمت للحظة أنني رأيت تعبيراً مختلفاً بعض الشيء في عيني الأنسة لوسون الزرقاوين الخاملتين. تخيلت - اللحظة - أن سيدة حصيفة، ذكية تجلس أمامي، وليست سيدة لطيفة، حمقاء.

هالت وعلى شفيتها ضحكة خفيفة.

"حسناً، بالطبع هناك جانب آخر أيضاً... أعني أن لكل أمر جانبيين. ما أقوله هو أن الأنسة أرونديل أرادت أن تعطيني المال. أعني أنني لم أخذه، فهذا ضد راسمالها. وهذا ليس مناسباً كذلك، أليس كذلك؟".

قال بوارو، وهو يلوح بيديه: "إنه سؤال صعب".

"هذا صحيح حقاً، لهذا يشغلني كثيراً. السيدة تانيوس - بيلا - إنها سيدة لطيفة - وهؤلاء الأطفال! أعني، أن الأنسة أرونديل العزيزة أرادت أن أستخدم مدامي. لم ترد أن تترك أي أموال دون شروط إلى بيلا: لأنها كانت تخشى أن يضع رجل يده عليها".

"أي رجل؟".

"زوجها. فكما تعرف يا سيد بوارو، أن الفتاة البسيطة تكون خاتماً في إصبع زوجها. وهي تنفذ أي شيء يقوله لها. أقول إنها قد تقتل أحداً إذا طلب منها ذلك! كما أنها تخافه أيضاً. أنا واثقة أنها تخافه. رأيت نظرة /الذعر في عينيها مرة أو اثنتين. وهذا غير صحيح يا سيد بوارو، لا يمكن أن تقول إن هذا صحيح".

لم يجب بوارو عن سؤالها، بل رد عليها بسؤاله:

"أي نوع من الرجال تجددين دكتور تانيوس؟".

قالت الأنسة لوسون بتردد: "حسناً، إنه رجل لطيف للغاية".

توقفت في ريبة.

"ولكنك لا تتقين به؟".

"حسناً، لا، لا أتق به. لا أعرف". تابعت الأنسة لوسون كلامها في ريبة: "لا يمكن أن تثق بأي رجل بسهولة! هذا أمر مروع! وكل الزوجات /المسكينات يعانين (لك! هذا مروع حقاً! بالطبع، يتظاهر دكتور تانيوس بأنه مغرم بزوجته كثيراً،

كما أنها تجده فائتاً. طريقته في التصرف رائعة حقاً. ولكنني لا أثق بالأجانب فهم ماكرون! وأنا واثقة تماماً بأن الآنسة أرونديل العزيزة لم تكن تريد أن تصيب أموالها في يد هذا الرجل! "

قال بوارو مقترباً: "من الصعب على الآنسة أرونديل والسيد تشارلز أرونديل أن يُحرما من ميراثهما أيضاً."

ظهر لون ما على وجه الآنسة لوسون.

"أظن أن تريزا لديها ما يكفي من المال لتعيش في مستوى مُرضٍ!" قالت بحدّة: "إنها تنفق مئات الجنيهات على ملابسها فقط. وملابسها الداخلية كم هذا بشع! عندما أفكر في كثير من الفتيات اللطيفات اللاتي يتمتعن بترتيب حسنة، ويكسبن قوتهن —"

أتم بوارو عبارتها بلطف.

"لا تجدين أي غضاضة في أن تكسب قوتها هي الأخرى؟"

نظرت إليه الآنسة لوسون بمهابة.

قالت: "قد يقبدها ذلك كثيراً. قد يعيدها إلى صوابها؛ فالصعوبات تعلمنا الكثير من الأشياء."

أوماً بوارو برأسه ببطء. كان يراقبها جيداً.

"وتشارلز؟"

قالت الآنسة لوسون بحدّة: "تشارلز لا يستحق ولو مليماً. إذا كانت الآنسة أرونديل حرمته من وصيتها، فهذا السبب وجيه جداً — بعد تهديداته الشريرة!" ارتفع حاجبا بوارو: "تهديدات؟"

"نعم تهديدات."

"أي تهديدات؟ متى هدها؟"

"دعني أتذكر، كان ذلك — نعم بالطبع، كان في عيد الربيع. يوم الأحد — الأمر الذي زاد الطين بلة!"

"ماذا قال؟"

"مطلب منها بعض المال ولكنها رفضت أن تعطيه! فقال لها إنه ليس من الحكمة أن تفعل ذلك. وقال إنها إذا تمسكت بموقفها هذا فإنه — ماذا قال بالمثل — تعبير أمريكي عامي للغاية — أوه نعم، قال إنه سوف يضربها بالنار!"

"هدد بضربها بالنار؟"

"نعم."

"وماذا قالت الآنسة أرونديل؟"

قالت له: "أظنك تعرف يا تشارلز أنني قادرة تماماً على أن أعنتي بنفسني!"

"كنت في الغرفة في ذلك الوقت؟"

قالت الآنسة لوسون بعد لحظة: "لم أكن في الغرفة بالضبط."

قال بوارو بسرعة: "تمام، تمام." وبماذا رد تشارلز على ذلك؟

"قال لها: "لا تكوني واثقة من ذلك إلى هذا الحد."

قال بوارو ببطء:

"هل أخذت الآنسة أرونديل هذا التهديد على محمل الجد؟"

"حسناً، لست أدري... لم تقل أي شيء عن هذا الأمر... كما أنها لم تكن لتفعل ذلك على أية حال."

قال بوارو بهدوء:

"طبعاً كنت تعرفين أن الآنسة أرونديل تكتب وصية جديدة؟"

"لا، لا، لقد قلت لك إنها كانت مفاجأة كبيرة لي. لم يخطر على بالي —"

فاطعها بوارو قائلاً: "لم تعرفي حقها، ولكنك كنت تعرفين هذه الحقيقة — أن هناك وصية جديدة تكتب؟"

"حسناً شككت في ذلك، أعني عندما أرسلت في طلب المحامي وهي طريحة

الفرش —"

"بالضبط. كان ذلك بعد سقوطها، أليس كذلك؟"

"نعم، بوب — بوب الكلب — ترك كرتة أعلى السلالم — فتعثرت فيها وسقطت."

"حدث مروع."

"أوه طبعاً، كان من السهل أن تنكسر قدمها أو ذراعها. هذا ما قاله الطبيب"
 "كان من الممكن أن تقتل بمنتهى السهولة."
 "هذا صحيح فعلاً".

بدت إجابتها طبيعية وصريحة.

قال بوارو مبتسماً:

"أظن أنني رأيت بوب في منزل ليتلجرين".

"أوه، صحيح، توقعت أن تراه. إنه جرو صغير لطيف". لم يزعجني أي شيء في كلامها أكثر من وصف كلب ترير رياضي بأنه جرو صغير لطيف. قلت في نفسي إنه ليس من العجيب أن يحتقر بوب الأنسة لوسون وأن يرفض القيام بأي شيء تخبره به.

واصل بوارو كلامه قائلاً: "كما أنه ذكي للغاية؟".

"أوه، نعم، جداً".

"لأي درجة سيحزن إذا علم أنه أوشك على قتل سيدته؟".

لم تجب الأنسة لوسون، فقط هزت رأسها وتنهدت.

قال بوارو:

"هل تظنين أن هذه السقطة من الممكن أن تكون قد أثرت على الأنسة أرونديل حتى تعيد كتابة وصيتها؟".

فكرت أننا نقترّب على نحو خطير من نقطة تمسها شخصياً، ولكن الأنسة لوسون بدت كأنها ترى أن السؤال طبيعي للغاية.

قالت: "أتعرف، لن أتعجب إن كان ما تقوله صحيحاً؛ فقد سببت لها صدمة كبيرة - أنا واثقة من ذلك. وكبار السن لا يحبون أن يفكروا أن هناك احتمالاً لوفاتهم، ولكنّ حادثاً كهذا، يجعل المرء يفكر. أو ربما انتابها شعور مسبق بأن الموت ليس ببعيد عنها".

قال بوارو بطريقة عابرة:

"كانت في صحة جيدة بصورة مقبولة، أليس كذلك؟".

"أوه، نعم، في صحة جيدة للغاية، فعلاً".

"فعلماً جاء مرضها على نحو مفاجئ؟".

"أوه، كانت صدمة كبيرة. كان لدينا بعض الأصدقاء في ذلك المساء - ووافقت الآنسة لوسون عن الكلام.

"أصدقاء - الأختان تريبي. لقد التقيت بهاتين السيدتين. إنهما راعتان".

احمر وجه الآنسة لوسون من السعادة.

"نعم، أليس كذلك؟ إنهما سيدتان مثقفتان! لهما فائدة كبيرة! كما أنهما رومبتان للغاية! لعلهما أخبرتاك بجلستنا؟ أظن أنك تشك في ذلك، ولكن بالعمل، أتمنى لو استطعت أن أخبرك بالمتعة التي لا توصف التي تجنيها من الاتصال بمن قضوا نحبهم".

"أنا واثق من ذلك. أنا واثق من ذلك".

"أتعرف يا سيد بوارو، لقد تحدثت إلى والدتي - أكثر من مرة. فرحة كبيرة أن أعرف أن أعزاءنا لا يزالون يفكرون فينا ويراقبوننا عن كثب".

قال بوارو بلطف: "نعم، نعم، أمتنهم ذلك. وهل كانت الآنسة أرونديل هي الأخرى تؤمن بذلك؟".

لجهم وجه الآنسة أرونديل من جديد.

قالت بتشكك: "كانت مستعدة لأن تقتنع. ولكنني لا أظن أنها كانت تتعامل مع الأمر دوماً بالعقلية المناسبة. كانت متشككة وغير مؤمنة - كما جذب توجهها مرة أو مرتين أكثر الأرواح غير المرغوبة! كانت هناك بعض الرسائل البذيئة - ألهبها بسبب توجه الآنسة أرونديل؛ أنا واثقة من ذلك".

واقفها بوارو الرأي قائلاً: "من المحتمل جداً أن يكون ذلك بسبب الآنسة أرونديل".

واصلت الآنسة لوسون كلامها قائلة: "ولكن في الليلة الأخيرة، لعل إيزابيل وجيليا أخبرتاك بذلك؟ - كانت هناك ظاهرة فريدة من نوعها. بداية تجسد هبطي. تشكل خارجي - أتعرف معنى التشكل الخارجي؟".

"نعم، نعم، أنا أعرف طبيعته".

"ظل يخرج من فم الوسيطة على هيئة شريط حتى ارتفع متخذًا شكلًا. والآن أنا مقتنعة يا سيد بوارو، أن الأنسة أرونديل كانت وسيطة روحية دون حتى أن تعرف ذلك عن نفسها. في ذلك المساء، رأيت شريطًا منيرًا يخرج من فم الأنسة أرونديل العزيزة! ثم أصبح رأسها محاطًا بضباب منير".

"هذا مثير للغاية".

"ولسوء الحظ أن الأنسة أرونديل مرضت بشدة بعد ذلك على نحو مفاجئ واضطربنا لقطع الجلسة".

"أرسلتم في طلب الطبيب - متى؟".

"كان ذلك أول ما فعلناه في صباح اليوم التالي".

"هل رأى أن الوضع خطير؟".

"حسنًا، أرسل ممرضة من المستشفى في مساء ذلك اليوم، ولكنني أظن أنه كان يأمل أن تتغلب على مرضها".

"والأقارب - اسمحي لي - لم يتم طلب حضورهم؟".

احمر وجه الأنسة لوسون.

"ثم إخبارهم بذلك في أقرب وقت ممكن - تحديدًا عندما أعلن دكتور جرينجر أنها في وضع خطير".

"وماذا كان سبب النبوة؟ شيء تناولته؟".

"لا، لا أظن أنه كان هناك سبب محدد. قال دكتور جرينجر إنها لم تكن متنبهة لنظامها الغذائي بالقدر الكافي. أظن أنه كان يعتقد أن النبوة جاءت نتيجة لبرودة الجو. كان الجو متقلبًا للغاية".

"زاركما تشارلز وتريزا في عطلة ذلك الأسبوع، أليس كذلك؟".

عضت الأنسة لوسون على شفيتها.

"نعم".

قال بوارو وهو يراقبها: "لم تؤت الزيارة ثمارها".

قالت بحقد شديد: "لا لم تفعل! فقد عرفت الأنسة أرونديل سبب زيارتهما".

سأل بوارو وهو يراقبها: "وما هو؟".

قالت الأنسة لوسون بسرعة: "المال! ولم يحصل عليه".

قال بوارو: "لا؟".

تابعت الأنسة لوسون كلامها وقالت: "وأظن أن هذا هو ما كان يسعى إليه الدكتور تانيوس أيضًا".

"دكتور تانيوس. لم يأت في عطلة ذلك الأسبوع، أليس كذلك؟".

"بلى، جاء يوم الأحد. ومكث ساعة واحدة".

جازف بوارو بقوله: "يبدو أن الجميع كان يسعى وراء أموال الأنسة أرونديل المسكينة".

"أعرف أنه ليس من اللطيف التفكير في ذلك، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "لا فعلاً. قطعًا كانت صدمة لتشارلز وتريزا أرونديل في عطلة ذلك الأسبوع عندما علما أن الأنسة أرونديل حرمتها من ميراثهما".

حدقت الأنسة لوسون إليه.

قال بوارو: "أليس هذا صحيحًا؟ ألم تخبرهما تحديدًا بهذه الحقيقة؟".

"لا أستطيع أن أجزم بذلك. لم أسمع أي شيء عن هذا الأمر. لم يكن هناك أي شجار، أو شيء من هذا القبيل على حد علمي؛ فقد خرج تشارلز وتريزا والبهجة تبدو عليهما للغاية".

"أه! لعل من أخبرني لم يطلعني على الحقيقة. لقد احتفظت الأنسة أرونديل بالوصية في المنزل، أليس كذلك؟".

أسقطت الأنسة لوسون نظارتها الأنفية وانحنت لكي تلتقطها.

"لا أعرف ذلك، لا، أظنها كانت مع السيد بيرفيس".

"من الوصي عليها؟".

"السيد بيرفيس".

"بعد الوفاة، هل جاء إلى المنزل وألقى نظرة على أوراقها؟".

"نعم، فعل ذلك".

نظر إليها بوارو باهتمام وسألها سؤالاً غير متوقع.

"هل تحبين السيد بيرفيس؟"

ارتبكت الأنسة لوسون قليلاً.

"أحب السيد بيرفيس؟ حسنًا، هذا أمر من الصعب الفصل فيه، أليس كذلك؟"

أعني، أنا واثقة بأنه رجل غاية في الذكاء - أعني أنه محام ذكي. ولكن تصرفه

فضة للغاية! أعني أنها ليست لطيفة على الدوام، أن يحدثك شخص ما وكأنه

حسنًا، لا أستطيع أن أشرح ما أعنيه - كان متحضرًا للغاية، ولكنه كان في الواقع

نفسه، وفحًا للغاية إذا كنت تفهم ما أعنيه."

قال بوارو بتعاطف: "موقف صعب بالنسبة لك."

"نعم صعب فعلاً."

تنهدت الأنسة لوسون وهزت رأسها.

وقف بوارو على قدميه.

"شكرًا جزيلاً لك يا أنسة، على لطفك ومساعدتك."

نهضت الأنسة لوسون هي الأخرى، بدت تشعر بشيء من الخجل.

"أنا متأكدة أنه ليس هناك ما تشكرني عليه - ليس هناك أي شيء ما

الإطلاق! أنا سعيدة للغاية أنني استطعت إفادتك بأي شيء - لو كان باستطاعتي

عمل أي شيء آخر -"

عاد بوارو من الباب وقال وهو يتحدث بصوت منخفض.

"أظن يا أنسة لوسون أن هناك شيئًا ينبغي أن تعرفيه. تشارلز وتروبر

أرونديل نيويان الطعن في الوصية."

احمرت وجنتا الأنسة لوسون بشدة.

قالت بحدّة: "لا يمكنهما عمل ذلك، هذا ما قاله لي المحامي الخاص بي."

قال بوارو: "أها، لقد استشرت محامياً إذن؟"

"طبعاً. ولماذا لا أفعل؟"

"ليس هناك سبب يمنعك من ذلك على الإطلاق. تصرف حكيم للغاية. أتمنى

للك يا أنسة."

عندما خرجنا من كلانرويدين مانجونز إلى الشارع أخذ بوارو نفساً عميقاً

وقال:

"ماستنجز يا صديقي، هذه السيدة إما أنها تظهر طبيعتها بالضبط، أو أنها

هذه بارعة للغاية."

قلت له: "إنها تعتقد أن وفاة الأنسة أرونديل كانت طبيعية تمامًا، هذا واضح

وواضح."

لم يجب بوارو. كانت تمر عليه لحظات يفضل فيها أن يتظاهر بالصمم. أشار

إشارة أجرة.

قال للسائق: "فندق دورهام ببلومزبري."

نظرت السيدة تانيوس إليه بطريقة فارغة بعض الشيء، فاقترح بوارو أن يجلسا على أريكة مصنوعة من الجلد في أقصى الغرفة.

وبينما كنا في طريقنا إلى هناك صدر صوت عال:
"أمي، إلى أين أنت ذاهبة؟".

"سأجلس هناك فقط. واصلي كتابتك يا حبيبتي".

كانت فتاة نحيفة تبدو شاحبة في السابعة تقريباً من العمر، جلست مرة أخرى تتابع مهمة تبدو شاقة عليها. يخرج لسانها من بين شفتيها المتباعدتين في محاولة للقراءة.

كان الركن البعيد في الغرفة خالياً تماماً، فجلست السيدة تانيوس، ثم جلسنا نحن. نظرت بعين متسائلة إلى بوارو.
بدأ بقوله:

"الأمر متعلق ب وفاة خالك، الأنسة إميلي أرونديل".

هل خدعتني عينا، أم أن نظرة ذعر ظهرت في هاتين العينين الشاحبتين الجاحظتين على نحو مفاجئ.
"نعم؟".

قال بوارو: "غيرت الأنسة أرونديل وصيتها قبل وفاتها بفترة قصيرة للغاية. ولركت كل شيء في الوصية الجديدة إلى الأنسة فيلهلمينا لوسون. ما أريد أن أرفعه يا سيدة تانيوس هو ما إذا كنت ستتضمنين إلى ابن خالك تشارلز وأخته لريزا أرونديل في محاولة الطعن على الوصية؟".

أخذت السيدة تانيوس نفساً عميقاً: "أوه! ولكنني لا أظن أن هذا ممكن، أليس كذلك؟ أعني أن زوجي استشار محامياً وأنه يرى أنه من الأفضل ألا تفعل ذلك".

"المحامون يا سيدتي أشخاص حذرون. عادة ما ينصحون بتجنب النزاع بأي ثمن. ومما لا شك فيه أنهم عادة ما يكونون على حق. ولكن هناك أوقاتاً يكون من المفيد خوض المخاطرة. أنا لست محامياً؛ لهذا فإنني أنظر للأمر بطريقة مختلفة. الأنسة أرونديل - أعني الأنسة تريزا أرونديل - مستعدة لأن تخوض المعركة. فماذا عنك؟".

السادس عشر

السيدة تانيوس

"هناك رجلان يرغبان في مقابلتك يا سيدتي".

التفتت السيدة التي كانت جالسة إلى إحدى الطاولات في غرفة الكتابة بفندق دورهام، ثم وقفت واقتربت منا في ريبة.

لعل السيدة تانيوس كانت في الثلاثينات من عمرها. كانت سيدة طويلة ونحيفة، ذات شعر قاتم، وعينين "جاحظتين" بعض الشيء كحيتي عنب، ووجه قلق. كانت تضع قبعة عصرية على رأسها بزاوية غير عصرية على الإطلاق، وكانت ترتدي ثوباً قطنياً شكله كتيب بعض الشيء.

قالت بتردد: "لا أظن __".

انحنى بوارو.

"جئت لتوي من عند ابنة خالك الأنسة تريزا أرونديل".

"أوه! من عند تريزا! نعم؟".

"هل يمكنك أن أتحدث معك بضع لحظات على انفراد؟".

"نعم، ما تقوليته صحيح. والآتسة لوسون من الصعب أن نصفها بأنها الشخصية قوية".

"لا، إنها إنسانة طيبة حقًا. قد تكون حمقاء بعض الشيء. ولكنها طيبة للغاية، طيبة جدًا. وهذا جزء مما يجعلني أشعر —".

لوقفت عن الكلام للحظة، فقال لها بوارو: "نعم يا سيدتي؟".

عادت السيدة تانيوس تلوي أصابعها مرة أخرى بطريقة تنم عن قلق شديد وهي تنجيده:

"حسنًا، من الخسة أن نحاول الطعن في الوصية والتشكيك فيها. أنا واثقة أن هذا التصرف ليس له علاقة من قريب أو بعيد بالآتسة لوسون. أنا واثقة أنها مبررة قادرة أبدًا على التخطيط والتدبير —".

"أتفق معك تمامًا يا سيدتي".

"ولهذا السبب أشعر بأن اللجوء للقضاء سيكون — حسنًا، تصرفًا غير ملائم واحقادًا، كما أنه سيكلفنا مبالغ طائلة، أليس كذلك؟".

"سيكون مكلفًا بالفعل، هذا صحيح".

"وأغلب الظن أنه لن يكون ذا فائدة. ولكنك يجب أن تحدث زوجي في هذا الأمر؛ فهو يتمتع بعقلية عملية أفضل مني بكثير".

انتظر بوارو لحظة أو اثنتين ثم قال:

"في رأيك، ما السبب الذي دفعها لكتابة هذه الوصية الجديدة؟".

احمرت وجنتا السيدة تانيوس بسرعة وتمتمت تقول:

"ليست لدي أدنى فكرة".

سيدتي، قلت لك إنني لست محاميًا. ولكنك لم تسأليني عن مهنتي".

نظرت إليه في تساؤل.

"أنا محقق. وقبل وقت قصير من وفاتها، أرسلت لي الآتسة أرونديل خطابًا".

مالت السيدة تانيوس للأمام، وهي تضغط على يديها معًا.

سألته على الفور: "خطاب؟ عن زوجي؟".

"أنا — أوه! لست أعرف حقًا". أخذت تلوي أصابعها على نحو يعكس التوتري "يجب أن أستشير زوجي".

"طبعًا عليك أن تستشيري زوجك قبل اتخاذ أي إجراء محدد. ولكن ما رأيك أنت في هذا الأمر؟".

بدت السيدة تانيوس قلقة أكثر من ذي قبل: "حسنًا، حقيقة لا أعرف الأمر يتوقف إلى حد كبير على رأي زوجي".

"ولكن، أنت، ما رأيك أنت يا سيدتي؟".

عبست السيدة تانيوس ثم قالت ببطء:

"لا أظن أن الفكرة تروقني كثيرًا. تبدو — تبدو — غير لائقة، أليس كذلك؟".

"هل هي كذلك؟".

"نعم، ففي النهاية، اختارت خالتي إميلي أن تحرم عائلتها من أموالها، وأرى أننا يجب أن نحترم رغبتها".

"إذن أنت لست مستاءة من هذا الأمر؟".

احمرت وجنتاها على الفور: "أوه، بالطبع مستاءة. فأنا أظن أن هذا ليس عدلًا على الإطلاق! ليس عدلًا أبدًا. كما أنه غير متوقع؛ فالأمر بعيد كل البعد عن طريقة تصرف خالتي إميلي. كما أنه غير منصف أبدًا في حق طفلي".

"أظنن أن أنه تصرف بعيد كل البعد عن طريقة تصرف الآتسة إميلي أرونديل؟".

"أظن أنه تصرف غريب من جانبها".

"إذن، أليس من الممكن أن يكون هذا التصرف ليس وليد إرادتها الحرة؟ ألا تظنين أنه من المحتمل أن تكون وقعت تحت تأثير غير مشروع؟".

عبست السيدة تانيوس مرة أخرى، ثم قالت تقريبًا على مضض:

"الصعب في الأمر هو أنني لا أعرف عن خالتي إميلي أنها قد تقع تحت تأثير أي شخص! كانت سيدة عجوزًا تتمتع ببرادة قوية".

أومأ بوارو برأسه مؤيدًا كلامها.

راقبها بوارو للحظة أو اثنتين ثم قال لها ببطء:

"أخشى ألا أستطيع أن أجيبك عن هذا السؤال".

قالت بصوت أعلى قليلاً: "إذن هو عن زوجي. ماذا قالت؟ أؤكد لك يا سيد
"إر" — أنا لا أعرف اسمك".

"اسمى بوارو — هيركيول بوارو".

"أؤكد لك يا سيد بوارو، أنه إذا ذكر أي شيء في هذا الخطاب عن زوجي
فهذا كذب وافتراء! كما أنني أعرف أيضاً من الذي شجعها على كتابة الخطاب
وهذا سبب آخر يجعلني أفضل ألا أتخذ أي إجراء تختاره تريزا وتشارلز! ف تريزا
لم تحب زوجي يوماً. قالت أشياء! أعرف أنها قالت أشياء! كانت خالتي إميلي
تتحامل على زوجي لأنه ليس إنجليزيًا، ولهذا علها صدقت ما قالته تريزا عنه.
ولكن هذا الكلام غير صحيح يا سيد بوارو، صدقتي".

"أمي، لقد انتهيت من كتابة خطابي".

التفتت السيدة تانيوس بسرعة، وأخذت الخطاب من الفتاة الصغيرة وهي
تبتسم في وجهها ابتسامة حنونًا.

"هذا لطيف للغاية يا عزيزتي حقًا، ورسمه مبكي ماوس جميلة جدًا".

"ماذا سأفعل الآن يا أمي؟".

"هل تريد أن تحصلي على بطاقة لطيفة عليها صورة؟ إليك المال،
اذهبي إلى الرجل الموجود في الردهة واختاري إحدى البطاقات، وعندما
ستتمكنين من إرسالها إلى سليم".

ابتعدت الطفلة عنا. تذكرت ما قاله تشارلز أرونديل عن السيدة تانيوس،
وأنها زوجة وأم مخلصه. كما قال أيضاً إنها أشبه بحشرة أبو المقص.

"هل هي ابنتك الوحيدة يا سيدتي؟".

"لا، فلدي ابن صغير أيضاً، ولكنه خرج مع والده في الوقت الراهن".

"لم تصطحبهما لمنزل ليتجربين في زيارتك إلى هناك؟".

"أوه، نعم، أحيانًا، ولكن كما تعلم، كانت خالتي سيدة عجوزًا وكان الأطفال
يميلون لإزعاجها. ولكنها كانت عطوفة للغاية، وكانت دائمًا ما ترسل لهم هدايا
لطيفة في احتفالات رأس السنة".

"دعيني أر، متى كانت آخر مرة رأيت فيها الأنسة إميلي أرونديل؟".

"أظن أنها كانت قبل وفاتها بعشرة أيام".

"ذهبت أنت وزوجك وابنا خالك إلى هناك معًا، أليس كذلك؟".

"أوه، لا، كان في العطلة الأسبوعية السابقة، في عيد الربيع".

"وذهبت أنت وزوجك في العطلة الأسبوعية التي تلت عيد الربيع أيضًا؟".

"نعم".

"وكانت الأنسة أرونديل في صحة جيدة في ذلك الوقت؟".

"نعم، بدت كمعادتها تمامًا".

"لم تكن مريضة، طريحة الفراش؟".

"لزمت الفراش بعد سقوطها من على السلالم، ولكنها نزلت السلالم من
جديد عندما كنا هناك".

"هل ذكرت لكما أي شيء عن كتابة وصية جديدة؟".

"لم تذكر أي شيء على الإطلاق".

"ولم تتغير طريقة معاملتها معكم؟".

"سادت فترة أطول من الصمت هذه المرة قبل أن تجيب السيدة تانيوس قائلة:
"نعم".

كنت واقعًا بأن الشعور الذي انتابني راود بوارو في الوقت نفسه.

كانت السيدة تانيوس تكذب!

سكت بوارو لحظة ثم قال:

"لعله ينبغي لي أن أوضح أنني عندما سألتك عما إذا كانت طريقة معاملتها
لكما كما هي، لم أكن أسأل عن معاملتها لكليهما، بل كنت أتحدث عنك شخصيًا".

أجابت السيدة تانيوس بسرعة:

"أوه! فهمت، كانت خالتي إميلي تعاملني بلطف شديد. أعطتني جوهرة
صغيرة ودبوس زينة من الماس، كما أرسلت عشرة شلنات لكل واحد من طفلي".

لم يعد هناك تصنع في طريقتهما الآن. خرجت الكلمات من فمها بحرية
وبسرعة.

"وفيما يتعلق بزواجك، لم تغير طريقة تعاملها معه؟".

عاد التصنع مرة أخرى. لم تنتظر السيدة تانيوس في عيني بوارو عندما أجابته:

"لا، بالطبع لا - ولماذا تغير معاملتها له؟".

"ولكنك اقترحت أن ابنة خالك تريزا أرونديل ربما حاولت أن تسمم عقل خالك من ناحية -".

"فعلت ذلك! أنا واثقة أنها فعلت". مالت السيدة تانيوس للأمام بحماسة. "أنت محق تمامًا. كان هناك تغيير! فقد ابتعدت خالتي إميلي عنه على نحو مفاجئ. كما أنها تصرفت معه بشكل غريب للغاية. كان هناك خليط خاص بالهضم أوصاها بتناوله - بل إنه كلف نفسه عناء إحضاره لها - وذهب إلى الطبيب وصنعه لها. شكرته على ذلك - ولكن ببرود، ورأيته بعد ذلك تسكب الزجاجة في الحوض!".

كانت تتحدث بغضب شديد للغاية.

رمش بوارو بعينه.

قال لها: "تصرف غريب للغاية"، كان يعتمد أن يبدو صوته عاديًا.

قالت زوجة دكتور تانيوس بحرارة: "وجدت هذا التصرف لا ينم عن أي امتنان".

قال بوارو: "كما قلت؛ فالسيدات المسنات لا يثقن في الأجانب أحيانًا. إذا وافق بأنهن يروين أن الأطباء الإنجليز هم الأطباء الوحيدون في العالم. التوقّع هو السبب في ذلك".

بدأت السيدة تانيوس وكأنها هدأت قليلًا: "نعم، أظن ذلك".

"متى ستعودين إلى سميرنا يا سيدتي؟".

"خلال أسابيع قليلة. ها قد أتى زوجي ومعه إدوارد".

السابع عشر

دكتور تانيوس

بحب أن أقول إن رؤيتي الأولى للدكتور تانيوس سببت لي صدمة كبيرة؛ فقد لحيته في عقلي بكل السمات الشريرة؛ فرسمت له صورة في مخيلتي كشخص أجني ذي بشرة داكنة وطلة تنذر بشؤم.

ولكنني بدلاً من ذلك، وجدت رجلاً بدينًا ظريفًا، ذا شعر وعينين بنيتين. قالت له لحية بنية صغيرة جعلته أشبه بالفنانين.

تحدث الإنجليزية بطلاقة. وكان لصوته نبرة مبهجة تناسب وجهه جميل المحيا.

قال وهو يبتسم لزوجته: "ها قد وصلنا. لقد سعد إدوارد كثيرًا بجولته الأولى في قطار الأنفاق. كان معتادًا ركوب الحافلات قبل هذا اليوم".

كان إدوار يشبه والده في المظهر، وكان هو وأخته الصغيرة يتمتعان بمظهر أجني واضح عليهما، ففهمت على الفور ما عنته الأنسة ببيودي عندما وصفتها بأنهما طفلان شاحبا اللون.

أصبحت السيدة تانيوس متوترة بسبب تواجد زوجها. وبشيء من التلعثم هدمت بوارو له، وتجاهلت أن تقدمني له.

تحركت السيدة تانيوس بطريقة تنم عن عدم الراحة. نظر إليها بوارو بسرعة وقال:

"ألا توافقينه الرأي يا سيدتي؟"

قالت بشيء من الضعف:

"لطالما كانت طيبة للغاية، كما أنني لا أستطيع أن أصفها بالذكاء."

قال دكتور تانيوس: "لقد كانت طيبة معك لأنه ليس لديها ما تخشاه منك يا مريزتي بيلا. أنت تتخذهين بسهولة".

تحدث بطريقة ودودة، ولكن زوجته احمر وجهها.

تابع كلامه قائلاً: "بالنسبة لي الأمر مختلف. إنها لم تحبني. ولم تتخرج يوماً من إظهار هذا الأمر! سأذكر لك حادثة. لقد سقطت السيدة العجوز من على السلالم عندما كنا هناك. فحرصت على الذهاب إليها في العطلة الأسبوعية التالية لكي أطمئن عليها. ولكن الأنسة لوسون فعلت أقصى ما لديها لتمنعنا من ذلك. ولكنها لم تنجح، كما أنها انزعجت من ذلك كما رأيته. كان السبب واضحاً. لقد أرادت أن تستحوذ على السيدة العجوز وتحكها لنفسها".

التفت بوارو إلى زوجته مرة أخرى.

"أتوافقينه يا سيدتي؟"

لم يعطها زوجها وقتاً للإجابة.

قال لها: "بيلا طيبة القلب للغاية. لن تستطيع أن تثير لديها دوافع سيئة لئلا يجهز أي شخص. ولكنني واثق تماماً بأنني محق. سوف أخبرك بشيء آخر يا سيد بوارو. سر سيطرتها على الأنسة إميلي هو جلسات تحضير الأرواح! هكذا فعلت، اعلمدت على ذلك!".

"أعتقد ذلك؟"

"أنا واثق من ذلك يا عزيزي. لقد رأيت الكثير من هذه الأمور التي تستحوذ على الناس. سوف تندهن كثيراً! خاصة إذا كانت في عمر الأنسة أرونديل. أنا مستعد لأن أراهن بأن الأمر بدأ بهذه الطريقة. روح ما - أغلب الظن أنها روح والدها - أمرتها أن تغير وصيتها وتترك أموالها إلى الأنسة لوسون. وقد كانت سجنها ضعيفة - مغفلة -".

تعامل دكتور تانيوس مع الاسم بحدة.

"بوارو؟ السيد هيركيول بوارو؟ ولكنني أعرف هذا الاسم جيداً! ما الذي أتيت بك إلى هنا يا سيد بوارو؟"

أجابته بوارو قائلاً: "إنه لمسألة متعلقة بسيدة توفيت مؤخراً: الأنسة إميلي أرونديل".

"خالة زوجتي؟ نعم - ماذا عنها؟"

قال بوارو بترو:

"ظهرت بعض الأمور وثيقة الصلة بوفااتها -".

تدخلت السيدة تانيوس في الحديث على نحو مفاجئ.

"إنها عن الوصية يا جاكوب. لقد تحدث السيد بوارو مع تريزا وتشارلز. بدا شيء من التوتر في توجه دكتور تانيوس. فسقط على كرسي.

"أه، الوصية! وصية ظالمة - ولكن في النهاية هذا ليس شأننا على ما أظن". لخص بوارو حديثه مع الأخوين أرونديل (من الصعب وصفه بأنه حقيقي على ما أظن) ولمح بحذر لفرصة الطعن في الوصية.

"لقد أثرت اهتمامي كثيراً يا سيد بوارو. أوافقك الرأي في ذلك. بإمكاننا أن نفعل شيئاً. لقد استشرت محامياً في هذا الشأن، ولكنه لم يشجعني على ذلك كثيراً. لذلك - هز كتفيه.

"كما قلت لزوجتك: المحامون أشخاص حذرون. لا يحبون اغتنام الفرص ولكن بالنسبة لي الأمر مختلف! فماذا عنك؟"

ضحك دكتور تانيوس ضحكة ثرية غير مكرثة.

"أوه، سوف اغتنم أية فرصة على الفور! كثيراً ما أفعل، أليس كذلك يا بيلا؟". كان يبتسم في وجهها، فبادلته التمسيم في وجهه، ولكن بطريقة ميكانيكية بعض الشيء، كما رأيته.

ركز انتباهه من جديد على بوارو.

قال له: "أنا لست محامياً. ولكن في رأيي، من الواضح تماماً أن الوصية كتبت والسيدة العجوز غير مسئولة عما تفعله، وتلك المرأة المدعوة لوسون ذكية ومكررة للغاية".

صدرت حركة بسيطة للغاية من السيدة تانيوس تنبه بوارو لها.
 "تظنين أن هذا ممكن - أليس كذلك؟"
 قال دكتور تانيوس: "تحدثي يا بيلا، أخبرينا برأيك؟"
 نظر إليها بتشجيع، ولكنها بادلتها نظرة غريبة. ترددت ثم قالت:
 "لا أعرف الكثير عن هذه الأمور. أظنك محق يا جاكوب."
 "بناءً على ذلك أنا محق أليس كذلك يا سيد بوارو؟"
 أوماً بوارو برأسه.
 ثم قال: "قد يكون الأمر كذلك. أظن أنكما كنتما في ماركيت بيسينج في
 العطلة الأسبوعية التي سبقت وفاة الأنسة أرونديل؟"
 "ذهبنا في عيد الربيع ثم ذهبنا مرة أخرى في العطلة الأسبوعية التي
 تلتها - هذا صحيح."
 "لا، لا، أعني العطلة الأسبوعية التي تلت ذلك - تحديداً هي السادس
 والعشرين من الشهر. ذهب يوم الأحد، على ما أظن؟"
 نظرت السيدة تانيوس لزوجها بعدما فتحت عينيها على اتساعهما: "أوه،
 جاكوب، هل ذهبت إلى هناك؟"
 التفت بسرعة إليها وقال:
 "نعم، ألا تذكرين؟ لقد ذهبت إليها بعد الظهر، وقد أخبرتك بذلك."
 نظرت إليها أنا وبوارو. أعادت قبعتها للخلف قليلاً بطريقة تنم عن التوتر.
 تابع زوجها كلامه وقال: "طبعاً تذكرين. كم أن ذاكرتك ضعيفة للغاية."
 اعتذرت وعلى شفيتها ابتسامة صغيرة وقالت: "طبعاً هذا صحيح تماماً،
 لدي ذاكرة مروعة حقاً. حدث ذلك منذ شهرين الآن."
 قال بوارو: "أظن أن الأنسة تريزا أرونديل والسيد تشارلز أرونديل كانا
 هناك؟"
 قال تانيوس بسهولة: "لعلهما كانا هناك، ولكنني لم أرهما."
 إذن لم تبقَ هناك مدة طويلة إذن؟

"أوه، لا - نصف ساعة فقط."
 بدت نظرة بوارو المتسائلة وكأنها جعلته يشعر بقليل من عدم الراحة.
 قال وهو يفهم بعينه: "من باب الاعتراف، كنت أمل أن أحصل على قرض -
 ولكنني لم أحصل عليه. أخشى أن خالة زوجتي لم تتحدث معي مثلاً كانت تفعل
 من قبل. هذا مؤسف لأنني أحببتها. كانت سيدة عجوزاً حلوة المعشر."
 "هل يمكنني أن أسألك سؤالاً بصراحة يا دكتور تانيوس؟"
 هل بدا خوف اللحظة في عيني تانيوس أم أنني تصورت ذلك؟
 "طبعاً يا سيد بوارو."
 "ما رأيك في تشارلز وتريزا أرونديل؟"
 بدا الطبيب وكأنه ارتاح بعض الشيء.
 نظر إلى زوجته وعلى وجهه ابتسامة عطف وقال: "عزيزتي بيلا، لا أظن أنك
 لمانعين أن أتحدث بصراحة عن أسرتك؟"
 هزت رأسها وعلى شفيتها ابتسامة باهتة.
 "في رأيي، أظنهما فاسدان حتى النخاع، كلاهما كذلك! ولكن من المضحك
 أنني أحب تشارلز أكثر. إنه وغد، ولكنه وغد محبوب. ليس لديه حس أخلاقي
 ولكن لا يمكنه أن يفعل شيئاً حيال ذلك؛ فبعض الناس يولدون بهذه الطريقة."
 "وماذا عن تريزا؟"
 تردد قبل أن يجيب.
 "لا أعرف. إنها شابة جذابة ورائعة. ولكنني أجدها متحجرة القلب. يمكنها
 أن تقتل أي شخص بدم بارد إذا كان ذلك في مصلحتها، أو هذا ما أتخيله على
 الأقل. لعلك سمعت أن والدتها حاولت ارتكاب جريمة قتل من قبل؟"
 قال بوارو: "وهل تمت تبرئتها؟"
 قال تانيوس بسرعة: "كما تقول، تمت تبرئتها. ورغم ذلك فإن هذا يجعلنا
 نشاء أحياناً."
 "هل التقيت بخطيبها الشاب؟"

"أوه".

"تريدين أن تتحدثي معه؟".

أومأت برأسها. وتزايدت حدة توترها.

خرج بوارو من الكابينة في تلك اللحظة ورأنا واقفين معاً. جاء إلينا بسرعة.

بدأت السيدة تانيوس تتحدث بسرعة وبصوت منخفض: "سيد بوارو. هناك شيء أريد أن أخبرك به - يجب أن أقول لك -".

"نعم يا سيدتي".

"هذا مهم - مهم للغاية. رأييت -".

توقفت عن الكلام بعد خروج السيد تانيوس والطفلان من غرفة الكتابة.

فتوجهوا إلينا مباشرة وانضموا إلينا.

"أنديك شيء تقولينه للسيد بوارو يا بيلا؟".

كان يتحدث بنبرة مبهجة، وعلى شفثيه ابتسامة حلوة.

ترددت قليلاً ثم قالت: "نعم، حسنًا، هذا كل ما في الأمر يا سيد بوارو. أردتُك

أن تخبر تريزا بأننا سوف ندعمها في أي شيء تختار عمله. أرى أن العائلة يجب أن تتضامن مع بعضها في كل شيء".

أومأت إلينا بدكاء، ثم أخذت ذراع زوجها وساروا في اتجاه غرفة الطعام -

أمسكت بوارو من كتفه.

"لم تجئنا لتقول لنا ذلك يا بوارو؟".

هز رأسه ببطء، وهو يراقب الزوجين وهما ينسحبان.

قلت له: "لقد غيرت رأيها".

"نعم يا صديقي، غيرت رأيها".

"لماذا؟".

تمتم قائلاً: "أتمنى لو كنت أعرف السبب".

قلت له بتأؤل: "سوف نخبرنا في وقت لاحق".

"لست أدري. أخشى - ألا تفعل...".

"دونالدسون؟ نعم جاء على العشاء في إحدى الليالي".

"وما رأيك فيه؟".

"شخص ذكي. أظن أنه سينجح، إذا أتيحت له الفرصة. ولكنه يحتاج إلى المال لكي يتخصص".

"أتعني أنه ماهر في عمله".

قال وعلى شفثيه ابتسامة: "هذا ما أعنيه بالضبط. رجل ذكي للغاية. ولكنه ليس بارزاً في المجتمع. كما أن طريقته دقيقة ومتممة بعض الشيء. وهو يشكل ثنائياً مضحكاً مع تريزا. المتضادات تتجاذب. هي فراشة اجتماعية، وهو منعزل على نفسه".

كان الطفلان يطمران والدتهما بالمطالب.

"أمي، ألا يمكننا أن نذهب لتناول الغداء؟ أنا جائع. سوف نتأخر".

نظر بوارو إلى ساعته وصاح قائلاً:

"أنا متأسف جداً لقد أخرتكما عن ساعة الغداء".

قالت السيدة تانيوس بعدما نظرت إلى زوجها بريية:

"فلتتناول الغداء معنا -".

قال بوارو بسرعة:

"أنت كريمة للغاية يا سيدتي، ولكنني مرتبط بموعد غداء تأخرت عليه

فعلاً".

صافح السيد تانيوس وزوجته كما صافح الأطفال أيضاً، وفعلت أنا الشيء

نفسه.

تأخرنا في الردهة لحظة أو اثنتين. أراد بوارو أن يجري اتصالاً هاتفياً.

وانتظرته أنا عند مكتب استقبال الفندق. كنت واقفاً هناك عندما رأيت السيدة

تانيوس تدخل الردهة وتلقي نظرة هناك كأنها تبحث عن شخص ما. رأيت وجهها

تعلو نظرة دهشة وخوف وعجلة، ثم رأيتي فجاءتني مسرعة وقالت لي:

"صديقك السيد بوارو - أظنه غادر؟".

"لا إنه في كابينة الاتصالات".

"نعم، إنها تعرف شيئاً ما، ولكن ما هذا الشيء؟ قالت لنا الأنسة بيبودي إن تشارلز أرونديل بإمكانه أن يقتل جدته من أجل مليمين، وقالت لنا الأنسة لوسون إن السيدة تانيوس قد تقتل أي شخص إذا طلب منها زوجها ذلك. ويقول دكتور تانيوس إن تشارلز وتريزا فاسدان حتى النخاع، ولمح إلى أن والدتهما كانت هاتلة وقال دون اكتراث إن تريزا بإمكانها أن تقتل أي شخص بدم بارد.

لكل واحد منهم رأي ظريف في الآخر، جميعهم دون استثناء! يظن دكتور تانيوس - أو يقول إنه يظن - أنها كانت واقعة تحت تأثير شيء غير مشروع. ولكن زوجته قبل مجيئه، لم تكن ترى ذلك. لم ترد أن تطلعن في الوصية في البداية. ولكنها غيرت رأيها في وقت لاحق. أتدري يا هاستينجز، الأمر أشبه بقدر ماؤه يغلي أكثر فأكثر، وبين الحين والآخر، تخرج حقيقة مهمة إلى السطح حتى نراها. هناك شيء في خفايا هذا الأمر - نعم، هناك شيء ما! أقسم بذلك، أقسم إنني متأكد من ذلك بقدر ما أنا متأكد أنني هيركيول بوارو، أقسم بذلك!"

تعجبت من جديته الشديدة رغمًا عني!

بعد لحظة أو اثنتين قلت له:

"ربما تكون محقًا، ولكن الأمر يبدو غامضًا للغاية - الأمر مبهم للغاية."

"ولكنك توافقني الرأي أن هناك شيئًا في الأمر؟"

قلت له بتردد: "نعم، أنا متأكد من ذلك."

مال بوارو ناحية الطاولة، وثبت نظريه عليّ.

"نعم - لقد تغيرت. لم تعد تتعامل مع الأمر باستخفاف، وتدعي أنني مستمتع بعملتي. ولكن ما الذي أفتنك؟ ليس منطقي الرائع - لا، ليست عقيريتي! ولكن شيئًا ما - شيئًا مختلفًا تمامًا، أثر فيك. أخبرني يا صديقي، ما الذي جعلك تتعامل مع الأمر بهذه الجدية على هذا النحو المفاجئ؟"

قلت ببطء: "أظنها السيدة تانيوس. بدت - بدت - خائفة..."

"خائفة مني؟"

"لا، لا، ليست منك. خائفة من شيء آخر. كانت تتحدث بهدوء ومنطقية في البداية - لعله استياء طبيعي من بنود الوصية، ولكنها بدت يائسة تمامًا ومستعدة لأن تترك الأمور كما هي. بدا وكأنه التوجه الطبيعي لسيدة تلقت تربية حسنة،

الثامن عشر

الأسرار المحجوبة

تناولنا الغداء في مطعم صغير لا يبعد كثيرًا عن الفندق. كنت مهتمًا بأن أعرف رأي بوارو في مختلف أفراد عائلة أرونديل.

سألته دون صبر: "وبعد يا بوارو؟"

بنظرة توبيخ، وجه بوارو كل تركيزه إلى قائمة الطعام. وبعد ما حدد طلبه اتكأ للخلف على كرسيه، وكسر رغيف الخبز نصفين وقال بببرة لا تخلو من استهزاء: "وبعد يا هاستينجز؟"

"ما رأيك فيهم بعدما رأيتهم جميعًا؟"

أجاب بوارو ببطء.

"حقًا، أظنهم مجموعة مثيرة للاهتمام! حقًا هذه القضية غريبة للغاية! إنها كما تسميها، صندوق المفاجآت؟ في كل مرة أقول فيها: "تلقيت خطابًا من الأنسة أرونديل قبل وفاتها"، يطرأ شيء ما. علمت من الأنسة لوسون موضوع المال المفقود. وقالت السيدة تانيوس على الفور: "عن زوجي؟" لماذا تظن أنه متعلق بزوجها؟ لماذا تكتب الأنسة أرونديل هيركيول بوارو، عن دكتور تانيوس؟"

قلت له: "هناك شيء يدور في عقل هذه السيدة."

ولكنها سيدة غير مبالية، ثم ذلك التغير المفاجئ الذي حدث بوصول دكتور تانيوس وسماعها وجهه نظره، وطريقة خروجها خلفنا في الردهة - وكأنها خرجت خلسة -

أوما بوارو برأسه بطريقة تشجيعية.

"وهناك شيء صغير لعلك لم تلحظه -"

"لقد لاحظت كل شيء!"

"أعني النقطة التي تحدثت خلالها حول زيارة زوجها منزل ليتلجرين في يوم الأحد الأخير. أقسم إنها لم تكن تعرف أي شيء عن هذه الزيارة - وأنها فوجئت بهذا الأمر تماماً - وبعد ذلك تبنت موقف زوجها بسرعة شديدة - ووافقت على أنه أخبرها بالأمر وأنها نسيت. لم تعجبني هذه الطريقة يا بوارو."

"أنت محق تماماً يا هاستينجز، كانت نقطة مهمة."

"تركت انطباعاً بشعاً - وكأنها خائفة عليّ."

سألته: "أشعرت بالشيء نفسه؟"

"نعم - ذلك الانطباع عاباً المكان. توقف ثم واصل كلامه قائلاً: "ولكنك رغم ذلك أحببت تانيوس، أليس كذلك؟ وجدته رجلاً مقبولاً، صريحاً، لطيفاً وذا طبيعة طيبة، وجذاب رغم عدم حيك الغريزي للأرجنتينيين، والبرتغاليين، واليونانيين - شخصية مقبولة تماماً؟"

اعترفت قائلاً: "نعم، وجدته كذلك."

في الصمت الذي عم المكان، راقت بوارو، ثم قلت على الفور:

"ما الذي تفكر فيه يا بوارو؟"

"أنا أفكر في كثير من الأشخاص، نورمان جيل الوسيم الظريف، وايفلين هوارد الودودة المحبوبة، ودكتور شيبارد الوسيم، ونايتون الهادئ والجدير بالثقة."

لم أفهم للحظة ما كان يعنيه بهذه الشخصيات التي قابلناها في قضايا سابقة.

سألته: "وماذا عنهم؟"

"كانوا جميعاً شخصيات محبوبة..."

"يا إلهي يا بوارو، هل تظن حقاً أن تانيوس -"

"لا، لا. لا تتسرع بالقفز إلى النتائج يا هاستينجز. أنا أشير فقط إلى أن الانطباعات الشخصية تجاه الآخرين ليست أدلة دامغة تقودك لشيء ما؛ فالمرء لا يجب أن يترك نفسه لمشاعره وأهوائه، وإنما عليه أن يأخذ بالحقائق."

قلت له: "ممم، الحقائق هي شغلنا الشاغل، لا، يا بوارو، لا تعد عليّ هذه المحاضرة مرة أخرى!"

"ساكون مختصراً يا صديقي، لا تخف. بداية، لدينا بما لا يدع مجالاً للشك محاولة قتل. وأنت معترف بذلك، أليس كذلك؟"

قلت له ببطء: "نعم، معترف."

حتى هذه اللحظة، كانت لدي بعض الشكوك في تصور بوارو (كما ظننت) الخيالي بعض الشيء للأحداث التي وقعت ليلة الثلاثاء من عيد الربيع، ولكنني اضطررت لأن أعترف، بأن استنتاجاته كانت منطقية تماماً.

"حسنًا. لا يمكن أن تكون هناك محاولة قتل دون أن يكون لدينا قاتل. وأحد الأشخاص الذين تواجدها في المنزل في تلك الليلة هو القاتل - بمجرد النية إن لم يكن واقعاً."

"موافق."

"إذن، هذه هي النقطة التي نبدأ من عندها - قاتل. قمنا ببعض الاستفسارات، هسنا في الوحل كما تقول. فعلام حصلنا؟ حصلنا على كثير من الاتهامات المثيرة التي خرجت بشكل عابر في وسط أحداث مختلفة."

"أنظن أنها لم تكن عابرة؟"

"من المستحيل أن أجزم بذلك في الوقت الراهن! فالطريقة التي تحدثت بها الأنسة لوسون، والتي تبدو بريئة، وأطلعنا من خلالها على حقيقة أن تشارلز هدد عمته؛ قد تكون بريئة وقد لا تكون كذلك. وقد يكون دكتور تانيوس لا يكن ليريلا أرونديل أي ضغينة، وإنما مجرد رأيه الحقيقي. على الصعيد الآخر، قد يكون الأنسة بيبودي صادقة تماماً في رأيها في ميول تشارلز أرونديل - ولكنه

يبقى في النهاية مجرد رأي، وهكذا، فهناك دوافع أو حقائق تخفى علينا تتناهى مع ظواهر المواقف. حسناً، هذا هو تليخيص الوضع هنا؛ فهناك قاتل محجوب عنا".

"ولكنني أريد أن أعرف يا بوارو، رأيك الخاص".

"هاستنجز، هاستنجز - أنا لا أسمح لنفسى بأن أبدي "رأياً" - ليس بالمعنى الذي تعنيه. في الوقت الراهن، كل ما أفعله هو طرح بعض التأملات".

"مثل؟"

"أفكر في مسألة الدوافع، ما الدوافع المحتملة لقتل الأنسة أرونديل؟ واضح أن أكثر الدوافع وضوحاً هو الكسب. ومن المستفيد من وفاة الأنسة أرونديل - إذا توفيت في يوم الثلاثاء الموافق عيد الربيع؟"

"الجميع - باستثناء الأنسة لوسون".

"بالضبط".

"حسناً، حسناً، على أية حال، استبعدنا شخصاً من المجموعة".

قال بوارو وهو غارق في التفكير: "نعم. قد يبدو الأمر كذلك. ولكن المثير في الأمر هو أن الذي لم يكن سيغني أي شيء في حالة حدوث الوفاة يوم الثلاثاء ربح كل شيء عندما حدثت الوفاة بعد ذلك بأسبوعين".

قلت وأنا حائر بعض الشيء: "ما الذي ترمي إليه يا بوارو؟"

"السبب والنتيجة، يا صديقي، السبب والنتيجة".

نظرت إليه في ريبة.

تابع كلامه:

"استمر بشكل منطقي! ما الذي حدث بالضبط بعد الحادث؟"

كنت أكره بوارو وهو في هذه الحالة؛ فهما كان ما أقوله يكون خاملاً بالضرورة! فواصلت الحديث معه بحذر شديد.

"لُزمت الأنسة أرونديل فراشها".

"بالضبط. لديك كثير من الوقت لتفكر. ماذا بعد؟"

"كتبت خطابها إليك". أوماً بوارو برأسه.

"نعم، كتبت لي. ولم يتم إرسال الخطاب. أمر مؤسف للغاية".

"هل تشم رائحة قدرة وراء عدم إرسال الخطاب؟"

عبس بوارو.

"يجب أن أعتزف يا هاستنجز بأن هذه المسألة لا أعرفها. بعد وضع كل شيء أنا واثق منه في الاعتبار، أعتقد أن الخطاب وضع في غير مكانه. أظن، فأنا لست متأكدًا، أن حقيقة كتابة خطاب كهذا لم يتصورها أي شخص. استمر، ماذا حدث بعد ذلك؟"

فكرت قليلاً.

قلت له: "زيارة المحامي".

"نعم، أرسلت في طلب محاميها ووصل في الوقت المناسب".

تابع كلامي: "وكتبت وصية جديدة".

"بالضبط. كتبت وصية جديدة وغير متوقعة أبداً. والآن، في ضوء كل ذلك، يجب أن نضع في اعتبارنا عبارة قائلها إلين - إن كنت تذكر - إن الأنسة لوسون كانت حريصة تحديداً ألا يصل نبأ وجود بوب خارج المنزل طوال الليل إلى مسمع الأنسة أرونديل".

"ولكن - أوه - فهمت - لا، لم أفهم. أم أنني بدأت في رؤية ما تلمح له...؟"

قال بوارو: "أشك في ذلك، ولكنني أأمل أن تدرك الأهمية القصوى لهذه العبارة".

رمقني بنظرة حادة.

قلت له بسرعة: "طبعاً، طبعاً".

واصل بوارو كلامه: "وبعد ذلك حدثت أمور أخرى. جاء تشارلز وتريزا في عطلة نهاية الأسبوع، وأطلعت الأنسة أرونديل تشارلز على الوصية - أو قد يكون ادعى ذلك".

"ألا تصدقه؟"

"أنا لا أصدق إلا العبارات المؤكدة. والأنسة أرونديل لم تُرها لتريزا".

"لأنها ظنت أن تشارلز سوف يخبرها بذلك".

"ولكنه لم يفعل. لماذا لم يفعل؟"

"تشارلز قال بلسانه إنه أخبرها."

"أكدت تريزا إنه لم يفعل - خلاف مثير للغاية له دلالتة. وعندما غادرنا شقتها وصفته بأنه أحمق."

قلت بحزن: "أصبحت مشوشاً يا بوارو."

"دعنا نعد إلى تسلسل الأحداث. ذهب دكتور تانيوس إلى منزل ليتلجروب يوم الأحد - ومن المحتمل أن يكون ذلك قد حدث دون معرفة زوجته."

"أنا واثق أن هذه الزيارة حدثت دون علم زوجته."

"دعنا نفترض ذلك. لتتابع! غادر تشارلز وتريزا المنزل يوم الاثنين. كانت الأنسة أرونديل بصحة جيدة وروحها المعنوية مرتفعة. تناولت عشاء جيداً وجلست في الظلام مع الأختين تريب والأنسة لوسون. وقرب انتهاء الجلسة تعبت فجأة فذهبت لسريرها وتوفيت بعد ذلك بأربعة أيام وورثت الأنسة لوسون كل أموالها، ويقول كاتبنا هاستينجز إنها توفيت بشكل طبيعي!"

"طالما أن هيركيول بوارو يقول إنها تناولت سمّاً وضع لها في العشاء دون أي دليل على الإطلاق!"

"لدي دليل ما يا هاستينجز. فكر في حديثنا مع الأختين تريب. وأيضاً عبارة قالتها الأنسة لوسون وسط حديثنا الذي كان غير مترابط بعض الشيء."

"أتعني حقيقة أنها تناولت الكاري على العشاء؟ الكاري سيصبح طعمه في فمها أشبه بدواء. أهدأ ما تعنيه؟"

قال بوارو ببطء:

"نعم، قد تكون للكاري أهمية خاصة."

قلت له: "ولكن، إن كان ما اقترحته (والذي يتعارض مع كل الأدلة الطبية) صحيحاً، فهذا يعني أن الأنسة لوسون أو إحدى الخادومات هي من حاول قتلها!"

"أتساءل."

أو الأختان تريب؟ هراء. لا أصدق ذلك! كل هؤلاء الأشخاص يبدون أبرياء تماماً."

هز بوارو كتفيه.

"تذكر يا هاستينجز أن الغباء، أو حتى السخافة من وجهة النظر تلك - قد يسير خطوة بخطوة مع الدهاء الشديد. ولا تنس محاولة القتل الأساسية. ثم انظر من سبعة عقل ماهر أو معقد كثيراً. كان قتلاً بسيطاً للغاية، مستوحى من بوب وما دله بترك الكرة أعلى السلالم. فكرة وضع خيط عبر السلالم لم تكن بسيطة وسهلة للغاية - فأني طفل يمكنه التفكير فيها!"

عبرت. "أتعني -"

"أعني أن كل ما نحتاج إلى معرفته هنا هو شيء واحد - الرغبة في القتل، ليس أكثر."

قلت له: "ولكن السم قطعاً كان متقن الصنع للحد الذي جعله لا يترك أي أثر - شيء يتعذر على الشخص العادي أن يحصل عليه. أوه، اللعنة يا بوارو. لا أستطيع أن أصدق ذلك الآن. لا تستطيع أن تعرف! إنها مجرد افتراضات!"

"أنت مخطئ يا صديقي. نتيجة لأحاديثنا المختلفة التي أجريناها هذا الصباح، أصبح لدي شيء ملموس أهدتي به. علامات محددة قد تبدو بسيطة ولكنها خيالية. الشيء الوحيد أنني خائف."

"خائف؟ مم؟"

قال بصوت خشن:

"من إيقاظ الكلاب النائمة. إنه أحد الأمثال التي تحبها أليس كذلك؟ أن تترك الكلاب النائمة ترقد في سلام! هذا هو ما يفعله قاتلنا في الوقت الراهن - فهو ينام سعيداً تحت الشمس... ألا نعرف - أعني أنا وأنت يا هاستينجز - أن الغالب - عندما تهتز ثقتهم - كثيراً ما يقتل مرة ثانية أو حتى ثالثة!"

"أتخشى حدوث ذلك؟"

أوماً بوارو برأسه.

"نعم، إذا كان لدينا قاتل محبوب - وأنا واثق من وجوده يا هاستينجز. نعم، أنا واثق من وجوده..."

إذا كان هناك شيء واحد يستحيل تصديقه فهو أن يخلق بوارو أي درج بهذه الطريقة! نظرت وأنا غارق في التفكير إلى تشارلز. كان بمفرده في هذه الغرفة بانظر وصولنا. لم يساورني أدنى شك أنه قضى الوقت في قلب أوراق بوارو. يا له من شاب محتال! شعرت بأنني أستشيط غضباً.

بينما كان تشارلز في حالة مبهتجة للغاية.

قال وهو يقدم الخطاب لبوارو: "ها هو. كل شيء على أتم ما يرام، وأمل أن يكون حظك مع بيرفيس العجوز أطيب من حظنا".

"أظنه ليس لديه أمل كبير في مسألة الطعن في الوصية؟"

"أمر محبط للغاية... فهو يرى أن لوسون طارت وأفلتت بفعلتها".

"ألم تفكر أنت وأختك أبداً في استجداء مشاعر السيدة؟"

ابتسم تشارلز.

"فكرت في ذلك. ولكن يبدو أنه ما باليد حيلة؛ فلباقتي ذهبت سدى. مأسورة الخروف الأسود المحروم التي تثير الشفقة - وخروف مثلي ليس على درجة السواد نفسها التي رسم به - فشلت في تحريك قلب المرأة! أتدري، إنها لا تحبني أبداً! لا أعرف السبب في ذلك"، ثم ضحك وقال: "أغلب السيدات المسنات يقعن في حبي بمنتهى السهولة. يعتقدن أنني لم أجد من يفهمني ولم ألق فرصة مناسبة أبداً".

"وجهة نظر مفيدة".

"أوه، كانت مفيدة للغاية قبل الآن. ولكن كما أقول، مع لوسون، لا شيء يفيد. أظنها محصنة ضد الرجال. أظنها اعتادت أن تسلسل نفسها في خط سكة حديدية وتلوح بعلم حق المرأة في الانتخاب أيام ما قبل الحرب".

قال بوارو، وهو يهز رأسه: "أها، حسناً. إذا فشلت الطرق الأبسط...".

قال تشارلز مبتهجا: "يجب أن نلجأ إلى الجريمة".

قال بوارو: "أها، والآن، وبذكر الجريمة أيها الشاب، هل صحيح أنك هددت مفتك، أنك قلت إنك "ستضربها بالنار"، أو شيئاً بهذا المعنى؟"

التاسع عشر

زيارة إلى السيد بيرفيس

طلب بوارو فاتورته وسددها.

سأله: "ماذا سنفعل بعد ذلك؟"

"سنقوم بما اقترحته في وقت مبكر من الصباح. سوف نذهب إلى هارستون لتتحدث مع السيد بيرفيس. لهذا السبب أجريت اتصالاً هاتفياً في الفندق".

"اتصلت ببيرفيس؟"

"لا، اتصلت بتريزا أرونديل. طلبت منها أن تكتب لي رسالة تعرفه بي. فلكي أنجح في الاقتراب منه والتعامل معه يجب أن نحصل على تفويض من أحد أفراد العائلة. وقد وعدتني بأن ترسله إلى شقتي. يجب أن يكون وصل هناك الآن".

لم نجد الخطاب فقط، ولكننا وجدنا تشارلز أرونديل أحضره بنفسه.

قال تشارلز وهو يلقي نظرة على غرفة المعيشة: "شقتك لطيفة يا سيد بوارو".

في تلك اللحظة وقعت عيناها على درج في المكتب غير محكم الغلق، فتدخل منه جزء صغير من حافظة أوراق من الانغلاق.

جلس تشارلز على كرسي، فاردًا قدميه أمامه وهو يحرق في بوارو.

قال له: "حسنًا، من أخبرك بذلك؟"

"ليس هذا مهمًا. هل هذا صحيح؟"

"حسنًا، هناك جانب من الصحة في ذلك."

"اقترُب، اقترُب، دعني أسمع القصة، القصة الحقيقية."

"أوه، يمكنك أن تعرفها يا سيدي. ليس هناك شيء مأساوي فيها. كانت مجرد محاولة، إن كنت تفهم ما أعنيه."

"أفهم."

"حسنًا ولكن الأمر لم يسر وفقًا لخطة. فالعمة إميلي أعلنت أن أي جهود لمحاولة فصلها عن أموالها سوف تكون عديمة الفائدة! حسنًا، لم أفقد أعصابي ولكنني قتلها لها بصراحة: "اسمعي يا عمتي إميلي. تعرفين أنك تدفعين الأمور لا اتجاه يجعلك ستضربين بالنار في النهاية". فسألتني بازدياد عما أعنيه، قلت لها: "ما سمعته. أصدقاؤك وأقاربك يهيمون على وجوههم في الشوارع بأفواه مفتوحة، جميعهم فقراء كالفرنجان الموجودة في سفن أعالي البحار - أيا كان ما تكون عليه حال هذه الفرنجان - يأملون أن يحظوا منك بأي شيء. وماذا تفعلين؟ أنت غارقة في المال ترفضين أن تعطيهن القليل منه. لهذا السبب يدفع الناس أنفسهن للقتل. اسمعيني مني، إذا ضربت بالنار فلا تلومي إلا نفسك."

عندئذ نظرت لي، من فوق نظارتها الطبية بطريقتها المعهودة. نظرت إلي بخبث، ثم قالت بطريقة جافة: "أوه، هذا رايلك إذن؟"، قلت لها: "نعم، فكي كيسك قليلًا. هذه نصيحتي لك". قالت لي: "شكرًا لك يا تشارلز، على نصيحتك الغالية. ولكنني أعلم أنك ستجديني قادرة على أن أعني بنفسني". قلت لها: "كما تشائين يا عمتي". كانت الابتسامة تعلو وجهي، وأتصور أنها لم تكن غاضبة كما حاولت أن تبدو. قلت لها: "لا تقولي أنني لم أحذرك"، فقالت: "سأتذكر ذلك".

وهنا توقف عن الكلام.

"هذا كل ما في الأمر."

قال بوارو: "وهكذا، رضيت لنفسك بضعة جنبيات وجدتها في أحد الأدراج."

حدق تشارلز فيه ثم انفجر في الضحك.

قال له: "دعني أرفع قبعتي لك. أنت محقق داهية! كيف عرفت ذلك؟"

"إذن هذا صحيح؟"

"أوه، صحيح فعلاً! كنت بحاجة ماسة إلى المال. وكان يجب أن أحصل على مال من مكان ما. فوجدت كمية صغيرة من النقود في أحد الأدراج فأخذت القليل منها. كنت متواضعا للغاية - لم أظن أن عملية الاختلاس الصغيرة تلك سينتبه إليها أحد. وحتى لو حدث، ستلتصق التهمة بأحد الخدم."

قال بوارو بطريقة جافة:

"سيتعامل الخدم بمنتهى الجدية مع هذا الأمر إن بلغ مسمعهم."

هز تشارلز كتفيه وتمتم قائلاً.

"كل شخص وشأنه."

قال بوارو: "ولكن الذئب لا يأكل إلا الشاة الضعيفة. أهذا ما تحثك على مدينتك؟"

نظر إليه تشارلز بفضول.

"لم أعرف أن السيدة العجوز علمت بالأمر. كيف عرفت ذلك - وكيف عرفت أهديدي لها بالقتل؟"

"أخبرتني الآتسة لوسون بذلك."

قال على الفور: "العجوز الماكرة!". بدا عليه شيء من القلق. ثم أردف يقول: "لم تكن تحبني، كما أنها لم تحب تريزا. ألا تعتقد أنه قد يكون لديها شيء آخر لحفيه؟"

"ماذا عساه يكون؟"

"أوه، لست أدري. ولكنها حاولت أن تظهرني في صورة شيطان شرير. التزم السميت للحظة، ثم أردف يقول: "وهي تكره تريزا..."

"هل كنت تعرف يا سيد أرونديل أن دكتور تانيوس جاء لزيارة عمك يوم الأحد الذي سبق وفاتها؟"

"ماذا؟ يوم الأحد الذي كنا فيه هناك؟"

"نعم، ألم تره؟"

"لا؛ فقد خرجنا للتنزه بعد الظهر. أظن أنه جاء حتمًا في ذلك الوقت. من المضحك أن العمة إميلي لم تذكر أي شيء عن زيارته؟"

"من أخبرك؟"

"الآنسة لوسون."

"لوسون مرة أخرى؟ يبدو أنها منجم معلومات."

الترم الصمت ثم أردف يقول:

"أندري؛ تانيوس رجل ظريف. أنا أحبه. شخص لطيف وضحوك."

قال بوارو: "صحيح؛ فهو يتمتع بشخصية جذابة."

وقف تشارلز على قدميه.

"لو كنت مكانه، لقتلت بيلا الكنيبة منذ سنوات! ألا تظن أنها من تلك السيدات اللاتي يختارن القدر دومًا للعب دور الضحية؟ أتعرف، لن أندش إذا علمت أن الحال انتهت بها في شاحنة بمدينة مارجيت أو في أي مكان آخر؟"

قال بوارو بجدّة: "ليس تصرفًا جيدًا أن تلصق مثل هذه التهمة بزوجة الطبيب."

قال تشارلز بتأمل: "لا، لا، لا أظن أن بإمكان تانيوس أن يؤدي ذباية. إنه طبيب القلب جدًّا."

"وماذا عنك؟ هل ترتكب جريمة قتل إذا كانت ستجعلك ثريًا بما يكفي؟"

ضحك تشارلز، ضحكة رنانة صادقة.

"أظن أنني كنت أبترها يا سيد بوارو؟ لا شيء من هذا القبيل، أؤكد لك أنني لم أضع — توقف عن الكلام فجأة ثم تابع كلامه، "مادة الإستركنين السامة في حساء العمة إميلي."

غادر المنزل وهو يلوح بيده دون اكتراث.

سألته: "هل كنت تحاول إخافته يا بوارو؟ إن كان الأمر كذلك، لا أظن أنك لاهت. لم يظهر عليه أي شعور بالذنب من أي نوع."

"لا؟"

"لا. بدا رابط الجأش تمامًا."

قال بوارو: "صمته أثار فضولي."

"صمته؟"

"نعم، صمته قبل أن يذكر كلمة الإستركنين، وكأنه كان على وشك أن يقول شيئًا آخر، ولكنه وجد هذه الكلمة أفضل."

هزرت كتفي.

"لعله كان يفكر في سم جيد يبدو قويًا."

"هذا ممكن. ممكن. ولكن دعنا نبدأ في رحلتنا. أظن أننا سنبيت الليلة في فندق جورج بماركيت بيسينج."

بعد عشر دقائق كنا نسير بسرعة في الطريق إلى لندن، متجهين مرة أخرى إلى الريف.

وصلنا إلى هارشستر في حوالي الساعة الرابعة، واتجهنا مباشرة إلى مكتب بيرفيس وبيرفيس، وتشارلزورث وبيرفيس.

كان السيد بيرفيس رجلًا قويًا، ضخم البنية، ذا شعر أبيض وبشرة متوردة. وكانت له نظرة أشبه بنظرة الإقطاعيين الذين يعيشون في الريف، كان يتصرف بلهافة ولكن بشيء من التحفظ.

قرأ الخطاب الذي أحضرناه معنا ثم نظر إلينا وهو جالس على مكتبه. كانت المرأة متبصرة وباحثة في الوقت نفسه.

قال بأدب: "بالطبع أعرفك بالاسم يا سيد بوارو. فهمت أن الآنسة أرونديل وأخاها طلبا خدماتك في هذا الأمر، ولكن في أي شيء تتصور أنك ستكون ذا نفع لهم؟ هذا ما عجزت عن تخيله."

"دعنا نقل يا سيد بيرفيس: تحقيق كامل لكل الظروف؟".

قال المحامي على نحو جاف:

"لقد أخذت الأنسة أرونديل وأخوها رأيي فيما يتعلق بالوضع القانوني. كالتحقيق في الظروف واضحة تمامًا، لا تتحمل أي سوء فهم لما حدث".

قال بوارو بسرعة: "رائع، رائع، ولكنني واثق أنك لن تعترض على مجرد تكرارها حتى يتسنى لي تصور الموقف بوضوح".

أحنى المحامي رأسه.

"أنا في خدمتك".

بدأ بوارو في الحديث:

"لقد كتبت إليك الأنسة أرونديل تعطيلك تعليمات في السابع عشر من أبريل على ما أظن؟".

راجع السيد بيرفيس بعض الأوراق الموضوعة على الطاولة المقابلة له قبل أن يجيبه قائلاً:

"نعم، هذا صحيح".

"هل يمكنك أن تخبرني بما قالته؟".

"طلبت مني أن أكتب لها وصية، تترك فيها بعض الأموال لاثنتين من الخدم وثلاث أو أربع جمعيات خيرية. وتترك فيها كل تركتها إلى فيلهيلمينا لوسون بالكامل".

"اعذرني يا سيد بيرفيس، ولكن هل فاجأك هذا الطلب؟".

"أعترف بأنه فاجأني كثيراً".

"كانت الأنسة أرونديل قد كتبت وصية من قبل؟".

"نعم، كتبت وصية من خمس سنوات مضت".

"تترك فيها أموالها إلى أبناء إختوها، طبعاً بعد تجنب جزء صغير محدد من المال؟".

"كانت الوصية تقضي بتقسيم الجزء الأكبر من أملاكها بالتساوي بين ابني أخيها توماس، وابنة أختها أرابيلا بيجز".

"وماذا حدث لهذه الوصية؟".

"بناءً على طلب الأنسة أرونديل أحضرتها معي عندما زرتها في منزل ابنة الجرين في الحادي والعشرين من شهر أبريل".

"سأكون ممتناً لك كثيراً يا سيد بيرفيس إذا أعطيتني وصفاً مفصلاً لكل شيء حدث في تلك الزيارة".

سكت المحامي لحظة أو اثنتين. ثم قال بكل دقة:

"وصلت إلى منزل ليتلجرين في الساعة الثالثة بعد الظهر. وكان أحد العاملين معي بالمكتب يرافقتي. فاستقبلتنا الأنسة أرونديل في غرفة المعيشة".

"كيف وجدتها؟".

"وجدتها في حالة صحية جيدة رغم أنها كانت تسير مرتكزة على عصا. واهتمت بعد ذلك أن هذا بسبب سقوطها مؤخراً من على السلالم. ولكن صحتها بشكل عام كما قلت، بدت جيدة. ولكنها فاجأتني بطريقتها المتوترة بعض الشيء والفعالية الزائدة".

"هل كانت الأنسة لوسون معها؟".

"كانت معها عندما وصلت. ولكنها تركتنا على الفور".

"وبعد ذلك؟".

"سألتني الأنسة أرونديل عما إذا كنت قد فعلت ما طلبته مني، وما إذا كنت قد أحضرت الوصية الجديدة معي لكي توقيعها".

"أجبتها بأنني فعلت. أنا — أردد —. تردد للحظة أو اثنتين، ثم مضى ويقول بصلاية: "بإمكانني أن أقول إن ضميري المهني حتم علي أن أعارض الأنسة أرونديل، فأوضحت لها أن هذه الوصية الجديدة قد تعتبر ظالمة للغاية في حق هاليتها، الذين هم — رغم كل شيء — لحمها ودمها".

"وماذا قالت لك؟".

"سألتني عما إذا كان المال ملكاً لها وأنه من حقها أن تفعل به ما يحلو لها. فأجبتها بأن هذا صحيح بالطبع. فقالت لي بالحرف "ممتاز". فذكرتها بأنها لم أعرف المدعوة الأنسة لوسون إلا من فترة وجيزة للغاية، وسألتها عما إذا كانت

متأكدة تماماً أن ظلمها لعائلتها بهذا الشكل مشروع. فأجابتي قائلة: "صديقي العزيز، أنا أعرف تماماً ما أفعله".

"قلت إنها كانت تتصرف بانفعال".

"استطيع أن أجزم بأنها كانت كذلك، ولكن افهمتي يا سيد بوارو، كانت في كامل قواها العقلية. كانت مؤهلة لأن تدير شؤونها الخاصة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى. ورغم تعاطفي الكامل مع أفراد عائلة الأنسة أرونديل، سوف ألتزم بما قلته لك إذا ما استدعيت للشهادة أمام أي محكمة قانونية".

"هذا مفهوم تماماً. أرجو أن تواصل كلامك".

"قرأت الأنسة أرونديل الوصية القديمة. ثم مدت يدها وطلبت مني أن أعطيها الوصية الجديدة. قلت لها إنني أفضل أن أسلمها المسودة أولاً، ولكنها ضغطت عليّ وذكرتي بأنها طلبت مني أن أحضر الوصية جاهزة على التوقيع فلم أجد أي صعوبة في ذلك لأن بنودها كانت بسيطة للغاية. قرأتها بعناية وأومأت برأسها وقالت إنها سوف توقعها على الفور. شعرت بأن من واجبي أن أقدم اعتراضاً أخيراً. سمعنتي بصبر دون أن تقاطعني، وقالت لي في النهاية إنها اتخذت قرارها. فطلبت من مستخدمي الدخول وكان هو والبستاني شهوا على توقيعها. فلم يكن الخدم بالطبع صالحين لهذه المهمة لحقيقة أنهم كانوا مستفيدين من الوصية".

"وبعد ذلك، هل ائتمنتك على الوصية لتصبح في أيد أمينة؟".

"لا، وضعتها في درج في مكتبها، الدرج الذي توصله بالمفتاح".

"وماذا حدث للوصية الأصلية؟ هل أحرقتها؟".

"لا، وضعتها في الدرج مع الوصية الأخرى".

"بعد وفاتها، أين وجدت الوصية؟"

"في الدرج نفسه. وباعتباري منفذ الوصية كانت معي مفاتيحها، فقلبت في أوراقها ومستنداتنا".

"هل وجدت الوصيتين في الدرج؟".

"نعم؛ حيث وضعتهما بالضبط".

"هل سألتها ولو مرة عن الدافع الذي جعلها تتخذ هذا الإجراء المفاجئ؟".

"نعم، فعلت. ولكنني لم أتلّق إجابة مرضية. ولكنها أكدت لي فقط أنها "لعرف ما تفعل"."

"ورغم ذلك كنت مندهشاً من إصرارها على ذلك؟".

"كنت مندهشاً للغاية. يجب أن أقول إن الأنسة أرونديل لطالما أظهرت أن لديها إحساساً قوياً بمسئوليتها تجاه عائلتها".

الترم بوارو الصمت للحظة، ثم سأله:

"أظن أنك لم تدخل في أي حوار مع الأنسة لوسون في هذا الموضوع؟".

"بالطبع لا، فمثل هذا الأمر لا يجوز أبداً".

بدأ السيد بيرفيس مستاءً من مجرد الاقتراح.

"هل قالت الأنسة أرونديل أي شيء يوضح أن الأنسة لوسون تعرف أنها كتبت وصية تجعلها المنتفعة الأساسية؟".

"على العكس؛ فقد سألتها عما إذا كانت الأنسة لوسون تعرف بما يحدث، فلما طعنتي الأنسة أرونديل على الفور وقالت إنها لا تعرف أي شيء عن ذلك.

وجدت أنه من الحكمة ألا تعرف الأنسة لوسون أي شيء عما حدث. وحاولت أن ألمّح قدر استطاعتي بهذا الأمر للأنسة أرونديل فوجدتها مقتنعة برأيي".

"لماذا أكدت هذه النقطة يا سيد بيرفيس؟".

بادلني الرجل العجوز النظر بوقار وقال:

"أرى أنه من الأفضل عدم مناقشة مثل هذه الأمور؛ لأنها قد تؤدي في المستقبل إلى خيبة أمل".

أخذ بوارو نفساً عميقاً ثم قال: "أها، ظننت أنه من المحتمل أن تغير الأنسة أرونديل رأيها في المستقبل القريب؟".

أحنى المحامي رأسه.

"هذا صحيح؛ فقد تصورت أن الأنسة أرونديل دخلت في شجار عنيف مع عائلتها. وتصورت أنها قد تتراجع عن هذا القرار الطائش وتغير موقفها عندما لهذا".

"في هذه الحالة سوف تفعل - ماذا؟".

"سوف تعطيني تعليمات بأن أعد وصية جديدة".

"ومن الممكن أيضاً أن تتخذ الإجراء الأبسط وهو أن تتخلص من الوصية الجديدة، فتصبح بذلك الوصية القديمة صالحة؟".

"هذه النقطة محل خلاف بعض الشيء؛ فكل الوصايا السابقة كما نعرف تصبح ملغاة لوجود وصية صحيحة".

"ولكن الآنسة أرونديل ليست لديها معرفة قانونية لكي تفهم هذه النقطة عليها فكرت أن تدمير الوصية الجديدة يجعل الوصية القديمة صحيحة".
"هذا محتمل".

"في الواقع، إذا توفيت دون أن تكتب وصيتها، فسوف تترك عائلتها كل أموالها؟".

"نعم، نصفها إلى السيدة ثانيوس، ونصف يقسم بالتساوي بين تشارلز وقريزا. ولكن تبقى حقيقة أن الآنسة أرونديل لم تغير رأيها؛ توفيت دون أن تغير رأيها".

قال بوارو: "ولكن هذا هو سبب مجيئي".

نظر إليه المحامي متسائلاً.

مال بوارو للأمام وقال:

"على فرض أن الآنسة أرونديل، وهي على فراش الموت، تمت أن لو كانت قد تخلصت من هذه الوصية. ولكنها تخلصت من الوصية الأولى".

هز السيد بيرفيس رأسه:

"لا، لم يمس أي شخص أي شخصاً من الوصيتين".

"إذن على فرض أنها دمرت الوصية المزورة - وهي تعتقد أنها تخلصت من الوصية الأصلية. تذكر أنها كانت مريضة للغاية، من السهل أن تخدعها".

قال المحامي بحدة: "ولكن يجب أن يكون لديك دليل على ذلك".

"أوه! بالتأكيد - بالتأكيد...".

"دعني أسألك، هل هناك سبب يجعلك تعتقد أن شيئاً من هذا القبول حدث؟".

تراجع بوارو للخلف قليلاً.

"لا أريد أن أجزم بذلك في هذه المرحلة -".

قال السيد بيرفيس مؤكداً عبارة مألوفة بالنسبة له: "طبعاً، طبعاً".

"ولكن يمكنني أن أقول بكل ثقة، إن هناك جوانب غريبة في هذا الأمر".

"حقاً؟ لم تقل ذلك".

فرك السيد بيرفيس يديه معاً بشكل ينم عن حماسه وتوقعه لما سيقوله بوارو.

تابع بوارو كلامه: "ما أردت أن أعرفه منك وما توصلت إليه، هو اعتقادك أن الآنسة أرونديل كان من الممكن - عاجلاً أو آجلاً - أن تغير رأيها وتراجع نفسها بشأن موقفها من عائلتها".

قال المحامي: "ولكن بالطبع هذه وجهة نظري فحسب".

"سيدي العزيز، أفهم ذلك جيداً، أظن أنك لا تنوب عن الآنسة لوسون؟".

قال السيد بيرفيس: "لقد نصحت الآنسة لوسون بأن تستشير محامياً آخر".

قالها بنبرة متخشبة.

صافحه بوارو، وشكره على كرمه وعلى المعلومات التي أدلى بها لنا.

"وتعتقد أنه ذات يوم، سيحدث السقوط المروع؟"

قلت له: "لن تستطيع أن تحكم زمام الأمور للأبد".

"هذا صحيح. سوف تأتي اللحظة العظيمة التي أمسك فيها كل كرة على حدة، وأنحني تحية للجمهور، ثم أبتعد عن المسرح".

"لتسمع استحسانًا مدويًا من الجمهور".

نظر إليّ بوارو بعين الشك.

"قد يحدث هذا أيضًا".

قلت له لكي أبتعد عن النقطة الخطيرة: "لم نعرف الكثير من السيد بيرفيس".

"لا، باستثناء أنه جعلنا نتأكد من أفكارنا العامة".

"كما أكد كلام الأنسة لوسون أنها لم تعرف أي شيء عن الوصية حتى وفاة السيدة العجوز".

"بالنسبة لي، لا أرى أنه أكد شيئًا كهذا".

"لقد نصح بيرفيس الأنسة أرونديل بألا تخبرها بذلك، وأجابته الأنسة أرونديل بأنه ليست لديها أي نية لأن تفعل ذلك".

"نعم، كل هذا لطيف وواضح. ولكن الباب يحتوي على ثقب للمفتاح، كما أن هناك مفاتيح تفتح الأدراج الموصدة".

سألته وأنا مصدوم بعض الشيء: "هل تعتقد حقًا أن الأنسة لوسون قد تسترق السمع والبصر وتفعل ذلك؟".

ابتسم بوارو.

"الأنسة لوسون ليست ملاكًا يا عزيزي. نعرف أنها سمعت مصادفة أحد الحوارات التي لم تكن تقصد سماعها. أعني الحوار الذي قال فيه تشارلز لعمته إنها تعرض نفسها للضرب بالنار من أحد أقاربها النعساء".

اعترفت بهذه الحقيقة.

"أرأيت يا هاستنجز، ومن الممكن أن تكون قد سمعت أيضًا بكل سهولة الحديث الذي دار بين السيد بيرفيس والأنسة أرونديل؛ فصوته قوي ورنان".

العشرون

زيارة ثانية لمنزل ليتلجرين

في طريق عودتنا من هارشستر إلى ماركيت بيسينج، اللتين تبعدان عن بعضهما حوالي عشرة أميال، بدأنا في مناقشة الوضع.

"هل لديك سبب يا بوارو، للاقتراح الذي قدمته؟"

"أعني أن الأنسة أرونديل ربما كانت تعتقد أنها تخلصت من وصية معينة؟ لا، يا صديقي، بصراحة لا. ولكن كان عليّ - يجب أن تفهم ذلك - أن أقدم باي اقتراح! السيد بيرفيس رجل داهية. وإن لم أعطه أي تلميح كما فعلت، كان من الممكن أن يسأل نفسه عن دوري في هذا الأمر".

قلت له: "أعرف ما الذي ذكرته به يا بوارو؟".

"لا يا صديقي".

"بالبهلوان الذي يرمي عدة كرات بألوان مختلفة! جميعها تطير في الهواء في وقت واحد".

"والكرات مختلفة الألوان هي الأكاذيب المختلفة التي لجأت إليها. أليس كذلك؟".

"الأمر متعلق بحجمها".

تابع يوارو كلامه وقال: "أما بالنسبة لمسألة استراق السمع والنظر، فكثير من الناس يفعلون ذلك أكثر مما تتصور. والأشخاص الخجولون الذي يخافون من أي شيء بسهولة كالأنسة لوسون كثيرًا ما يكتسبون بعض العادات السيئة اللائقة، التي يجدون فيها متعة كبيرة وعزاء لهم".

قلت له: "حقًا يا يوارو!"

أوما برأسه عدة مرات.

"هذا صحيح، الأمر كذلك، الأمر كذلك فعلاً".

وصلنا إلى فندق جورج، وحجزنا غرفتين، ثم سرنا في اتجاه منزل ليلتجrien. عندما قرعنا جرس الباب، أجبنا بوب على الفور. جاء مسرعًا عبر الردهة وهو ينبع بقوة وألقى بنفسه على الباب الأمامي.

زجر الكلب مكشراً عن أسنانه وكأنه يقول: "سأقطع كبذك وأحشاءك، سأقطع أوصالك من جسمك! سأمنعك من مجرد محاولة دخول هذه المنزل! انتظر فقط حتى تطولك أسناني".

ثم سمعنا تهممة مهددة وسط كل الضجيج الذي أحدثه بوب.

"انتبه، يا ولد. انتبه، هكذا تكون كلباً طيباً، ادخل هنا".

ثم سحب بوب من الطوق الموضوع حول رقبته، وحبس في غرفة الجلوس الصباحية رغماً عنه.

تذمر من داخل الغرفة وكأنه يقول: "دائماً ما يفسدون عليّ رياضي. أول فرصة تسنح لي لأخيف أي شخص بشكل حقيقي منذ وقت طويل. كنت أشد أسناني لأمسك به. انتبه لنفسك يا رجل".

ثم أغلق باب غرفة الجلوس الصباحية عليه، وعادت إلين لتفتح الباب الأمامي.

صاحت قائلة: "أوه، إنه أنت يا سيدي".

أغلقت الباب على الفور. وعلى وجهها نظرة تعكس قدرًا كبيرًا من السعادة.

"ادخل يا سيدي، ادخل من فضلك".

دخلنا الردهة، وسمعنا من تحت عقب الباب الموجود على يسارنا أصوات مجرة متعاقبة، يتخللها نباح. كان بوب يحاول أن "يضعنا" في مكاننا الصحيح. قلت لها: "يمكنك أن تخرجه".

"سأفعل يا سيدي. إنه هادئ على الدوام حقًا، ولكنه يحدث الكثير من البوضاء ويندفع بسرعة تجاه الأشخاص فيخيفهم بذلك. ولكنه كلب حراسة رائع".

فتحت باب غرفة الجلوس الصباحية، فاندفع بوب وكأنه قذيفة مدفعية المفلتة فجأة.

"من هذا؟ إنهما هذان الرجلان؟ أوه، حسنًا. اعتذرائي، أبدو كأنني لم أذكركما". أخذ يتشمم - يتشمم - يتشمم، ثم تخر يشكل مطول. "بالطبع! اللبنا من قبل!".

قلت له: "مرحبًا يا صديقي. كيف الحال؟".

هز بوب ذيله بشكل روتيني.

"بخير حال، شكرًا لكما. اسمحا لي فقط بأن - لقد تحدثتم مؤخرًا مع كلب صغير. أشم رائحة كلاب حمقى على ما أظن. ما هذا؟ قطعة؟ هذا مثير. أتمنى لو كانت معنا الآن. للعبنا كثيرًا معًا. إيم - أتمنى ألا يكون كلب تيرير سيئًا".

أصاب بالفعل في تشخيص زيارة قمت بها مؤخرًا لبعض الأصدقاء الذين يربون الكلاب، ثم ركز انتباهه على يوارو، تشمم رائحة بنزين ثم ابتعد عنه موبخًا إياه.

ناديته: "بوب".

رمقني بنظرة من خلف كتفيه.

"هذا صحيح. أعرف ما أفعل. سأعود في لحظة بصر".

"المنزل كله مغلق. أتمنى أن تعذراني -". أسرعت إلين تركض إلى غرفة الجلوس الصباحية وأخذت تفتح مصاريع النوافذ.

قال يوارو: "رائع، هذا رائع"، قالها وهو يتبعها إلى غرفة الجلوس وجلس هناك. كنت على وشك الانضمام إليه، ولكن بوب ظهر من جديد من مكان

غامض، حاملاً الكرة في فمه. أتى مسرعاً عبر السلا لم ومد جسمه على أعلى درجاته، واضعاً كرتيه بين مخالبه. وأخذ يهز ذيله ببطء. نظر إلي وكأنه يقول: "تعال، تعال، لنلعب قليلاً".

زال اهتمامي للحظة بالتحقيق، وأخذنا نلعب بضغ دقات، ثم شعرت بالذنب فأسرعت إلى غرفة الجلوس الصباحية.

بدا بوارو والين وكأنهما قطعاً شوقاً لا بأس به في الحديث عن موضوع المرض والأدوية.

"بعض الأقراص الصغيرة البيضاء، هذا هو كل ما كانت تأخذه من عقاقير، اثنان أو ثلاثة بعد كل وجبة. كانت هذه هي أوامر دكتور جرينجر. أوه، صحيح، كانت تأخذها في المواعيد المحددة بالضبط، أقراص صغيرة للغاية. وكانت هناك أيضاً بعض الأدوية التي راقت الأنسة لوسون كثيراً. كانت كبسولات دكتور لافبارو للكبد. بإمكانك أن ترى إعلاناتها على كل اللوحات الإعلانية".

"كانت تأخذها أيضاً؟"

"نعم. بدأت الأنسة لوسون في تناولها، ووجدت أنها ساعدتها كثيراً".

"هل دكتور جرينجر يعرف ذلك؟"

"أوه، لم يمانع يا سيدي. كان يقول لها "خذيها إذا كنت تجدينها مفيدة"، فكانت تجيبه بقولها "حسناً قد تضحك على ذلك، ولكنها تفيدني فعلاً. أفضل كثيراً من أدويةك". ضحك دكتور جرينجر، وقال إن الإيمان أقوى من كل العقاقير التي تم اختراعها".

"ألم تكن تأخذ أي شيء آخر؟"

"لا، ولكن زوج السيدة بيلا - الطبيب الأجنبي - سافر وأحضر لها زجاجة عقار ما، ورغم أنها شكرته كثيراً، فإنها سكبته على الفور، وأنا واثقة من ذلك وأظن أنها كانت محقة؛ فأنت لا تعرف أي شيء عن هذه العقاقير الغريبة".

"هل رأتها السيدة تانيوس وهي تسكبه؟"

"نعم، نعم، أظن أنها شعرت بألم بسبب هذا التصرف، سيدة مسكينة. أنا أيضاً آسفة لذلك، فقطعاً كانت نوايا الطبيب حسنة في النهاية".

"هذا أكيد. أكيد. أعتقد أن جميع العقاقير التي كانت موجودة في المنزل تم التخلص منها بوفاة الأنسة أرونديل؟"

بدأت إلين مندهشة بعض الشيء من السؤال.

"أوه، نعم يا سيدي. لقد تخلصت الممرضة من بعض الأدوية، كما تخلصت الأنسة لوسون من كل الأدوية القديمة التي كانت موجودة في دولااب الحمام".

"هل كانت كبسولات دكتور لافبارو توضع هناك؟"

"لا، كانت توضع في الدولااب الموجود في غرفة الطعام لكي تكون قريبة منها وتأخذها بعد الوجبات كما تقول التعليمات".

"من الممرضة التي اعتنت بالأنسة أرونديل؟ هل يمكنك أن تعطيني اسمها وعنوانها؟"

أعطته إلين الاسم والعنوان على الفور.

واصل بوارو طرح أسئلة عن مرض الأنسة أرونديل الأخير.

زودته إلين بكل التفاصيل وهي مستمتعة بذلك. وصفت له مرضها، والألم الذي كانت تعانيه، وبداية مرض الصفراء معها، والهديان الأخير. لا أعرف ما إذا كان بوارو استشعر الرضا من الإجابات التي تلقاها أم لا. ولكنه استمع بصبر شديد، وكان يقاطعها بين الحين والآخر وي طرح عليها سؤالاً صغيراً متعلقاً بالأنسة لوسون في العادة، وحجم الوقت الذي كانت تقضيه في غرفة التمرير. كما أنه اهتم كثيراً بالنظام الغذائي الخاص بالسيدة العجوز، وكان يقارنه بالنظام الغذائي الخاص بقريب له متوفى (وهي طبعاً).

عندما رأيت أنهما مستمتعان كثيراً بحديثهما معاً، تسلفت إلى الردهة مرة أخرى. كان بوب قد ذهب لينام على الدرج، واضعاً كرتيه أسفل ذقنه.

صفرت له فهب على الفور وتيقظ تماماً. ولكنه هذه المرة أبعد الكرة عنه وألقاها لي - قطعاً بسبب شعوره بالإهانة في المرة السابقة - وأمسك بالكرة عدة مرات في آخر لحظة.

"أنت محبط، أليس كذلك؟ حسناً، لعلني سأتركك تأخذها هذه المرة".

عندما عدت بعد ذلك إلى غرفة الجلوس الصباحية، كان بوارو يتحدث عن زيارة دكتور تانيوس المفاجئة يوم الأحد قبل وفاة السيدة العجوز.

"نعم يا سيدي، كان السيد تشارلز والأنسة تريزا يتجولان في الخارج. ولم نكن ننتظر قدوم دكتور تانيوس كما أعرف. كانت السيدة مستلقية واندھشت كثيراً عندما أخبرتها بقدومه. قالت لي "دكتور تانيوس؟ هل السيدة تانيوس معه؟" فقلت لها إنه أتى بمفرده. فطلبت مني أن أبخه بأنها ستنزّل لمقابلته خلال دقيقة".

"هل مكث كثيراً؟"

"لم يبق أكثر من ساعة يا سيدي. لم يبدُ مسروراً للغاية عندما غادر المنزل".

"هل لديك أدنى فكرة عن — إر — السبب من الزيارة؟"

"لا أستطيع أن أجزم به يا سيدي".

"ألم تستمع أي شيء؟"

احمر وجه إلين على نحو مفاجئ.

"لا يا سيدي، لم أسمع! أنا لم أتنصت يوماً على الأبواب، رغم أن بعض الناس يفعلون ذلك. والبعض الآخر يجيدون القيام بذلك".

اعتذر لها بوارو قائلاً: "أوه، لقد أسأت فهمي. كل ما أعنيه أنك ربما أدخلت الشاي في أثناء تواجد دكتور تانيوس، وطبعاً من الصعب أن تمنعي نفسك من سماع ما كانا يتحدثان عنه".

هدأت إلين قليلاً.

"أنا آسفة يا سيدي. لقد أسأت فهمك. لا، لم يبقَ دكتور تانيوس حتى يتناول الشاي".

نظر بوارو إليها وعيناه تومضان قليلاً.

"وإذا كنت أريد أن أعرف السبب الذي دفعه للزيارة، فهل من الممكن أن تكون الأنسة لوسون على دراية بالسبب؟ هل هذا ممكن؟"

قالت إلين: "حسناً، إن لم تكن تعرف السبب يا سيدي، فليس هناك من يعرفه".

تجهم بوارو وكأنه يحاول أن يتذكر: "دعيني أر. غرفة نوم الأنسة لوسون، هل كانت قريبة من غرفة نوم الأنسة أرونديل؟"

"لا يا سيدي، فغرفة الأنسة لوسون على اليمين أعلى السلالم مباشرة. أستطيع أن إريك إياها".

قبل بوارو بعرضها. وعندما صعد السلالم، ظل قريباً من جانب الحائط، ويمجرد أن وصل أعلى السلالم أطلق صيحة تعجب وانحنى ليمسك بطرف بنطاله.

"أها — لقد تعثرت في خيط — أها، هناك مسمار هنا في حافة الجدار؟"

"نعم، هذا صحيح يا سيدي. أظنه انْفَكَّ قليلاً. لقد أمسك بثنوبي مرة أو مرتين".

"هل هذا المسمار موجود هنا منذ فترة؟"

"حسناً، أخشى أن يكون منذ بعض الوقت. لقد لاحظته أول مرة عندما لازمت السيدة فراشها — بعد حادث سقوطها — وحاولت أن أخرجه من الحائط ولكنني عجزت عن ذلك".

"أظن أنه رُبط فيه خيط".

"هذا صحيح يا سيدي، كانت هناك قطعة خيط صغيرة على ما أتذكر. لا أعرف تحديداً الهدف منها".

لم يبد على صوت إلين أي تشكك؛ فبالنسبة لها كان الأمر كأنه أحد الأمور التي تحدث في المنازل دون أن يحاول أي شخص تبريرها!

دخل بوارو الغرفة الموجودة أعلى السلالم. كانت غرفة متوسطة الحجم. وكانت هناك نافذتان في قبالتنا مباشرة. وكانت هناك مزرينة في أحد أركان الغرفة ودولاب ملابس له مرآة طويلة بين النافذتين. وكان السرير ناحية اليمين خلف الباب قبالة النافذة. وعلى اليد اليسرى من الغرفة كانت هناك خزانة ذات أدراج كبيرة مصنوعة من خشب الماهوجني وحوض لغسيل الوجه سطحه من الرخام.

ألقى بوارو نظرة على الغرفة بتأمل شديد، ثم خرج مرة أخرى ووقف على الدرج. مر من الممر، متجاوزاً غرفتي نوم أخريين حتى وصل لغرفة النوم الكبيرة التي كانت تخص إميلي أرونديل.

قالت إلين: "كانت الممرضة تبيت في الغرفة الصغيرة في الباب التالي".
أوماً بوارو برأسه.

ونحن ننزل السلالم، سأل بوارو عما إذا كان من الممكن أن يأخذ جولة في الحديقة.

"أوه، نعم يا سيدي بالطبع. إنها تبدو جميلة الآن."

"هل لا يزال البستاني يعمل لديكم؟"

"أنجوس؟ أوه، إنه لا يزال هنا؛ فالآنسة لوسون تريد لكل شيء أن يمشي جيلاً؛ لأنها تظن أن هذا يضمن بيع المنزل."

"أظن أنها محقة؛ فترك المكان يتدهور ليست سياسة جيدة."

كانت الحديقة هادئة وجميلة. كانت الجوانب العريضة مليئة بأشجار الترمس ونبات العليق وخشخاش قرمزي ضخم. وكانت هناك براعم لنبات عود الصليبية. تجولنا في الحديقة قليلاً حتى وصلنا إلى غرفة حفظ أدوات الحديقة؛ حيث وجدنا الرجل العجوز قوي البنية مشغولاً. حياناً باحترام وتجاذب معه بوارو أطراف الحديث.

عندما سألتنا الرجل عما إذا كان قد رأى السيد تشارلز في ذلك اليوم، أصبح ودوداً معنا وانفتح في الحديث.

"نعم، السيد تشارلز! هدهده يأتي إلى هنا ومعه فطيرة كشمش وتخل الطاهية تبحث عنها في كل مكان! ثم كان يعود إلى المنزل بوجه بريء ويدعي أن القطعة هي التي أخذتها، رغم أنني لم أعرف أبداً أن القطط تأكل فطيرة الكشمش دائماً ما كان السيد تشارلز يفعل ذلك!"

"لقد جاء إلى هنا في أبريل، أليس كذلك؟"

"نعم، جاء إلى هنا في عطلتين. كان ذلك قبل وفاة السيدة مباشرة."

"هل رأيته كثيراً؟"

"نعم، إلى حد ما؛ فليس هناك الكثير الذي يفعله شاب في هذا المكان، وهذه حقيقة. كان معتاداً أن يتجول حتى يصل لفندق جورج ويرتاح قليلاً هناك، ثم كان يعود إلى هنا، ويسألني بعض الأسئلة عن شيء أو آخر."

"عن الأزهار؟"

"نعم الأزهار، ومبيدات الحشائش الضارة أيضاً". قالها الرجل العجوز وهو يضحك.

"مبيدات الحشائش؟"

بدا صوت بوارو كأنه تيقظ فجأة مُظهرًا اهتماماً شديداً. التفت برأسه وألقى نظرة بحث في الأرفف، حتى وقعت عينه على علبة من الصفيح.

"لعله أراد أن يعرف كيف تتخلص منها؟"

"لقد أراد ذلك فعلاً؟"

"أظن أن هذه هي المادة التي تستخدمها."

أمسك بوارو العلبة وتفحصها بعناية وقرأ الملصقة الموجودة عليها.

قال أنجوس: "إنها هي. مادة ممتازة."

"هل هي مادة خطيرة؟"

"ليست خطيرة أن أحسناً استخدامها. إنها زرنخ بالطبع. كنت أضحك مع السيد تشارلز بخصوصها. كان يقول لي إنه إذا تزوج ولم يحب زوجته، فسوف يأتيني ويحصل على قليل منها، حتى يتخلص منها؛ فكنت أقول له نعم، لعلها هي من تريد أن تتخلص منك! كان هذا يضحكه كثيراً، نعم! كانت مزحة لطيفة!"

ضحكنا وكأنه واجب مفروض علينا، ثم رفع بوارو غطاء العبوة.

تمتم قائلاً: "إنها فارغة تقريباً."

ألقى الرجل العجوز نظرة عليها.

"لقد نفذ قدر كبير منها أكثر مما تصورت. لم أكن أعلم أنني استخدمت كل هذه الكمية. يجب أن أشتري عبوة أخرى."

قال بوارو مبسماً: "نعم. أخشى ألا يكون هناك ما يكفيك لكي تعطيني إياه من أجل زوجتي!"

ضحكنا جميعاً مرة أخرى على هذا التعليق الساخر.

"أنت لست متزوجاً، على ما أظن يا سيدي؟"

"لا".

"أها! طبعاً فقير المتزوجين وحدهم يستطيعون المزاح في هذا الأمر؛ فهم لا يعرفون المشكلة الحقيقية!"

قال بوارو: "أظن أن زوجتك...؟"، ثم توقف عن الكلام بحذر.

"إنها تنبض بالحياة يا سيدي — تنبض بالحياة كثيراً".

بدأ أنجوس مكتئباً بعض الشيء.

أثنينا على اهتمامه بالحديقة، ثم ودعناه وانصرفنا.

الحادي والعشرون

الصيدلي، والمرضة، والطبيب

دفعني عبوة الزرنيخ — التي تساعد في التخلص من الحشائش الضارة — للتفكير في اتجاه جديد تماماً. كان ذلك أول أمر مؤكد يثير الشك. اهتمام تشارلز بها، واندھاش البستاني العجوز من كونها فارغة تقريباً، كل هذا جعلني أشعر أننا نسير في الاتجاه الصحيح.

أما بوارو، فظل مبهماً تماماً كعادته عندما يجديني منفعلاً.

"حتى لو أخذ جزء من المادة التي تقتل الحشائش الضارة، فليس هناك دليل على أن تشارلز هو الشخص الذي أخذها يا هاستينجز".

"ولكنه تحدث كثيراً مع البستاني عنها".

"ليس من الحكمة أن يفعل ذلك إذا كان ينوي استخدامها".

ثم أردف يقول:

"ما أول وأبسط سم يخطر على بالك إذا سألك أحدهم عن اسم بسرعة؟".

"الزرنيخ على ما أظن".

قال له الصيدلي، الذي كان رجلاً في منتصف العمر، يبدو من النوع الثرثار: "نعم يا سيدي، إنها تركيبة ممتازة".

"أذكر أن الأنسة أرونديل كانت تستخدمها؛ أعني إميلي أرونديل".

"هذا صحيح يا سيدي الأنسة أرونديل التي كانت تعيش بمنزل ليتلجرين. كانت سيدة محترمة، ومن أصل عريق. كنت أعد لها الكثير من الأدوية".

"هل كانت تتناول أي أدوية جاهزة؟"

"لا يا سيدي. لم تكن تتناول الكثير من الأدوية الجاهزة مثل أغلب السيدات المسنات. أظن أن جليستها الأنسة لوسون هي التي ورثت كل أموالها".

أوماً بوارو برأسه.

"كانت تحب تناول كل أنواع الأدوية؛ الأقراص والحبوب المحلاة وأدوية عسر الهضم، والخلطات التي تساعد على الهضم، والمقويات. كانت تستمتع حقاً بوجودها وسط الكثير من زجاجات الأدوية". "اتسم في تدم فم قال: "أتمنى لو أن هناك كثيرين مثلاً؛ فالتاس هذه الأيام لا يتناولون الأدوية مثلما كانوا من قبل. ولكننا ما زلنا نبيع الكثير من مستحضرات التنظيف التي تعوضنا عن ذلك".

"هل كانت الأنسة أرونديل تتناول كبسولات الكبد تلك بانتظام؟"

"نعم، ظلت تتناولها طوال ثلاثة أشهر قبل وفاتها على ما أظن".

"لقد جاء أحد أقاربها - أظنه دكتور تانيوس - ليعد لها خلطة ذات يوم، أليس كذلك؟"

"نعم، هذا صحيح، الرجل اليوناني الذي تزوج من ابنة أخت الأنسة أرونديل. كانت خلطة مثيرة للغاية. خلطة لم أكن أعرفها من قبل".

تحدث الرجل كأنه يتحدث عن مستحضر نباتي نادر.

"يحدث تغيير يا سيدي عندما تشتري شيئاً جديداً - مجموعة مثيرة للغاية من العقاقير على ما أتذكر. بالطبع فقد كان طبيباً. كان لطيفاً للغاية - طريقته ظريفة".

"هل تشتري زوجته أي شيء من هنا؟"

"نعم. أفهمت، هذا هو معنى فترة الصمت التي احتاج إليها تشارلز قبل أن يذكر كلمة الاستركتين عندما تحدثنا معه اليوم".

"أتعني...؟"

"أنه كان سيقول "الزرنخ في الحساء" ولكنه منع نفسه".

قلت له: "أها! ولماذا منع نفسه؟"

"بالضبط. لماذا؟ أظن يا هاستينجز أن الإجابة عن هذا السؤال تحديداً هي ما جعلني أذهب للبستاني لكي أبحت عن أي مصدر لقتل الحشائش الضارة".

"ووجدته؟"

"نعم، وجدته".

هزرت رأسي.

"يبدو أن الوضع سيئ بالنسبة لتشارلز الصغير. لقد تحدثت كثيراً مع إيلين عن مرض السيدة العجوز. هل أعراضها تشبه أعراض التسمم بالزرنخ؟"

حك بوارو أنفه ثم قال.

"من الصعب أن أقول ذلك. كان هناك ألم في منطقة البطن - مرض".

"بالطبع - هذا هو".

"ممم، أنا لست متأكداً لهذه الدرجة".

"ما السم الذي يشبهه؟"

"حسناً يا صديقي، الأعراض لا تشبه كثيراً أعراض التسمم بقدر ما هي أعراض مرض في الكبد أدى إلى الوفاة لهذا السبب".

صحت قائلاً: "أوه يا بوارو، لا يمكن أن تكون وفاة طبيعية! إنها قطعاً جريمة قتل!".

"يا إلهي! يبدو أننا تبادلنا الأماكن، أنا وأنت".

التفت على نحو مفاجئ إلى الصيدلية. وبعد حوار مطول عن مخاوف بوارو المحددة، اشترى عبوة صغيرة من دواء لعسر الهضم. وعندما لف له الصيدلي الدواء وكنا على وشك الخروج من المتجر، لفت انتباهه عبوة من كبسولات دكتور لا هبارو للكبد ملفوفة بشكل جميل.

هز بوارو رأسه.

"عقار الكلورال مخدر ومنوم. يستخدم في تخفيف الألم، وأيضاً كأقراص منومة. كما أنه من الممكن إدمانه أيضاً".

"هل تظن أن السيدة تانيوس أذمنت؟".

هز بوارو رأسه والحيرة تبدو عليه.

"لا، من الصعب أن أصدق ذلك. ولكن الأمر غريب. ليس لدي سوى تفسير واحد. ولكن هذا يعني —".

توقف عن الكلام ونظر إلى ساعته.

"هيا، دعنا نر إذا كان من الممكن أن نرى الممرضة المدعوة كارورثز التي كانت تمرض الآنسة أرونديل في مرضها الأخير".

اتضح أن الممرضة كارورثز سيدة في منتصف العمر، بدت عاقلة للغاية.

ظهر بوارو الآن في دور جديد واخترع أيضاً شخصية قريب له مريض. كان لديه هذه المرة والدة مسنة يخاف عليها ويبحث لها عن ممرضة حنون تعمل في أي مستشفى.

"سوف أتحدث معك بصراحة، والدتي صعبة المراس. لقد استعنا بأفضل الممرضات - سيدات صغيرات في السن، كفتات تماماً، ولكن حقيقة صغرهن كانت تمثل مشكلة مع والدتي؛ فوالدتي لا تحب السيدات الصغيرات، فهي تهيئنهن، وهي وقحة وعصبية، تتشاجر من أجل النوافذ المفتوحة والأمور المعاصرة المتعلقة بالصحة العامة. إنها صعبة للغاية".

تنهد والحزن يبدو عليه.

قالت الممرضة كارورثز بتعاطف: "أعرف. الأمر متعب للغاية في بعض الأحيان. وعلى الممرضة أن تظهر قدراً كبيراً من اللباقة. ليس من المفيد أن لزعم أي مريض. من الأفضل الإذعان لرغبته قدر الإمكان. وبمجرد أن يشعر بأنك لا تحاول أن تجبره على شيء ما، فكثيراً ما يهدأ ويستسلم وكأنه حمل وديع".

"أها، أرى أنك ستكونين مثالية في القيام بهذا الدور. أنت تفهمين عقلية السيدات المسنات".

"هل تشتري —؟ أذكر. أوه، نعم. لقد جاءت تطلب أقراصاً منومة؛ كان الكلورال كما أذكر. كانت وصفة الطبيب تنصحها بتناول كمية مضاعفة. دائماً ما نجد صعوبة في الحصول على الأقراص المنومة؛ فأغلب الأطباء كما تعرف لا يصفونها كثيراً".

"ومن الذي كتب لها هذه الوصفة؟".

"زوجها على ما أظن. طبيباً لا مشكلة في ذلك، ولكن كما تعرف، يجب أن تتوخى الحذر هذه الأيام. فلعلك لا تعرف الحقيقة، ولكن إذا أخطأ طبيب في أي وصفة وأعددها نحن بحسن نية وسار أي شيء على نحو خاطئ، يصبح الخطأ خطائنا، ونتحمل نحن اللوم، وليس الطبيب".

"يبدو ذلك ظالماً للغاية!".

"أعترف بأن الأمر مقلق. أها، حسناً لا يمكنني أن أتذمر. لم أواجه أي مشكلة، المس الخشب".

طرق المكتب بأصابعه بقوة.

قرر بوارو أن يشتري عبوة من كبسولات دكتور لايفارو للكبد.

"شكراً لك يا سيدي. أي عبوة؟ ٢٥، أم ٥٠، أو ٩١٠٠".

"أظن أن الأكبر قيمتها أفضل - ولكن -".

"خذ العبوة ٥٠ يا سيدي. هذا هو الحجم الذي كانت الآنسة أرونديل تحصل عليه. ثمانية جنيهات وستة قروش".

وافق بوارو، وأعطى الصيدلي ثمانية جنيهات وستة قروش وأخذ منه الكيس.

ثم غادرنا الصيدلية.

قلت ونحن نخرج إلى الشارع: "إذن السيدة تانيوس اشترت أقراصاً منومة. زيادة الجرعة قد تقتل أي شخص. أليس كذلك؟".

"بمنتهى السهولة".

"هل تعتقد أن الآنسة أرونديل العجوز —".

تذكرت كلمات الآنسة لوسون: "أقول إنها قد تقتل أي شخص إذا طلب منها زوجها ذلك".

"لا، لم نتحدث معي".

"ولكنها تحدثت مع شخص آخر؟".

"حسنًا، أظنها ذكرت للآنسة لوسون شيئًا ما، لأنني سمعت الآنسة لوسون تقول "نعم يا عزيزتي، ولكنها عند المحامي كما تعرفين"، فقالت لها الآنسة أرونديل "أنا واثقة أنها في الدرج في الطابق السفلي". فقالت لها الآنسة لوسون "لا، لقد أرسلتها إلى السيد بيرفيس. ألا تذكرين؟" ثم مرت المريضة بنوبة غثيان مرة أخرى، وخرجت الآنسة لوسون عندما رأيتهما، ولكنني تساءلت كثيرًا مما إذا كانتا تتحدثان بخصوص الوصية".

"يبدو احتمالاً قائماً".

تابعت الممرضة كارثرز كلامها:

"إن كان الأمر كذلك، أظن أن الآنسة أرونديل كانت قلقة، ولعلها أرادت أن اغبرها. ولكنها كانت مريضة للغاية، مسكينة، بعد ذلك، لم تستطع أن تفكر في أي شيء".

سألها بوارو: "هل قامت الآنسة لوسون بتمريضها من قبل؟".

"أوه، بالطبع لا، لم تكن تجيد التمريض أبدًا! فهي مزعجة للغاية، تزعج مريضتي فحسب".

"هل كنت أنت من يقوم بكل أعمال التمريض؟ هذا كثير".

"الخادمة - ماذا كان اسمها - إين - كانت تساعدني. كانت إين خير عون؛

فقد كانت معتادة التمريض، كما اعتادت الاعتناء بالسيدة العجوز. كنا ندير الأمر بشكل جيد معًا. في الواقع، طلب دكتور جرينجر إرسال ممرضة ليلية يوم الجمعة، ولكن الآنسة أرونديل توفيت قبل وصولها".

"لعل الآنسة لوسون ساعدت في تحضير بعض الأطعمة الممنوعة؟".

"لا؛ فهي لم تفعل أي شيء على الإطلاق، حقًا لم يكن هناك أي شيء تعدده. كنت أنا المسئولة عن أدويتها وطعامها وشرابها، ولم تكن الآنسة لوسون تفعل أي شيء سوى البكاء في المنزل، واعتراض طريق الجميع".

حملت نبذة الممرضة حدة واضحة.

قالت الممرضة كارثرز وهي تضحك: "لقد تعاملت من قبل مع بعض السيدات المسنات. بإمكانك التعامل معهن بإظهار قدر من الصبر وخفة الظل".

"هذا منتهى الحكمة. لقد مرّضت الآنسة أرونديل على ما أظن. لا يمكن أن تكون سيدة مسنة سهلة".

"أوه، لست أعرف. كانت تتمتع بإرادة قوية، ولكنني لم أجدها صعبة المراس على الإطلاق. لم أمكث معها فترة طويلة؛ فقد توفيت في اليوم الرابع من قدومي".

"كنت أتحدث مع ابنة أخيها، الآنسة تريزا أرونديل بالأمس".

"حقًا، صدفة غريبة! دائمًا ما أقول إن العالم مكان صغير".

"أظنك تعرفينها؟".

"بالطبع أعرفها، لقد جاءت بعد موت عمته كما حضرت الجنازة أيضًا. كما أنني رأيتهما عندما كانت تقيم مع عمتهما في المنزل. فتاة مليحة جدًا".

"هذا صحيح. ولكنها نحيفة للغاية - نحيفة أكثر من اللازم".

تأملت الممرضة كارثرز بعدما أدركت أن امتلاء جسمها يروقه بعض الشيء، قالت: "طبعًا، لا يجب أن تكون المرأة نحيفة للغاية".

تابع بوارو كلامه وقال: "فتاة مسكينة. أنا حزين من أجلها"، ثم مال ناحيتها وقال بشيء من الخصوصية: "سأخبرك بسر، كانت وصية عمته صدمة كبيرة لها".

قالت الممرضة كارثرز: "قطعًا كانت كذلك. أعرف أن هذه الوصية أحدثت الكثير من الבלبلة".

"لا أستطيع أن أتخيل ما دفع الآنسة أرونديل لأن تحرم كل عائلتها من أموالها. يبدو تصرفًا غير طبيعي".

"تصرف غير طبيعي طبعًا، أوافقك الرأي تمامًا. الناس يقولون إن هناك شيئًا وراء ذلك بالضرورة".

"هل لديك أي فكرة عن السبب؟ هل قالت لك الآنسة أرونديل أي شيء؟".

قال بوارو ميمسًا: "أرى أنك لا ترين أي نفع للأنسة لوسون".

"في رأيي عادة ما تكون الجليسات شخصيات بائسة؛ فهن لا يتلقين أي تدريب في أي شيء. مجرد هواة. وعادة ما تكون سيدة لا تجيد القيام بأي شيء آخر".

"هل تعتقدين أن الأنسة لوسون كانت مرتبطة بالأنسة أرونديل كثيرًا؟"
"بدت كذلك، وقد انزعجت وحزنت كثيرًا عند وفاة السيدة العجوز. حتى إنها حزنت عليها أكثر من أقاربها على ما أظن". وأنهت الممرضة كارولتز كلامها بزفرة سخرية من أنفها.

قال بوارو وهو يومئ برأسه: "لعل الأنسة أرونديل كانت تعرف ما تفعله عندما تركت لها كل أموالها كما فعلت".

قالت الممرضة: "كانت سيدة عجوزًا ذكية للغاية. يجب أن أقول إنه لم تكن هناك الكثير من الأمور التي لا تفهمها أو تعرفها".

"هل ذكرت كلبها بوب ولو لمرة؟".

"من المضحك أن تقول ذلك! كانت تتحدث عنه كثيرًا - في نوبات هذيانها، وتذكر شيئًا عن كرتة وسقطته عانتها. كان بوب كلبًا لطيفًا. أنا أحب الكلاب كثيرًا، كلب مسكين؛ فقد أكتب كثيرًا عندما توفيت. الكلاب رائعة، أليس كذلك؟ تشبهنا كثيرًا".

عند هذا الحد من الحديث، افترقنا.

قال بوارو بعدما تركناها: "واضح أن هذه السيدة ليست لديها أي شكوك".

بدا صوته محيطًا ببعض الشيء.

تناولنا عشاء سيًا في مطعم جورج، تدمر بوارو كثيرًا منه، ومن الحساء على وجه الخصوص.

"من السهل للغاية أن تعد حساءً طيبًا يا هاستنجز - حساء اللحم البقري".

تجنبنا أنا الاستماع لخطبة طويلة عن الطهي بصعوبة بالغة.

بعد العشاء، جاءتنا مفاجأة.

كنا جالسين في قاعة الانتظار بمقر دنيا. كان هناك رجل آخر على العشاء - يبدو من مظهره أنه تاجر مسافر - ولكنه خرج. وبينما كنت أقلب بكسل صفحات مجلة الجازيت، أو مجلة أخرى، سمعت فجأة ذكر اسم بوارو.

كان الصوت صادرًا من مكان ما في الخارج.

"أين هو؟ في الداخل؟ حسنًا - سأعثر عليه".

انفتح الباب بعنف، ودخل دكتور جرينجر الغرفة، بوجه محمر بعض الشيء، وحاجبين عابسين. توقف ليلغلق الباب ثم تقدم نحونا في غضب شديد. "أوه، وجدتكما! والآن يا سيد هيركيول بوارو، بحق السماء ما الذي قصدته بهدومك لي وإخباري بمجموعة من الأكاذيب السيئة؟".

تمتعت بصوت ناغم قائلاً: "إحدى كرات البهلوان؟".

قال بوارو بنبرة شديدة المداهنة:

"طبيبي العزيز، اسمح لي بأن أشرح —".

"أسمح لك؟ أسمح لك؟ اللعنة، سأجبرك على أن تشرح! أنت محقق، هذه شخصيتك! محقق فضولي متطفل! جئتني وأخبرتني بمجموعة من الأكاذيب من كتابة السيرة الذاتية للجنرال أرونديل! هل أنا مففل لكي تستخدم معي هذه القصة الحمقاء".

قال بوارو: "من أخبرك بهويتي؟".

"من أخبرني؟ الأنسة بيبودي أخبرتني. رأيتك على حقيقتك!".

قال بوارو وهو غارق في التفكير: "الأنسة بيبودي، نعم. ظننت —".

قاطعه دكتور جرينجر وهو في شدة الغضب.

"والآن يا سيدي. أنا في انتظار تفسيرك!".

"بالطبع. السبب في منتهى البساطة، محاولة قتل".

"ماذا؟ ما هذا؟".

"لقد سقطت الأنسة أرونديل من على السلالم، أليس كذلك؟ سقطت قبل

وفاتها بوقت قصير؟".

"نعم، وماذا في ذلك؟ تعثرت في كرة الكلب اللعينة".

هز بوارو رأسه.

"لا أيها الطبيب، لم تتعثر. لقد شدُ خيط أعلى درجات السلم لكي تتعثر فيه".

حدق دكتور جرينجر فيه وسأله مباشرة:

"إذن لماذا لم تخبرني بذلك؟ لم تخبرني بأي شيء عن ذلك".

"لعل هذا يصبح مفهوماً - إذا كان أحد أفراد عائلتها هو من ربط هذا الخيط هناك".

رمق جرينجر بوارو بنظرة حادة ثم قال: "إمم - فهمت"، ثم ألقى بنفسه على كرسي وأردف يقول: "حسناً؟ ومن الذي أحكمك في هذا الأمر؟".

"لقد كتبت لي الأنسة أرونديل خطاباً، وأكدت ضرورة التكتم والسرية، ولكن لسوء الحظ وصلني خطابها متأخراً".

تابع بوارو الحديث وقدم له بعض التفاصيل المنتقاة بعناية وأخبره بأنه وجد مسماراً مثبتاً في حافة جدار السلم.

استمع له الطبيب بجدية شديدة. بعدما خف غضبه، ثم أنهى بوارو كلامه بقوله: "بإمكانك أن تفهم صعوبة وحساسية موقفي. لقد استعانت بي سيده عجزو أصبحت في عداد الموتى. ولكنني ملتزم بتقديم خدماتي دون أن تحدث حقيقة وفاتها أي فارق بالنسبة لي".

استغرق دكتور جرينجر في التفكير فاقترب حاجباه من بعضهما.

سأل: "ولست لديك أي فكرة عن الشخص الذي شد الخيط أعلى السلالم؟"

"ليس لدي دليل عمن فعل ذلك. ولكنني لن أقول إنه ليست لدي أي فكرة".

قال دكتور جرينجر، بوجه عابس: "حكاية كريهة".

"نعم، ولست أدري هل فهمت أن تسلسل الأحداث لم يكن واضحاً لي في البداية".

"إيه؟ ماذا تعني؟"

"عما إذا كانت الأنسة أرونديل توفيت بصورة طبيعية، وكيف يمكنني أن أؤكد من ذلك؟ لقد كانت هناك محاولة لقتلها من قبل. فكيف أجزم بأنه لم تكن هناك محاولة ثانية؟ وأنها نجحت هذه المرة".

أوماً جرينجر برأسه وهو غارق في التفكير.

"أظن أنك واثق يا دكتور جرينجر - وأرجو ألا تغضب مني - أن وفاة الأنسة أرونديل كانت طبيعية؟ لقد وصلت اليوم لدليل ما -".

أخذ يروي له الحوار الذي دار بينه وبين أنجوس العجوز، واهتمام تشارلز أرونديل بمبيد الحشائش الضارة، وأخيراً تعجب الرجل العجوز من نفاذ العبوة.

استمع جرينجر بانتباه شديد. بعدما أنهى بوارو كلامه قال بهدوء:

"فهمت وجهة نظرك. كثير من حالات التسمم بالزرنيخ يتم تشخيصها على أنها التهاب شديد بالمعدة والأمعاء، ثم يقدم الطبيب شهادة بذلك - خاصة عندما لا تكون هناك ملابسات مريبة للوفاة. على أية حال، التسمم بالزرنيخ يمثل صعوبات محددة؛ حيث إنه يتخذ أشكالاً كثيرة مختلفة؛ فقد يكون حاداً، أو شبه حاد، وقد يكون عصبياً، أو مزمناً. وقد يحدث قيء وألم في المعدة - وقد لغيب جميع هذه الأعراض - وقد يسقط المريض على نحو مفاجئ على الأرض ثم يتوفى بعد ذلك بفترة وجيزة - وقد يعاني تخديراً وشللاً - أعني أن الأعراض قد تختلف كثيراً".

قال بوارو:

"حسناً، بعدما ألهمت بكل الحقائق، ما رأيك؟"

لزم دكتور جرينجر الصمت للحظة أو اثنتين، ثم قال بتأن:

"بعدما ألهمت بكل الحقائق، ودون أي تحيز، ما زلت عند رأيي بأن الأعراض الخاصة بحالة الأنسة أرونديل ليست أعراض تسمم بالزرنيخ. أنا مقتنع تماماً أنها توفيت من ضمور أصفر في الكبد. لقد تابعت حالتها كما تعرف لسنوات طويلة، وقد عانت من قبل نوبات مماثلة للنوبة التي أودت بحياتها. هذا هو رأيي المتروكي يا سيد بوارو". ولهذا - وبحكم الضرورة - يجب أن تترك الأمور على حالها.

إن خيبة الأمل قد سادت الموقف، عندما أخرج بوارو عبوة كبسولات الكبد التي اشتراها من الصيدلي.

قال له: "كانت الأنسة أرونديل تتناول هذه الكبسولات على ما أظن؟ أظن أنها لا يمكن أن تكون مضرة بأي حال من الأحوال".

أجابته دكتور جرينجر: "هذه الكبسولات؟ ليست مضرة أبداً. نبات الصبار البودوفيلين - كلها مخففة وغير ضارة. كانت تحب أن تجرب هذه الأدوية، ولم أمنعها من ذلك".

نهض من مكانه.

سأله بوارو: "كنت تركب لها بعض الأدوية بنفسك؟".

قال وعيناه تتحركان بسرعة: "نعم - أعددت لها أقراصاً للكبد مخففة تأخذها بعد تناول الطعام. بإمكانها أن تأخذ عبوة كاملة دون أن تؤذي نفسها، أنا لا أسمم مرضاي يا سيد بوارو".

ثم ابتسم لنا وصافحنا نحن الاثنين وتركتنا وانصرف.

فتح بوارو العلبة التي اشتراها من الصيدلي. كان الدواء عبارة عن كبسولات شفافة، ثلاثة أرباعها ممتلئة بمسحوق بني قاتم.

قلت له: "تبدو مثل دواء أخذته من قبل لدوار البحر".

فتح بوارو الكبسولة، وفحص محتوياتها وتذوقها بحذر شديد بلسانه، ثم عبس وجهه.

قلت له، وأنا ألقى بنفسي على كرسي وأثناء: "حسناً، كل شيء يبدو صحيحاً بالقدر الكافي. كبسولات دكتور لا فيارو، وأقراص دكتور جرينجر! كما أن دكتور جرينجر يرفض تماماً نظرية التسمم بالزرنيخ. هل اقتنعت أخيراً يا بوارو العنيد؟".

قال صديقي وهو غارق في التفكير: "هل صحيح أنني عنيد بالفعل، كما تقول؟ - نعم، بالطبع أنا عنيد".

"إذن، بالرغم من أن رأي الصيدلي والممرضة والطبيب يعارضك، فما زلت تعتقد أن الأنسة أرونديل قتلت؟".

قال بوارو بهدوء:

"هذا ما أظنه. لا - أكثر من مجرد ظن. أنا واثق من ذلك يا هاستينجز".

قلت له بترو: "أظن أن هناك طريقة واثقة لإثبات ذلك".

"استخراج الجثة".

أوماً بوارو برأسه.

"هل هذه هي الخطوة التالية؟".

"يجب أن أتوخي الحذر يا صديقي".

"لماذا؟".

قال بصوت منخفض: "لأنني أخشى حدوث مأساة ثانية".

"أتعني؟".

"أنا خائف يا هاستينجز، أنا خائف. دعنا نتوقف عند هذا الحد".

"نعم، هذا صحيح. أعترف يا بوارو، هذا أسوأ ما في اللعبة التي نلعبها؛ فكل شيء صغير يفعله أي شخص يقودنا لأكثر الأمور شراً".

"صحيح، ولكنني عن نفسي أستمع أكثر منك بشعار "الشك في الجميع"".

"هل ما زلت تشك في الجميع؟".

"لا؛ فقد انحصر شكّي في شخص واحد".

"ومن هو؟".

"بما أنها لا تزال مجرد شكوك حتى اللحظة الراهنة، وليس معنا دليل دامغ، فأظن أنني يجب أن أتركك تستنتج بنفسك، يا هاستينجز. ولا تنس أن تعتمد على علم النفس؛ فهو مهم؛ فطبيعة جريمة القتل - تظهر شخصية القاتل - هذا هو المفتاح الأساسي للجريمة".

"لا أستطيع أن أفكر في شخصية القاتل إن لم أكن أعرفه".

"لا، لا، أنت لم تنتبه لما قلته لتوي. إذا فكرت بالقدر الكافي في الطبيعة - الطبيعة اللازمة للقتل - فسوف تدرك من هو القاتل".

سألته بفضول: "أعرفه حقاً يا بوارو؟".

"لا أستطيع أن أقول إنني أعرفه لأنه ليست لدي أدلة. لهذا السبب لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك في الوقت الراهن. ولكنني واثق تماماً - نعم يا صديقي، في حكمي على الأمور، أنا واثق تماماً".

قلت له مازحاً: "حسناً، ماذا لو لم ينل منك! ستكون مأساة".

حدق بوارو قليلاً. لم يتعامل مع كلامه على سبيل المزاح، بل تمتم قائلاً: "أنت محق. يجب أن أتوخى الحذر - الحذر الشديد".

قلت له مازحاً: "يجب أن ترتدي معطفاً مزوداً بدرع".

"وتستعين بدواقة في حالة تعرضت لمحاولة قتل بالسم! في الواقع يجب أن تستعين بعصاية مسلحة لحمايتك!".

"شكراً يا هاستينجز، سوف أعتد على ذلك".

بعد ذلك كتب ملحوظة إلى الأنسة لوسون يقول إنه سوف يذهب إلى منزل ليلتجirin في الساعة الحادية عشرة.

الثاني والعشرون

المرأة الواقفة على السلالم

في صباح اليوم التالي، وصلت ملحوظة تسلّمناها باليد. كانت مكتوبة بخط ضعيف، مهزوز، مائل لأعلى كثيراً.

عزيزي السيد بوارو،

سمعت من إلين أنك كنت في منزل ليلتجirin بالأمس. سأكون شاكراً للغاية إذا اتصلت بي ورأيتك في وقت ما اليوم.

المخلصة

فيلهلمينا لوسون.

قلت له: "إذن هي هناك".

"نعم".

"أتساءل عن سبب ذهابها؟".

ابتسم بوارو وقال.

"لا أظن أن هناك أي سبب. ففي النهاية، المنزل أصبح ملكاً لها".

بعد ذلك تناولنا الإفطار ثم تنزهنا قليلاً في الميدان. كانت الساعة العاشرة والرابع، وكان صباحاً حاراً يبعث على النوم.

كنت أنظر من النافذة على متجر التحف الذي يضم مجموعة ظريفة للغاية من كراسي من طراز هيبوليت، عندما تلقيت طعنة قوية في الضلوع، وسمعت صوتاً حاداً ثاقباً يقول: "مرحباً".

التفت بغضب فوجدت نفسي أقف وجهاً لوجه أمام الأنسة بيبودي. كانت تمسك في يدها (الأداة التي هاجمتني بها) مظلة كبيرة قوية سنّها مدبب.

كان من الواضح أنها لم ترعِ الألم الشديد الذي سببته لي، فقالت لي بصوت راض:

"ها! ظننتك هو. ألا تخطئ في بعض الأحيان؟"

قلت لها ببرود:

"إرر — صباح الخير. ماذا أفعل من أجلك؟"

"أخبرني بما وصل إليه صديقك في كتابه — عن حياة الجنرال أرونديل؟"

قلت لها: "لم يبدأ في كتابته بعد".

انغمست الأنسة بيبودي في فترة صمت ثم انفجرت في الضحك. كان جسدها ينتفض من شدة الضحك مثل حلوى الهلام. وعندما تعافت من هذه النوبة، قالت:

"لا، لا أظن أنه سيبدأ في كتابته".

قلت لها مبتسماً:

"إذن فهمت الأمر ببصيرتك النافذة؟"

"ماذا تظنني — حمقاء! لقد علمت بعد وقت قصير ما كان يسعى وراءه صديقك المراوغ! أرادني أن أتحدث! حسناً، لم أمانع ذلك، فمن الصعب أن تجد مستمعاً هذه الأيام. وقد استمتعت بنفسى كثيراً في ذلك اليوم".

رمقتني بنظرة قاسية.

"لم كل هذا؟ لم كل هذا؟"

كنت متردداً بشأن ما سأفعله بالضبط عندما انضم إلينا بوارو في الحديث، الذي انحنى أمام الأنسة بيبودي ليمتص غضبها.

"صباح الخير يا أنسة. جميل أن ألتقي بك".

قالت الأنسة بيبودي: "صباح الخير. ما اسمك اليوم، باروتي أم بوارو؟ ها؟"

قال لها بوارو مبتسماً: "ذكاء بالغ منك أن تكتشفي شخصيتي بهذه السرعة".

"ليس ذكاءً بالغاً! فليس هناك كثيرون مثلك في هذه البلدة؟ ولا أدري ما إذا كان هذا أمراً جيداً أم سيئاً، من الصعب تحديد ذلك".

"أفضل يا أنستي أن أكون فريداً".

قالت الأنسة بيبودي بطريقة جافة: "كما تشاء. والآن يا سيد بوارو، لقد رودتك بكل التفاصيل التي أردتها في ذلك اليوم. والآن حان دوري في طرح الأسئلة. لم كل هذا، ها؟ لم كل هذا؟"

"أنت تطرحين سؤالاً تعرفين إجابته بالفعل؟"

رمقته بنظرة نارية وقالت: "أتساءل، هل هناك شيء رائحته تنتن متعلق بتلك الوصية، أم أنه أمر آخر؟ هل ستخرج جثة إميلي؟ هل الأمر كذلك؟"

لم يجب بوارو.

أومأت الأنسة بيبودي برأسها بترواً وتفكير وكأنها تلقت إجابة.

قالت مبتعدة عن الموضوع: "كثيراً ما أتساءل، كيف يكون الأمر ... عندما أطالع الصحف، كثيراً ما تساءلت عما إذا كان من الممكن إخراج جثة شخص في هذه البلدة... ولكنني لم أتوقع أن يكون هذا الشخص هو إميلي أرونديل..."

ثم رمقته بنظرة مفاجئة ثاقبة.

"لم تكن لتحب ذلك، أظن أنك فكرت في ذلك — ها؟"

"نعم فكرت في ذلك".

"أظن أنك ستفعل — أنت لست أحمق! ولا أعتقد أنك فضولي أيضاً".

انحنى لها بوارو.

"شكراً لك يا أنسة".

"وهذا أكثر ما يقوله لك أغلب الناس - انظر لشاربك. لماذا لديك شاربك هكذا؟ هل تحبه؟".

ابتعدت بوجهي وأنا أمنع نفسي من الضحك.

أجابها بوارو: "في إنجلترا، يتم تجاهل أصحاب الشوارب بطريقة مؤسفة. كان يتحسّن شاربه خلسة بيده.

قالت الأنسة بيبودي: "أوه، فهمت! هذا ظريف. أعرف سيدة كانت تعاني تضخم الغدة الدرقية وكانت فخورة بذلك! ألا تصدق ذلك، ولكنها الحقيقة! حسناً، أقول إنه من حسن الحظ أنك راض عما منحك لك الله. ولكن عادة ما يكون العكس هو الصحيح". هزت رأسها وتنهدت.

"لم أفكر أبداً أن تحدث جريمة قتل في هذه البقعة المنعزلة من العالم". ثم رمقت بوارو مرة أخرى بنظرة شاقبة. "أيهم فعل ذلك؟".

"هل عليّ أن أصرح باسمه هنا في الشارع؟".

"أغلب الظن أنك لا تعرفه، أم أنك تعرفه؟ حسناً - أقارب سوء - أقارب سوء. أريد أن أعرف ما إذا كانت المرأة فارلي سممت زوجها أم لا؛ فهذا يمثل فارفاً". "أتؤمنين بالوراثة؟".

قالت الأنسة بيبودي على نحو مفاجئ:

"أظنه تانيوس. من خارج العائلة، غريباً ولكن الأمنيات لا طائل منها! حظ سيئ. حسناً، سأدبر أمري. أرى أنك لن تخبرني بأي شيء... بالمناسبة! من الذي تنوب عنه؟".

قال بوارو بشجاعة:

"أنا أنوب عن الراحلة يا أنسة".

يوسفني أن أقول إن الأنسة بيبودي تلقت هذه الملاحظة بضحكة مفاجئة بصوت عالٍ. وبعدما هدأت قالت:

"اعذرني. شعرت بأنني أتحدث مع إيزابيل تريب - هذا كل ما في الأمر! يا لها من سيدة مروعة! أظن أن جوليا أسوأ منها - صبيانية لحد مؤلم. لم أرَ في حياتي سيدة ترتدي ملابس صبيانية مثلها. حسناً، الوداع. هل رأيت دكتور جرينجر؟".

"أنستي أنا عاتب عليك، لقد أفضيت سري".

انغمست الأنسة بيبودي في قهقهتها المعتادة التي تخرج من الأعماق.

"الرجال غاية في السذاجة! طبعاً ابتلع سلسلة الأكاذيب التي أخبرتها بها بمنتهى البساطة. ألم يُجنّ عندما أخبرته؟ وخرج يزجر من شدة الغضب يبحث عنك!".

"لقد وجدني ليلة البارحة".

"أوه! أتمنى لو كنت هناك".

قال بوارو بأناقة: "أتمنى لو كنت هناك يا أنسة".

ضحكت الأنسة بيبودي واستعدت للذهاب، ثم قالت لي وهي تنظر خلفها.

"الوداع أيها الشاب. لا تشتتر تلك الكراسي؛ فهي ليست أصلية".

ثم مضت في طريقها وهي تضحك في نفسها.

قال بوارو: "هذه المرأة ذكية للغاية".

"رغم أنها لم تعجب بشاربك؟".

قال بوارو ببرود: "الدوق نكرة، والعقول نكرة أخرى".

مررنا على المتجر وقضينا عشرين دقيقة ممتعة نستعرض المعروضات. ثم خرجنا منه دون أن ننفق بشئاً واحداً، وواصلنا سيرنا في اتجاه منزل ليتلجرين.

استقبلتنا إلين بوجه محمر عن العادة، وأدخلتنا غرفة الجلوس. وعلى الفور سمعنا وقع أقدام تنزل درجات السلم، ثم دخلت الأنسة لوسون الغرفة. بدت منقطعة الأنفاس ومرتبكة بعض الشيء. كان شعرها مربوطاً بمنديل من الحرير.

"أمل أن تعذرني على مجيئي وأنا في هذه الحالة يا سيد بوارو؛ فلقد كنت أبحث في الكثير من الدواليب الموصدة - وسط العديد من الأشياء - فالأشخاص المسنون يحيون جمع أشياء غريبة، وأخشى أن أقول إن الأنسة أرونديل كانت كذلك أيضاً - فتندھش كثيراً ويشيب شعرك مما يجمعونه - أربع وعشرون مجموعة من أدوات الحياكة، أربع وعشرون مجموعة فعلاً".

"أتعنين أن الأنسة أرونديل اشترت أربعاً وعشرين مجموعة من أدوات الحياكة؟".

"نعم، ووضعتها في أماكن متعددة ونسيت أمرها، وبالطبع صدقت الإبر مع الأسف. كانت تقدمها للخدمات كهدايا احتفالات رأس السنة".

"كانت كثيرة النسيان، صحيح؟".

"أوه، كثيرًا. خاصة عندما تضع الأشياء في أماكن معينة. تمامًا مثل كلبي يخبئ عظمته وينسى مكانها. هكذا نصف الأمر فيما بيننا. كنت أقول لها "والآن لا تدفني عظمته وتنتسي أين وضعتها".

ضحكت وأخرجت منديلًا صغيرًا من جيبها وأجهشت بالبكاء.

قالت والد موع في عينيها: "عزيزتي المسكينة، أمر مروع أن أضحك في حديثي هذا".

قال لها بوارو: "أنت حساسة للغاية، حساسة أكثر من اللازم".

"كانت والدتي تقول لي ذلك دومًا يا سيد بوارو. كانت تقول لي: "أنت تأخذين الأمور على قلبك أكثر من اللازم يا ميني". مشكلة كبيرة أن تكون حساسًا أكثر من اللازم يا سيد بوارو، خاصة عندما يكون عليك أن تكسب قوتك". "أها، هذا صحيح فعلاً، ولكن كل هذا من الماضي؛ فقد أصبحت الآن سيدة بنفسك. بإمكانك أن تستمتعي بنفسك - تسافري - لم يعد لديك ما يخيف أو يقلق".

قالت الآنسة لوسون بشيء من الريبة: "أعتقد أن هذا صحيح".

"بالطبع صحيح. والآن بالحديث عن اعتياد الآنسة أرونديل النسيان، عرفنا سبب عدم وصولي خطابها إلا بعد كتابته بفترة طويلة".

شرح لها ظروف وصول خطابها إليه. فظهرت بقعة حمراء على خد الآنسة لوسون. قالت بجد:

"كان على إلين أن تخبرني! فإرسائها الخطاب لك دون أن تنطق بكلمة وقاحة بالغة! كان عليها أن تستشيرني أولاً. هذه وقاحة بالغة! لم أسمع كلمة واحدة من الأمر برمته، أمر مخز!".

"أوه، سيدتي العزيزة، أنا واثق بأنها فعلت ذلك بحسن نية".

"حسنًا، أنا شخصيًا أجد الأمر غريبًا للغاية! غريبًا جدًا! الخدم حقًا تصدر

عنهم تصرفات غاية في الغرابة. كان ينبغي على إلين أن تتذكر أنني سيدة المنزل الآن".

اعتدلت في جلستها بطريقة توحى بالأهمية.

قال لها بوارو: "إلين كانت مخلصه جدًا لسيدتها، أليس كذلك؟".

"أوه، أنا شخصيًا مقتنعة أنه من غير المفيد إحداث بلبله بعد حدوث الأمر، ولكنني ما زلت مقتنعة بأنه كان الأجدر بإلين أن تعرف أنه ليس مسئوليتها أن تتولى القيام بذلك دون سؤال". توقفت عن الكلام وعلى كل خد بقعة حمراء.

نزم بوارو الصمت للحظة ثم قال:

"أردت رؤيتي اليوم؟ كيف لي أن أساعدك؟".

هذا غضب الآنسة لوسون بسرعة كما شار تمامًا، ثم عادت مرتبكة وغير مترابطة من جديد.

"حسنًا، في الواقع، أعترف، تساءلت... حسنًا، كي أصدقك القول، يا سيد بوارو، لقد أتيت إلى هنا بالأمس، وأخبرتني إلين طبعًا بذهابك إلى المنزل، فتساءلت فقط - حسنًا، لأنك لم تقل لي إنك أت - حسنًا، يبدو غريبًا - أنني لم أعرف".

أنهى بوارو كلامها قائلاً: "لم تعرفي ما الذي كنت أفعله هنا؟".

"أنا - حسنًا - لا، بالضبط. ثم أفهم".

نظرت إليه بوجهها المحمر وعينها المتسائلة.

قال بوارو: "يجب أن أدلي لك باعتراف صغير. أخشى أن أكون قد تركتك على فهمك الخاطئ. لقد افترضت أن الخطاب الذي تلقيته من الآنسة أرونديل متعلق بكمية صغيرة من المال، أخذها - بالطبع - السيد تشارلز أرونديل".

أومات الآنسة لوسون برأسها.

"ولكن الأمر ليس كذلك... لقد سمعت عن الأموال المسروقة للمرة الأولى منك... كتبت لي الآنسة أرونديل عن موضوع الحادثة التي تعرضت لها".

"الحادثة؟".

"نعم، سقوطها من على السلالم".

قالت الأنسة لوسون وهي تبدو حائرة للغاية: "أوه، هذا __ هذا __". حدثت النظر في بوارو على نحو فارغ، ثم مضت تقول: "ولكن __ أنا أسفة __ أنا واثقة أنه غباء شديد مني __ ولكن لماذا تكتب لك؟ لقد فهمت __ في الواقع أظنك قلت __ إنك محقق. أنت لست طبيباً أيضاً؟ أو معالجاً روحياً؟".

"لا، لست طبيبياً، ولست معالجاً روحياً. ولكنني مثل أي طبيب أشغل نفسي أحياناً بما يسمى حالات الوفاة المفاجئة".

"حالات الوفاة المفاجئة؟".

"قلت ما يسمى حالات الوفاة المفاجئة. صحيح أن الأنسة أرونديل ماتت ولكن لعلها لم تمت ميتة طبيعية".

"أوه، اعذرني، ولكن الطبيب قال ذلك، ولكنني لا أفهم __".

بدأت الأنسة لوسون لا تزال حائرة.

"كان من المعتقد أن سبب الحادثة هو كرة بوب الصغيرة، أليس كذلك؟".

"نعم، نعم، هذا صحيح، كانت كرة بوب".

"أوه، لا، لم تكن كرة بوب".

"ولكن اعذرني يا سيد بوارو، لقد رأيته هناك بأم عيني __ عندما ركضنا جميعاً ناحية السلم".

"لعلك رأيته، هذا صحيح. ولكنها لم تكن سبب الحادث؛ فسبب الحادث يا أنسة لوسون كان خطأ صغيراً لونه قاتم شدَّ على ارتفاع قدم أعلى السلالم".

"ولكن __ كلب لا يمكنه __".

قال بوارو بسرعة: "بالضبط، لا يمكن لكلب أن يفعل ذلك __ إنه ليس بالذكاء الكافي __ أو إذا شئت ليس بالشر الكافي ... لقد وضع شخص ما خطأ في هذا المكان ...".

شحب وجه الأنسة لوسون إلى درجة الموت. ورفعت يدها المهتزة ووضعتها على وجهها.

"أوه، سيد بوارو __ لا أصبغ ذلك __ أنت لا تعني __ ولكن هذا مروع __ للغاية. أتعني أن الحادثة كانت بفعل فاعل؟".

"نعم، كانت بفعل فاعل".

"ولكن هذا مروع __ هذا أشبه __ أشبه بقتل شخص ما".

لو كانت المحاولة قد نجحت، لأودت بحياتها! بتعبير آخر لكانت أصبحت جريمة قتل!.

أطلقت الأنسة لوسون صرخة صغيرة.

تابع بوارو كلامه بالنبرة بالغة الأهمية نفسها.

"لقد دق مسمار في حافة الحائط ليتم شد خيط عليه. وظلي هذا المسمار حتى لا يظهر. أخبريني، هل شممت رائحة طلاء لم تعرفي سببه؟".

صرخت الأنسة لوسون مرة أخرى.

"أوه، كم هذا غريب! أن تفكر بهذه الطريقة! لماذا طلاء؟ لم أفكر أبداً __ لم أتخيل __ ولكن كيف يمكنني؟ وبالرغم من ذلك وجدت الأمر غريباً في ذلك الوقت".

مال بوارو ناحية الأمام.

"إنَّ بإمكانك مساعدتنا يا أنسة. بإمكانك أن تساعدني مرة أخرى. أرجوك!".

"يا إلهي! ولكن هذا ممكن".

"أخبريني، بالله عليك. هل شممت رائحة طلاء __ نعم؟".

"نعم، بالطبع، لم أعرف ما هذه الرائحة. ظننته __ يا إلهي __ طلاء __ لا كانت رائحته أشبه يدهان الأرضيات، وظننت في ذلك الوقت أنني تخليت ذلك".

"متى كان ذلك؟".

"دعني أذكر __ متى كان ذلك؟".

"هل كان ذلك في أثناء عطلة عيد الربيع والبيت يعج بالضيوف؟".

"نعم، هذا صحيح __ ولكنني أحاول أن أتذكر في أي يوم كان ذلك... والآن دعني أتذكر، لم يكن يوم الأحد، لا، لم يكن يوم الثلاثاء __ كان ذلك ليلة قدوم دكتور دونالدسون على العشاء. ويوم الأربعاء غادر الجميع المنزل. لا، بالطبع كان ذلك يوم الاثنين __ يوم إجازة البنك. كنت مستيقظة في ذلك الوقت قلقة

بعض الشيء. طالما كنت أشعر بأن إجازة البنك يوم مقلق! لم يكن لدينا سوى قدر قليل من اللحم البقري البارد على العشاء وكنت أخشى أن تنزعج الأنسة أرونديل لذلك. كنت قد طلبت قطعة كبيرة من اللحم يوم السبت، وكان علي أن أطلب سبعة أرطال، ولكنني اعتقدت أن خمسة ستفي بالغرض، ولكن الأنسة أرونديل كانت تستاء دوماً إن كان هناك أي عجز. كانت مضيفة للغاية.

سكنت الأنسة لوسون لتأخذ نفساً عميقاً ثم أسرعت تقول.

"وكنت مستيقظة وأتساءل لماذا نتحدث في هذا الأمر غداً، وبسبب انشغالي طوال اليوم، كان النعاس يغالبني. وبينما كنت أوشك على النوم، أيقظني شيء ما، فجلست على سريري، وتشممت رائحة ما؛ فدانماً كنت أخشى الدخان حريق، أحياناً أشعر بأنني أشم رائحة حريق مرتين أو ثلاثاً كل ليلة (إحساس مروع أن تحاصرك النار). على أية حال، كانت هناك رائحة، تشممتها جيداً ولم تكن رائحة دخان أو شيئاً كهذا. وقلت لنفسني إنها تبدو كرائحة طلاء أو دهان أرضيات. ولكن الرائحة كانت قوية للغاية، فجلست أتشمم وأتشمم، ثم رأيتهما في المرأة."

"رأيتها؟ رأيت من؟"

"في المرأة؛ فدانماً ما أترك باب غرفتي مفتوحاً بعض الشيء، لكي أسمع الأنسة أرونديل إذا نادتنني، وحتى أراها إذا صعدت أو نزلت السلالم. وكنت دائماً ما أترك مصباحاً مضاًء في الممر. هكذا رأيتهما جاثية على ركبتيهما على السلالم، أعني تريزا. كانت جاثية على ركبتيهما على الدرجة الثالثة ورأسها منحني لأسفل فتساءلت في نفسي: "كم هذا غريب، أتساءل هل هي مريضة؟". وعندما نهضت وصعدت لأعلى، ظننت أنها انزلت أو شيئاً من هذا القبيل. أو لعلها انحنيت لتلتقط شيئاً أسقطته. وبالطبع لم أفكر في هذا الأمر مرة أخرى بأي شكل."

قال بوارو: "الدق الذي أيقظك، هل من الممكن أن يكون دق مسمار."

"نعم، أظن ذلك. ولكن، أوه يا سيد بوارو، كم هذا مروع، كم هذا مروع حقاً، طالما شعرت بأن تريزا ربما تكون شرسة بعض الشيء، ولكن أن تفعل شيئاً كهذا،

"هل أنت واثقة بأنها كانت تريزا؟"

"أوه، طبعاً."

"ألا يمكن أن تكون السيدة تانيوس أو إحدى الخادومات، على سبيل المثال؟".
لا، كانت تريزا."

هزت الأنسة لوسون رأسها وتمتمت محدثة نفسها:

"يا إلهي، يا إلهي". قالتها عدة مرات.

كان بوارو يحقد النظر فيها بطريقة يصعب علي فهمها.

قال لها على نحو مفاجئ: "أسمحي لي، بأن أجري تجربة. دعينا نصعد السلالم ونحاول أن نعيد تمثيل هذا المشهد الصغير."

"إعادة تمثيل؟ أوه، أنا لا أعرف — أعني أنني لا أرى بالضبط —"

قاطعها بوارو بطريقة أمرة قائلاً: "سوف أريك."

احمر وجه الأنسة لوسون بعض الشيء، ثم سبقته لأعلى.

قالت الأنسة لوسون بطريقة متقطعة: "أمل أن تكون الغرفة مرتبة — هناك الكثير لعمله — مشاغل كثيرة —"

كانت الغرفة فعلاً ممتلئة بكثير من الأشياء المبعثرة، واضح أنها نتيجة بحث الأنسة لوسون في الدواليب. وبطريقتها المعتادة غير المترابطة نجحت في أن تشير لبوارو عن مكانها، وتمكن بوارو من التأكد بنفسه من صحة انعكاس جزء من المشهد على السلالم في مرآة الحائط.

اقترح قائلاً: "والآن يا أنسة، أرجو أن تذهبي للسلالم وتمثلي المشهد الذي رأيته."

تمتمت الأنسة لوسون قائلة: "أوه، يا إلهي"، وخرجت لتمثل دورها، وأخذ بوارو يراقب المشهد.

انتهى المشهد، وخرج بوارو ونزل الدرج، وسأل عن المصباح الكهربائي الذي يترك مضاًء.

"هذا المصباح، ذلك الموجود هناك. خارج باب غرفة الأنسة أرونديل بالضبط."

مد بوارو ذراعه وأخرج المصباح وفحصه.

"مصباح أربعين وات، ليس قوياً جداً."

"أوه يا سيد بوارو. أزعجتني؟ أنا أشعر بأنني مريضة للغاية! يا إلهي! يا إلهي! إنه عالم شرير! عالم شرير مروع للغاية".

قاطع بوارو نواحيها عندما أمسك يدها بقوة.

"وبالرغم من ذلك. هل ما زلت مستعدة لكي تقسمي أنك رأيت تريزا أرونديل جاثية على ركبتها ليلة إجازة البنك؟".

"أوه، نعم، أستطيع أن أقسم على ذلك".

"وبإمكانك أن تقسمي أيضًا أنك رأيت هالة من ضوء تحيط برأس الأنسة أرونديل خلال جلسة تحضير الأرواح الأخيرة؟".

انفتحت فم الأنسة لوسون.

"أوه، يا سيد بوارو، لا تمزح في هذه الأمور".

"أنا لا أمزح. أنا جاد تمامًا".

قالت الأنسة لوسون بوقار شديد:

"لم تكن هالة بالضبط. كانت أشبه ببداية تجسد. خرج من فمها شريط منير. أظنها كانت بداية تجسد وجه".

"أمر مثير للغاية. الوداع يا أنسة، أرجو أن تذكرني نفسك بكل ذلك".

"أوه طبعًا، طبعًا؛ فسيان هذه الأمور صعب عليّ...".

آخر ما رأيناه من الأنسة لوسون كان وجهًا أشبه بوجه خروف يحملق فينا ونحن نخرج من الباب الأمامي.

الثالث والعشرون

زيارة من دكتور تانيوس

بمجرد أن خرجنا من المنزل، تغير بوارو كثيرًا؛ فقد عيس وتجهم وجهه.

قال لي: "يجب أن نسرع يا هاستينجز. يجب أن نعود إلى لندن في أقرب وقت ممكن".

أسرعت بخطواتي كي ألحق به: "أنا على أتم استعداد"، ثم ألقيت نظرة سريعة على وجهه الجاد.

سألته: "فيمن تشك يا بوارو. أمل أن تخبرني. هل أنت موقن أن تريزا أرونديل هي المرأة التي كانت واقفة على السلالم؟".

لم يجب بوارو عن أسئلتي، وإنما طرح هو عليّ سؤالاً.

"هل خطر ببالك... فكر قبل أن تجيب... هل خطر ببالك أن هناك شيئًا خاطئًا في كلام الأنسة.

ماذا تعني... بخاطئي؟".

"لو كنت أعرف لما سألتك".

"نعم، ولكن خاطئي بأي شكل؟".

"ورائحة الطلاب؟"

لم نتمكن من متابعة حديثنا؛ فقد وصل النادل ومعه الفاتورة.

في طريقنا إلى لندن لم نتحدث كثيرًا؛ فأننا لا أحب الكلام في أثناء القيادة، كما كان بوارو مشغولًا للغاية بحماية شاربه من الآثار المروعة للرياح والأتربة مستخدمًا وشاحه، وهو ما منعه من الكلام.

وصلنا إلى الشقة في الساعة الثانية وعشرين دقيقة.

فتح لنا جورج الباب؛ خادم بوارو الإنجليزي الذي يتسم بنظافة متناهية.

"دكتور تانيوس ينتظر رؤيتك يا سيدي. إنه هنا منذ نصف ساعة."

"دكتور تانيوس؟ أين هو؟"

"في غرفة الجلوس يا سيدي. كما جاءت أيضًا سيدة ترغب في رؤيتك. بدت منزعجة للغاية عندما لم تجدك في المنزل. كان ذلك قبل أن أتلقي رسالتك الهازقة يا سيدي. لذلك لم أستطع أن أبلغها بأنك سوف تعود إلى لندن."

"صف هذه السيدة."

"طولها حوالي خمسة أقدام، شعرها قاتم اللون وعيناها زرقاوان فاتحتان. وكانت ترتدي معطفًا رماديًا وتنورة، وكانت تضع قبعة على رأسها ترجعها للخلف بدلاً من أن تضعها فوق عيناها اليمنى."

هتفت بصوت منخفض قائلاً: "السيدة تانيوس."

"بدت في حالة انفعال عصبي شديد يا سيدي. قالت إن الأمر غاية في الخطورة وإنها يجب أن تلتاق بسرعة."

"متى كان ذلك؟"

"في حوالي العاشرة والنصف يا سيدي."

هز بوارو رأسه وهو يتقدم ناحية غرفة الجلوس.

"هذه هي المرة الثانية التي أنسى فيها أن أستمع لما تريد السيدة تانيوس قوله. ما رأيك يا هاستينجز؛ هل للقدر يد في ذلك؟"

قلت مواسيًا له: "أتمنى أن يسعدك الحظ في المرة الثالثة."

"هذا كل ما في الأمر. لا يمكن أن أكون دقيقًا، ولكن عندما كانت تتكلم انتابني - بشكل ما - شعور بأن هناك شيئًا غير حقيقي... كأن هناك شيئًا - نقطة صغيرة خاطئة - كان ذلك، نعم شعور بأن هذا مستحيل..."

"بدت واثقة للغاية أنها كانت تريزا؟"

"نعم، نعم."

"ولكن على كل، لم تكن الإضاءة قوية بالدرجة الكافية. لا أعرف كيف تكون واثقة من كلامها لهذه الدرجة."

"لا، لا يا هاستينجز. أنت لا تساعدني. كانت نقطة صغيرة - شيئًا له علاقة ب - نعم، أنا واثق من ذلك - غرفة النوم."

هز بوارو رأسه بطريقة تعكس قلقه.

سألته: "لماذا أثرت مسألة الجلسة الروحية مرة أخرى؟"

"لأنها مهمة."

"ما المهم؟" الشريط المنير الذي تحدثت عنه الأنسة لوسون؟"

"أذكر وصف الأختين تربب لتلك الجلسة؟"

"أعرف أنهما رأتا حالة تحيط برأس السيدة العجوز". توقفت عن الكلام وضحكت رغماً عني. "لا يجب أن نصدق أنها كانت قديسة بأي حال من الأحوال! يبدو أن الأنسة لوسون كانت خائفة منها للغاية. شعرت بحزن كبير من أجل السيدة المسكينة عندما وصفت كيف ظلت مستيقظة: خائفة لحد الموت لأنها قد تطلب منها شريحة صغيرة من لحم بقري."

"نعم أمر محزن فعلاً."

سألت بوارو بعدما دخلنا فندق جورج وطلب بوارو تسديد الحساب: "ماذا سنفعل عندما نصل إلى لندن؟"

"يجب أن نذهب لرؤية تريزا أرونديل على الفور."

"ونكتشف الحقيقة؟ ولكن أئن تنكر الأمر برمتة؟"

"صديقي العزيز، وقوفها على السلام ليس جريمة! لعلها كانت تلتقط دبوًا صغيرًا يجلب لها الحظ - أو شيئًا من هذا القبيل!."

"هل ستكون هناك مرة ثالثة؟ أشك. تعال، دعنا نستمع لما يود زوجها أن يقوله لنا".

كان دكتور تانيوس جالساً على كرسي بذراعين يقرأ أحد كتب بوارو في علم النفس، فانتفض من مكانه وحيانا.

"أعذرتني على التطفل. أمل ألا تمنع قدومي بهذه الطريقة وانتظارك على هذا النحو".

"أبدأ، أبدأ. اجلس من فضلك. اسمح لي بأن أقدم لك العصير".

"شكراً لك، في الواقع يا سيد بوارو معي عذري؛ فأنا قلق، قلق للغاية على زوجتي".

"على زوجتك؟ أنا أسفة جداً. ما خطبها؟".

قال تانيوس:

"لعلك رأيته مؤخراً؟".

بدا السؤال طبيعياً للغاية، ولكن النظرة السريعة التي صاحبت السؤال لم تكن طبيعية على الإطلاق.

أجاب بوارو بطريقة عملية للغاية.

"لا، لم أرها منذ كنا في الفندق معك بالأمس".

"أها، ظننت أنها ربما تكون قد زارتك".

كان بوارو مشغولاً بصب ثلاثة أكواب من العصير.

قال بطريقة تعكس شروذ ذهنه بعض الشيء:

"لا. هل هناك سبب لزيارتها؟".

قال دكتور تانيوس وهو يأخذ منه الكوب: "لا، لا. شكراً لك. شكراً جزيلاً لك. لا، ليس هناك سبب محدد، ولكن لكي أكون صريحاً معك أنا قلق للغاية على صحة زوجتي".

"أها، هل هي مريضة؟".

قال تانيوس ببطء: "صحتها البدنية جيدة، ولكنني أتمنى أن تكون صحتها العقلية كذلك".

"أها؟".

"أخشى يا سيد بوارو، أن تكون على وشك انهيار عصبي حاد".

"عزيزي دكتور تانيوس، أنا أسف لذلك جداً".

"كانت هذه الحالة تتطور منذ فترة. وخلال الشهرين الأخيرين تغيرت لصرفاتها الأخيرة معي تماماً. أصبحت عصبية، تندبش بسرعة، كما أنها أصبحت تتخيل أشياء غريبة للغاية؛ في الواقع أكثر من مجرد خيالات. إنها أوهام!".

"حقاً؟"

"نعم. إنها تعاني ما يعرف بين العامة بجنون الاضطهاد. حالة معروفة جداً".

أحدث بوارو صوتاً ينم عن تعاطفه.

"يمكنك أن تتفهم مخاوفي؟".

"طبيعي. طبيعي. ولكن ما لا أفهمه هو سبب قدومك لي. كيف لي أن أساعدك؟".

بدا دكتور تانيوس محرّجاً بعض الشيء.

"خطر لي أن تكون زوجتي قد - أوروبما تأتيك بقصة غريبة؛ فمن الممكن أن تقول إنها في خطر معي - شيء من هذا القبيل".

"ولكن لماذا تأتيني؟".

ابتسم دكتور تانيوس - ابتسامة ساحرة - ودودة ولكن حزينة.

"أنت محقق معروف يا سيد بوارو. لقد لاحظت على الفور، أن زوجتي انبهرت كثيراً بلقائنا بك الليلة البارحة. مجرد حقيقة التقائنا بمحقق قد تترك انطباعاً قوياً بداخلها في حالتها الحالية. وظننت أنه من المحتمل جداً أنها قد تأتيك - و - حسناً - تأتيناك على أسرارها؛ فحالات الانهيار العصبي تأتي على هذا النحو! كما يميل المريض للانقلاب على أحبائه وأعرائه".

"أمر محبط للغاية".

"نعم، فعلاً. أنا مغرم بزواجتي كثيراً". كان يتحدث بصوت يفيض رقة وحناناً. "دائماً ما أشعر بأن زواجها من - رجل أجنبي - تطلب قدراً كبيراً من الشجاعة من جانبها، وسفرها معي لبلدة بعيدة، وتركها كل أصدقائها وكل ما يحيط بها. على مدار الأيام القليلة الأخيرة كنت مذهولاً للغاية... ولا أرى سوى سبيل واحد..."

"وهو؟"

"الراحة التامة والهدوء، وتلقي علاج نفسي مناسب. هناك منزل رائع يملكه رجل راق. أريد أن أخذها إلى هذا المنزل - في نورفولك - مباشرة. فتخلد للراحة التامة وتنعزل عن أي مؤثر خارجي؛ هذا هو كل ما تحتاج إليه. أنا مقتنع بأنها بمجرد أن تقضي شهراً أو اثنين مع علاج جيد سوف تتغير حالتها للأفضل".

قال بوارو: "فهمت".

قال هذه الكلمة بطريقة عملية للغاية دون أن يظهر أو يلمح للمشاعر التي راودته.

رقمه تانيوس مرة أخرى بنظرة سريعة.

"لهذا السبب؛ إذا جاءتك، سأكون ممتناً للغاية إذا أطلععتني بذلك على الفور".

"بالتأكيد. سأ اتصل بك. أما زلت تقيم في فندق دورهام؟"

"نعم، سأذهب إلى هناك الآن".

"وزوجتك، أليست هناك؟"

"خرجت بعد الإفطار مباشرة".

"دون أن تخبرك إلى أين ستذهب؟"

"دون أن تنطق كلمة واحدة. هذا تصرف غريب عليها تماماً".

"والطفلان؟"

"أخذتهما معها".

"فهمت".

وقف تانيوس.

"شكراً جزيلاً لك يا سيد بوارو. لست بحاجة لأن أقول لك إنها إذا أخبرتك بأي حكايات غريبة عن التهديدات والاضطهاد الذي تعانيه فلا تلق لها بالاً. فليسوء الحظ أن هذا جزء من علتها".

قال بوارو بتعاطف شديد: "أمر مؤسف".

"هذا صحيح. ورغم أنني أعرف - من الناحية الطبية - أن هذا جزء من مرض ذهني معروف، لا يمكنني أن أمنع نفسي من الشعور بالألم عندما يتقلب محبوب عزيز عليك وتتحول كل عاطفته تجاهك إلى كره".

قال بوارو وهو يصافح ضيفه: "أنا متعاطف معك تماماً".

نادى بوارو تانيوس وهو على الباب قائلاً: "بالمناسبة -"

"نعم؟"

"هل وصفت لزوجتك عقار الكلورال؟"

أصدر تانيوس حركة تنم عن اندهاشه.

"أنا - لا - أو لعلي فعلت، ولكن ليس مؤخراً. يبدو أنها كانت تتعاطى نوعاً من الأقراص المنومة".

"أها! أظن أن هذا هو السبب أنها لا تثق بك؟"

"سيد بوارو".

تقدم تانيوس نحو بوارو وهو غاضب للغاية.

قال بوارو مهدداً إياه: "هذا سيكون جزءاً من العلاج".

"طبعاً، طبعاً".

"أغلب الظن أنها تشك كثيراً في أي شيء تنصحها بأكله أو شربه. لعلها تشك في أنك تريد أن تسممها؟"

"يا إلهي! أنت محق تماماً يا سيد بوارو. إذن أنت تعرف شيئاً عن مثل هذه الحالات؟"

"أقابلها بين الحين والآخر، ومن الطبيعي أن يحدث ذلك في مهنتي. ولكن لا تجعلني أؤخرك أكثر من ذلك. لعلها تنتظرك في الفندق".

"هذا صحيح. أمل أن أجد لها هناك. أنا قلق للغاية".

أسرع بالخروج من الغرفة.

اتجه بوارو بسرعة ناحية الهاتف. وأخذ يقلب صفحات دليل الهاتف وسأل عن رقم ما.

"ألو، ألو، هل هذا فندق دورهام. هل السيدة تانيوس موجودة في الفندق؟ ماذا؟ تانيوس. نعم، هذا صحيح. نعم؟ نعم؟ أه، حسناً".

وضع سماعة الهاتف.

"لقد غادرت السيدة تانيوس الفندق هذا الصباح وأخذت حقائبها. ثم عادت في الساعة الحادية عشرة، وظلت بداخل سيارة أجرة حتى أنزلت حقائبها ثم انطلقت من جديد".

"هل يعرف دكتور تانيوس أنها أخذت حقائبها؟".

"أظنه لا يعرف بعد".

"إلى أين ذهبت؟".

"لا أحد يعرف".

"هل تظنها سوف تعود إلى هنا؟".

"ربما، لا أستطيع أن أجزم بذلك".

"ربما سترسل لك خطاباً".

"ربما".

"ما الذي يمكننا عمله؟".

هز بوارو رأسه. بدا قلقاً ومحبطاً.

"لا يمكننا عمل أي شيء في الوقت الراهن. سنتناول غداءنا بسرعة، ثم نذهب لرؤية تريزا أرونديل".

"هل تظن أنها هي المرأة التي كانت واقفة على السلالم؟".

"من الصعب أن أجزم بذلك. الشيء الوحيد المؤكد هو أن الأنسة لوسون لم تر وجهها. رأت قامة طويلة بملابس النوم، هذا كل ما في الأمر".

"ودبوس الزينة".

"صديقي العزيز، دبوس الزينة ليس جزءاً من التركيب البنيوي للشخص! لقد انفصل عن ذلك الشخص. قد يضع - أو يستعار - أو حتى يسرق".

"بتعبير آخر، لا تريد أن تصدق أن تريزا أرونديل مذنبه".

"أريد أن أسمع ما ستقوله عن هذا الأمر".

"وماذا لو عادت السيدة تانيوس؟".

"سوف أرتب هذا الأمر".

أحضر جورج البيض الأومليت.

قال له بوارو: "اسمع يا جورج، إذا عادت تلك السيدة، فاطلب منها أن تنتظر. وإذا عاد دكتور تانيوس في أثناء وجودها، فلا تسمح له بالدخول لأي سبب كان.

وإذا سأل عما إذا كانت زوجته موجودة، فأخبره بأنها لم تأت، فهمت؟".

"حسناً يا سيدي".

أقبل بوارو على تناول طبق الأومليت.

قال: "الأمر يعقد نفسه. يجب أن نتصرف بحذر شديد. فإن لم نفعل، فسوف يسدد القاتل ضربة أخرى".

"إن فعل، فسوف تصل إليه".

"محتمل جداً، ولكنني أفضل حماية حياة البريء على إدانة المذنب. يجب أن نتوخى الحذر الشديد".

"لقد التقيت بالسيد بوارو من قبل يا ريكس، أليس كذلك؟"

قال دونالدسون بنبرة فظة: "التقينا في ماركييت بيسينج".

قالت تريزا: "كنت تتظاهر بتأليف كتاب عن حياة جدي السكير كما أذكر. هيببي ريكس، هلا تركتنا قليلاً؟"

"شكراً لك يا تريزا، ولكنني أظن أنه من الأفضل أن أتواجد معكم".
لبدلاً النظرات فيما بينهما. كانت تريزا تنظر إليه بطريقة أمرة، وكان دونالدسون ينظر إليها بطريقة جامدة. فرمقته بنظرة غضب سريعة.

"حسنًا، اجلسا إذن، اللعنة!"

بدا دكتور دونالدسون رابط الجأش.

جلس مرة أخرى على الكرسي المجاور للنافذة، واضعاً كتابه على ذراع الكرسي. فوجدته كتاباً عن الغدة النخامية.

جلست تريزا على كرسيها المفضل المنخفض الذي ليس له ظهر ونظرت بنفاد صبر إلى بوارو.

"حسنًا، لقد رأيت السيد بيرفيس؟ ماذا دار بينكما؟"

قال بوارو بصوت لا يخلو من ريبة:

"هناك احتمالات يا أنسة."

نظرت إليه بتأمل، ثم ألقت نظرة ضعيفة للغاية ناحية الطبيب. أظنها - كما ظننت - تهديداً لبوارو.

تابع بوارو كلامه قائلاً: "ولكن أظن أنه من الأفضل، أن أبلغك بما حدث في وقت لاحق وأواصل أنا متابعة خططي".

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه تريزا للحظة.

تابع بوارو كلامه:

"لقد جئت اليوم من ماركييت بيسينج، وبينما كنت هناك تحدثت مع الأنسة لوسون. أخبريني يا أنسة، هل جثوت على ركبتيك ليلة الثالث عشر من أبريل (كان ذلك في ليلة إجازة البنك) على السلالم بعدما ذهب الجميع للنوم؟"

الرابع والعشرون

إنكار تريزا

وجدنا تريزا أرونديل توشك على الخروج من المنزل.

كانت جذابة بصورة أكثر من المعتاد. كانت تضع قبعة صغيرة مسامية للموضة على رأسها، وكانت تميل لأسفل فوق عينيها اليمنى. أدركت على الفور والدهشة تتملكني أن بيلا تانيوس حاولت أن تقلدها بارتداء قبعة رخيصة - كما قال عنها جورج - تضعها فوق رأسها وترجعها للخلف بدلاً من أن تضعها فوق عينيها اليمنى. تذكرت جيداً كيف كانت ترجعها للخلف فيظهر شعرها غير المرتب.

قال بوارو بأدب:

"هل يمكنني أن أعطيك لحظة أو اثنتين يا أنسة، أم أن هذا سيؤخرك كثيراً؟"

ضحكت تريزا.

"أوه، هذا غير مهم؛ فداناً ما أتأخر ساعة إلا ربع الساعة على أي موعد. وقد أتأخر ساعة أيضاً".

قادت به إلى غرفة الجلوس. وفوجئت عندما رأيت دكتور دونالدسون واقفاً على كرسي بجوار النافذة.

"عزيزي هيركيول بوارو، كم أجد هذا السؤال غريباً؟ ولماذا أفعل؟".

"أنا لا أسأل يا آنسة عن السبب، ولكنني سألتك هل فعلت ذلك".

"أنا واثقة أنني لا أعرف. أظنني لم أفعل شيئاً كهذا".

"اتقهمين يا آنسة، الآنسة لوسون قالت إنك فعلت".

هزت تريزا كتفيها الجذابتين.

"هل هذا مهم؟".

"مهم للغاية".

حدقت النظر إليه، فحدق بوارو بدوره النظر فيها بطريقة ودودة للغاية.

قالت تريزا: "هذا سخيف".

"عذراً؟".

"سخيف للغاية! ألا تعتقد ذلك يا ريكس؟".

سعل دكتور دونالدسون.

"اعذرني يا سيد بوارو، ولكن ما الهدف من هذا السؤال؟".

مد صديقي يده.

"الأمر في منتهى البساطة! هناك شخص دق مسماراً في مكان ما أعلى السلالم. وقام بطلائه بدهان بني لكي لا يختلف عن لون حافة الحائط".

سألت تريزا: "هل هذا نوع جديد من السحرة؟".

"لا يا آنسة، الأمر أبسط من ذلك؛ ففي اليوم التالي - يوم الثلاثاء - ربط شخص ما خيطاً في المسمار وشده ناحية الدرابزين أملاً أن يعرقل الآنسة أرونديل عندما تخرج من غرفتها فتسقط من على السلالم".

"أخذت تريزا نفساً عميقاً".

"كانت كرة بوب".

"معدرة ولكن الأمر ليس كذلك".

ساد صمت للحظة، كسره دونالدسون الذي قال بصوته الهادئ والدقيق:

"عذراً، ولكن ما دليلك على هذا الكلام؟".

قال بوارو بهدوء:

"الدليل هو المسمار، وكلمات الآنسة أرونديل نفسها، وأخيراً شهادة الآنسة لوسون لما رآته بعينيها".

قالت تريزا بعدما أفاقَت من صدمتها.

"قالت إنني فعلت ذلك، أليس كذلك؟".

لم يجيبها بوارو سوى بانحناء بسيطة من رأسه.

"حسناً، هذا كذب! ليست لي أية علاقة بذلك".

"كنت جاثية على ركبتك على السلالم لسبب آخر؟".

"لم أجد على السلالم أبداً".

"انتهبي لما تقولينه يا آنسة".

"لم أكن هناك! لم أخرج من غرفتي أبداً بعدما ذهبت للنوم في أية ليلة".

"ولكن الآنسة لوسون أرتك".

"لعلها رأت بيلا تانيوس أو إحدى الخادومات".

"تقول إنها أنت".

"كذابة حقيرة".

"لقد تعرفت على ملابس نومك وديوس الزينة الذي ترتدينه".

"ديوس الزينة - أي ديوس؟".

"الديوس الذي يحمل الأحرف الأولى لاسمك".

"أوه، أنا أعرفها! إنها تكذب طوال الوقت".

"أما زلت تنكرين أنها أرتك أنت؟".

"إذا كان كلامي يتنافى مع كلامها -".

"أنت تجيدين الكذب أكثر منها - ها؟".

قالت تريزا بهدوء:

"لعل هذا صحيح. ولكنني أقول الحقيقة هذه المرة. لم أكن أعِدُّ شَرَكاً لأحد، أو ساجدة، أو ألتقط خاتماً من الذهب أو الفضة، أو أفعل أي شيء على السلاالم".
 "أليدك دبوس الزينة الذي تحدثت عنه؟".

"ربما، أتريد أن تراه؟".

"إذا سمحت يا أنسة".

نهضت تريزا من مكانها وغادرت الغرفة، فساد صمت مروع. وثبت دكتور دونالدسون نظره على بوارو وكأنه يفحص جثة يقوم بتشريحها.

عادت تريزا إلى الغرفة.

"ها هو".

ألقت الدبوس تقريباً في وجه بوارو. كان دبوساً كبيراً ولا معاً من الكروم أو الصلب المقاوم للصدأ، في منتصفه دائرة مكتوب عليها حرفي ت. أ. علي أن أعترف بأنه كان كبيراً للغاية ولا معاً للدرجة تجعل من السهل على الأنسة لوسون أن تراه في المرأة.

قالت تريزا: "لم أعد أرتديه الآن؛ فقد مللته بعدما انتشر بكثرة في لندن. فأني خادمة أصبحت ترتديه".

"ولكنه كان باهظاً عندما اشتريته؟".

"أوه، نعم. كان باهظاً للغاية في بداية ظهوره".

"متى كان ذلك؟".

"أظنني اشتريته في رأس السنة السابقة. نعم، في ذلك الوقت تقريباً".

"هل أعرته لأي شخص؟".

"لا".

"كان معك في منزل ليتلجرين؟".

"أظن ذلك، نعم، كان معي أذكر ذلك".

"هل تركته في أي مكان؟ هل خرج من حوزتك في أثناء تواجدك هناك؟".

"لا، لم أتركه، كنت أضعه على سترة خضراء. وأنا أرتدي السترة نفسها كل يوم".

"وفي المساء؟".

"كان لا يزال في السترة".

"والسترة".

"أوه، اللعنة، تركتها على كرسي".

"هل أنت واثقة أنه لم يأخذه أي شخص وأعاده في اليوم التالي؟".

"سوف نقول ذلك في المحكمة إن شئت. إذا كنت تعتقد أن هذه أفضل كذبة لديك! في الواقع أنا واثقة تماماً من عدم حدوث شيء كهذا! من المحتمل أن يكون هناك من حاول أن يلمس بي الجريمة. ولكنني لا أظن ذلك صحيحاً".

تجهم بوارو. ثم نهض من مكانه، وثبت الدبوس بعناية على طية معطفه واقترب من امرأة موضوعة على طاولة في الناحية المقابلة من الغرفة. وقف أمام المرأة ثم تحرك ببطء ناحية الوراء، لكي يدرس تأثير ابتعادها عنها.

ثم صاح يقول:

"كم أنا محتوه! طبعاً".

عاد وأعطى تريزا الدبوس بعدما انحنى لها.

"أنت محقة تماماً يا أنسة؛ فالدبوس ظل بحوزتك طوال الوقت! كنت غيباً للغاية".

قالت تريزا، وهي تثبت الدبوس في ملابسها بإهمال: "أنا لا أحب التواضع". نظرت إليه لأعلى.

"هل هناك شيء آخر؟ يجب علي عمله".

"لا شيء، يمكننا مواصلة كلامنا في وقت لاحق".

تحركت تريزا ناحية الباب، وتحدث بوارو بصوت هادئ:

"قد نقوم بتشريح الجثة —".

تسمرت تريزا في مكانها كالأموات، فسقط الدبوس على الأرض.

"ماذا قلت؟"

قال بوارو بوضوح:

"من المحتمل أن نقوم بتشريح جثة الأنسة إميلي أرونديل."

وقفت تريزا ثابتة في مكانها مطبقة يديها، ثم قالت بصوت منخفض غاضب:

"هل أنت المسئول عن ذلك؟ لا يمكن عمل ذلك دون أن تحصل على إذن من العائلة!"

"أنت مخبطة يا آنسة، لا يمكن عمل ذلك دون الحصول على أمر من وزارة الداخلية."

قالت تريزا: "يا إلهي!"

التفت وأخذت تسير جيئة وذهاباً.

قال دونالدسون بهدوء:

"أنا لا أرى فعلاً أي حاجة لأن تغضبي يا تريزا. أقول إن الفكرة قد تكون غير محببة لأي غريب، ولكن..."

قاطعته بقولها:

"لا تكن أحمق يا ريكس!"

سألها بوارو:

"الفكرة تزعجك يا آنسة؟"

"بالطبع تزعجني! هذا غير لائق. عمتي إميلي المسكينة. لماذا بحق السماء يتم تشريح جثتها؟"

قال دونالدسون وهو ينظر بعين التساؤل إلى بوارو: "أظن أنه ليس هناك شك في سبب الوفاة". ثم أردف يقول: "أعترف بأنني مذهول. أظن أنه ليس هناك شك في أن الأنسة أرونديل توفيت بصورة طبيعية من مرض عانته لفترة طويلة".

قالت تريزا: "لقد حدثتني من قبل عن أرنوب ومشكلة في الكبد. لقد نسيتها الآن، ولكنك حققت الأرنوب بدم شخص يعاني الصفراء، ثم حققت دم ذلك الأرنوب

في أرنوب آخر، ثم حققت دم الأرنوب الثاني لشخص سليم فأصيب هذا الشخص بمرض في الكبد - شيء من هذا القبيل".

قال دونالدسون بصبر شديد: "كان ذلك مجرد توضيح للعلاج باللقاح".

قالت تريزا بضحكة مستهترة: "من المؤسف أن هناك كثيراً من الأرنوب في هذه القصة! لا أحد منا لديه أرنوب". ثم نظرت إلى بوارو وتحدثت بنبرة مختلفة، سألتها قائلة:

"سيد بوارو، هل هذا صحيح؟"

"صحيح تماماً، ولكن هناك طرقاً لتجنب مثل هذه العدوى يا آنسة."

قالت بصوت منخفض أقرب إلى الهمس: "إذن تجنبها. تجنبها بأي ثمن!"

وقف بوارو على قدميه.

تحدث بصوت رسمي وقال: "هذه تعليماتك؟"

"هذه تعليماتي."

قاطعها دونالدسون قائلاً: "ولكن يا تريزا..."

التفتت تجاه خطيبها.

"ههههه! كانت عمتي، أليس كذلك؟ لماذا يتم إخراج جثة عمتي من قبرها، ألا تعرف أن الصحف ستتناول هذا الخبر، وستكثر الإشاعات المزعجة في كل مكان؟"، ثم اقتربت مرة أخرى من بوارو.

"يجب أن تمنع ذلك! أعطيك صلاحية تامة للتصرف. افعل ما تشاء، ولكن أوقف هذا الأمر!"

انحنى بوارو بشكل رسمي.

"سأفعل ما بوسعي، وداعاً يا آنسة، وداعاً يا دكتور."

صاحت تريزا قائلة: "أوه، اذهب. وخذ رجل الدين ليونارد معك. أتمنى لو لم أركم!"

غادرنا الغرفة. ولكن بوارو لم يسترق السمع هذه المرة ويضع أذنه على الباب، ولكنه سار ببطء شديد، نعم ببطء شديد.

ولم يكن ذلك دون جدوى؛ فقد سمعنا صوت تريزا واضحاً جلياً وهي تقول:
 "لا تنتظر إلي بهذه الطريقة يا ريكس".
 وفجأة، لأن صوتها وقالت: "حبيبي".
 فأجابها دكتور دونالدسون بصوته العميق.

قال بوضوح شديد:

"هذا الرجل يريد الأذى".

عيس بوارو فجأة. وقادني إلى الباب الأمامي.

قال لي: "تعال يا رجل الدين ليونارد. لنخرج يا صديقي المضحك".

أنا شخصياً وجدت هذه النكتة غريبة.

الخامس والعشرون

أنا أستلقي وأتأمل الوضع

فكرت في نفسي وأنا أسرع بالركض خلف بوارو وقلت لا، ليس هناك شك في ذلك الآن، لقد قتلت الأنسة أرونديل وتريزا تعرف ذلك. ولكن هل هي المجرمة، أم أن هناك تفسيراً آخر؟

كانت خائفة... هذا صحيح. ولكن هل كانت خائفة على نفسها أم على شخص آخر؟ هل من الممكن أن يكون هذا الشخص هو الطبيب الشاب الهادئ الذي يتصرف بهدوء وتحفظ؟

هل توقفت السيدة العجوز جراء مرض حقيقي محقق/صطناعياً؟

لحد ما كل هذه التساؤلات تنطبق على طموحات دونالدسون، خاصة أنه يعرف أن تريزا سوف تترك المال بعد وفاة عمتها. هذا فضلاً عن حقيقة وجوده على العشاء ليلة وقوع الحادثة. كم من السهل أن تترك نافذة مناسبة مفتوحة وتعود في ظلمة الليل لترتبط الحبل القاتل أعلى درجات السلم. ولكن ماذا عن دق المسمار في هذا الموضوع؟

لا، قطعاً تريزا هي من فعلت ذلك؛ فهي خطيبته وشريكته في الجريمة. ومن خلال عمل الاثنين معاً، بدا الأمر كله واضحاً بالدرجة الكافية. في هذه الحالة،

أغلب الظن أن تريزا هي من ربطت الحبل فعلاً في ذلك المكان. الجريمة الأولى - الجريمة التي باءت بالفضل، اقترفتها بيدها. أما الجريمة الثانية - الجريمة التي نجحت فعلاً، فكانت رائعة دونالدسون العلمية.

نعم، كل شيء مناسب الآن.

وبالرغم من ذلك، وحتى هذه اللحظة تبقى هناك خيوط مفككة. لماذا أفصحت تريزا عن الحقائق المتعلقة بإحداث مرض كبدي في إنسان؟ كان الأمر كأنها لم تدرك الحقيقة... ولكن في هذه الحالة - شعرت بأنني سأفقد عقلي، فقاطعت تأملاتي بطرح سؤال:

"إلى أين ستجته يا بوارو؟"

"سنعود إلى شقتي، فمن الممكن أن نجد السيدة تانيوس هناك."

تحوّلت أفكاري إلى مسار آخر.

السيدة تانيوس! إنها لغز آخر! فإذا كان دونالدسون وتريزا مذبذبين، فأين دور السيدة تانيوس وزوجها المبتسم؟ ما الذي أرادت السيدة أن تخبر به بوارو، وما سبب قلق تانيوس ورغبته في منعها من ذلك؟

قلت بتواضع: "بوارو، لقد جن جنوني، إنهم ليسوا جميعاً شركاء في الجريمة، أم أن الوضع كذلك؟"

"جريمة قتل نفذتها مجموعة عائلية بأكملها؟ لا، هذا لا ينطبق على هذه الجريمة. هناك بصمة عقل واحد، عقل واحد دبر لذلك. سيكولوجية واضحة تماماً."

"أتعني أن الجريمة لا تخرج عن تريزا أو دونالدسون - ولكنهما لم يشتركا في ذلك؟ هل دفعها لثق ذلك المسمار لسبب يبدو بريئاً تماماً؟"

"صديقي العزيز، منذ سمعت رواية الأنسة لوسون، أدركت أن هناك ثلاثة احتمالات. (١) أن تكون الأنسة لوسون قالت الحقيقة بالضبط. (٢) أن الأنسة لوسون اخترعت القصة لأسباب خاصة بها. (٣) أن تكون الأنسة لوسون صدقت قصتها فعلاً، ولكنها اعتمدت في تحديد هوية المرأة الواقة على السلاط على دبوس الزينة. وكما أوضحت لك، من السهل أن ينفصل الدبوس عن مالهكة."

"نعم، ولكن تريزا أصرت على أن الدبوس ظل في حوزتها."

"وهي محقة في ذلك. لقد أغفلت حقيقة صغيرة ولكن غاية في الأهمية". قلت له بمهابة: "أمر غريب عليك يا بوارو".

"ليس كذلك؟ لكل جواد كبوة".

"السن لها أحكامها".

قال بوارو ببرود: "الأمر غير متعلق بالسن".

سألته ونحن نعبّر مدخل البيت: "حسنًا، ما الحقيقة المهمة التي تحدثت عنها؟"

"سوف أريك".

عندئذ وصلنا إلى الشقة، فتح لنا جورج الباب، ثم أجاب عن سؤال بوارو المتلهف بهزة من رأسه.

"لا يا سيدي. لم تأت السيدة تانيوس، ولم تتصل أيضاً". فدخل بوارو حجرة الجلوس. وظل يتحرك جيئةً وذهاباً بضغ لحظات، ثم رفع سماعة الهاتف. واتصل أولاً بفندق دورهام.

"نعم - نعم، من فضلك. أها، دكتور تانيوس، أنا هيركيول بوارو. هل عادت زوجتك؟ أوه، لم تعد. يا الهي... تقول إنها أخذت حقائبها... والأطفال... ليست لديك فكرة إلى أين ذهبت... نعم، تمام... أوه، حسنًا... إذا كانت خدماتي المهنية مفيدة لك؟ لدي خبرة لا بأس بها في هذه الأمور... مثل هذه الأمور يجب عملها بتروء... لا، بالطبع، لا... نعم، هذا صحيح طبعاً... بالتأكيد... بالتأكيد. سأحترم رغبتك".

ثم وضع سماعة الهاتف وهو غارق في التفكير.

قال متأملاً: "إنه لا يعرف إلى أين ذهبت. أظنه صادقاً تماماً؛ فالقلق الواضح في صوته لا شك فيه. لا يريد أن يذهب إلى قسم الشرطة، هذا مفهوم. نعم، أفهم ذلك، كما أنه لا يريد مساعدتي أيضاً. لعل هذا الأمر غير مفهوم تماماً... يريد أن يجدها - ولكنه لا يريدني أن أجدها... بالتأكيد لا يريدني أن أجدها... يبدو وثاقاً أن بإمكانه السيطرة على الأمر بنفسه. لا يظن أن باستطاعتها أن تختفي لفترة طويلة؛ فليس لديها سوى مبلغ قليل للغاية من المال. كما أنها أخذت الأطفال معها. نعم، أظن أنه سوف يتمكن من الإمساك بها في وقت قصير.

ولكنني أظن يا هاستينجز أننا سوف نكون أسرع منه بعض الشيء. أظن أن هذا مهم، من المهم أن نصل إليها قبله."

سألته: "أتظن أن مسأ من الجنون أصابها بحق؟"

"أظن أنها في حالة إرهاب وتوتر عصبي حاد."

"ولكن ليس للحد الذي يستلزم وضعها في مصحة للأمراض العقلية."

"بالطبع لا."

"أعرف يا بوارو، أنا لا أفهم كل ما يحدث."

"إن سمحت لي بالقول يا هاستينجز، أنت لا تفهم أبداً!"

"يبدو أن هناك الكثير من... حسناً... الأمور الجانبية."

"طبيعي أن تكون هناك نقاط جانبية. وفصل النقطة الأساسية عن النقاط الجانبية هي أهم سمة للتفكير المنظم."

"أخبرني يا بوارو، هل فكرت أنه قد يكون هناك ثمانية من المشتبه بهم وليس سبعة فقط؟"

رد بوارو بطريقة جافة:

"لقد وضعت هذه الحقيقة في اعتباري منذ لحظة ذكر تريزا أرونديل أن المرة الأخيرة التي رأت فيها دكتور دونالدسون كانت عندما تناول العشاء في منزل ليتلجرين في الرابع عشر من أبريل."

قاطعته قائلاً: "لا أرى بالضبط..."

"ما الذي لا تراه بالضبط؟"

"حسناً، إذا كان دونالدسون قد خطط للتخلص من الآتسة أوردنيل بطريقة علمية - أعني بلفاح معين - لا أرى السبب الذي يجعله يلجأ لمثل هذه الخدعة الخرقاء بربط خيط أعلى السلاالم."

"في الحقيقة يا هاستينجز، تأتي علي لحظات تفقدني صبري عليك! الطريقة الأولى علمية للغاية تحتاج لمعرفة متخصصة. متفق معي، أليس كذلك؟"

"نعم."

"والطريقة الثانية طريقة منزلية بسيطة - "كالتى تستخدمها أي أم" كما نقول الإعلانات. أليس هذا صحيحاً؟"

"نعم، تماماً."

"إذن يا هاستينجز - فكر. استلق على كرسيك، وأغمض عينيك، وأعمل مخك قليلاً."

نفذت أمره، واستلقيت على الكرسى وأغمضت عيني وحاولت أن أنفذ النصيحة الثالثة التي نصحتني بها بوارو. إلا أن كل هذه المحاولات لم تؤت ثمارها المرجوة بالقدر الكافي.

فتحت عيني فوجدت بوارو يتابعني بالاهتمام العطوف الذي توليه ممرضة لطفل تحت رعايتها.

"حسناً؟"

أجريت محاولة فاشلة لأحاكي طريقة بوارو.

قلت له: "حسناً، يبدو لي أن الشخص الذي صنع الشرك الأول، ليس الشخص نفسه الذي خطط لجريمة قتل تقوم على أسس علمية."

"بالضبط."

"وأشك في أن العقل المدرب على تعقيدات علمية قد يفكر بشيء طفولي كحادث السقوط من على السلم - طريقتا التفكير لا تجتمعان أبداً."

"منطق سليم للغاية."

شجعتني ذلك فتابعته كلامي:

"لهذا، الحل الوحيد المنطقي يبدو أن محاولتي القتل خطط لها شخصان مختلفان. وعلينا هنا أن نتعامل مع جريمة قتل خطط لها شخصان مختلفان."

"ألا تعتقد أن هذا من الصعب أن يكون من قبيل الصدفة؟"

"قلت بنفسك من قبل إنه دائماً ما تحدث مصادفة في أي جريمة قتل."

"نعم، هذا صحيح. يجب أن أعترف بذلك."

"حسناً، ويعد."

"وفي رأيك من الذي دبر للمحاولتين؟"

"فونالدسون وتريزا أرونديل. الطبيب هو المسئول عن محاولة القتل الأخيرة التي نجحت. ونحن نعرف - على الصعيد الآخر - أن تريزا أرونديل هي المسئولة عن المحاولة الأولى. أظن أنه من المحتمل جداً أن يكون كل منهما تصرف بمعزل عن الآخر".

"أنت فخور للغاية بقولك "نحن نعرف" يا هاستنجز. أؤكد لك أنه مهما كان ما تعرفه، فأنا واثق أن تريزا ليست مشتركة في هذا الأمر".

"ولكن رواية الأنسة لوسون".

"رواية الأنسة لوسون تخصها. هذا كل ما في الأمر".

"ولكنها تقول —".

"هي تقول — هي تقول... دائماً ما تكون على أتم استعداد للتعامل مع ما يقوله الناس كحقيقة ثابتة مسلم بها غير قابلة للشك. والآن، اسمعني يا عزيزي، لقد أخبرتك من قبل بأنني شعرت بأن هناك خطأ ما في رواية الأنسة لوسون؟".

"نعم، أذكر أنك قلت ذلك. ولكنك لم تستطع تحديده".

"حسناً لقد فعلت ذلك الآن. لحظة واحدة وسوف أريك ما كان يجب أن أحظه على الفور. كم أنا معتوه". ثم اتجه ناحية المكتب وفتح درجاً وأخرج ورقة كروتونية. قسمها نصفين بمقص، وطلب مني ألا أسترق النظر لما يفعله.

"الصبر يا هاستنجز، سوف نبدأ في تجربتنا خلال لحظات".

حولت نظري عنه إذعائاً لطلبه.

خلال لحظة أو اثنتين أطلق بوارو صرخة تنم عن الرضا. وضع المقص جانباً، وأسقط قطع الورق الكروتوني في سلة المهملات وجاء ناحيتي.

"الآن لا تنتظر. حتى أشبك شيئاً في طية صدر معطفك".

نفذت طلبه، حتى انتهى بوارو مما يفعل، ثم دفعني برفق وأخرجني من الغرفة إلى غرفة النوم الملحقة.

"والآن يا هاستنجز اعتبر أنك تنتظر لنفسك في مرة. أنت ترتدي دبوس زينة مساييراً للموضة يحمل الأحرف الأولى لاسمك، أليس كذلك. كل ما هنالك

أن الدبوس ليس مصنوعاً من الكروم أو الصلب المقاوم للصدأ، أو الذهب أو البلاتين، ولكنه مصنوع من ورق كروتوني".

نظرت إلى نفسي وابتسمت. كان بوارو نظيف الأظافر على غير العادة. وضع على صدري تقليدياً بسيطاً لدبوس الزينة الخاص بـ تريزا أرونديل - فقد قطع دائرة من الورق الكروتوني وكتب عليها الأحرف الأولى أ. ه.

قال بوارو: "حسناً. هل أنت سعيد؟ لديك دبوس زينة رائع يحمل الأحرف الأولى لاسمك".

قلت له: "دبوس رائع".

"صحيح أنه لا يلمع ولا يعكس الضوء، ولكنك معترف بأنه من الممكن رؤيته بوضوح من مسافة بعيدة؟".

"ليس لدي شك في ذلك".

"تمام. فأنت لا تميل للشك. ولكن الإيمان البسيط أقرب ما يكون لشخصيتك. والآن يا هاستنجز، أرجو أن تخلع معطفك".

احترت قليلاً، ولكنني نفذت طلبه. وخلع بوارو هو الآخر معطفه وارتدى معطفي، وابتعد عني قليلاً.

قال لي: "والآن، انظر كيف يبدو الدبوس - الدبوس الذي يحمل الأحرف الأولى لاسمك - علي؟".

أخذت جولة في الغرفة، وأنا أحقق النظر إليه، دون أن أفهم ما يعنيه للحظة. ثم فهمت مقصده.

"كم أنا أبله معتوه! طبعاً، ستظهر ه. أ. على الدبوس وليست أ. ه. أبداً".

أضاء وجه بوارو، وهو بعيد ارتداء ملابسه ويعطيني معطفي.

"بالضبط، أفهمت الآن ما كنت أعنيه بوجود خطأ ما في رواية الأنسة لوسون. قالت إنها رأت الأحرف الأولى لاسم تريزا واضحة على دبوس الزينة الذي كانت تضعه. ولكنها رأت تريزا في المرأة. وهكذا، فإنها إن كانت قد رأت الأحرف الأولى، قطعاً رأتها معكوسة".

قلت له: "حسناً، لعلها فعلت، وأدركت أنها معكوسة".

"صديقي العزيز: هل خطرت هذه الفكرة على بالك قبل الآن؟ ألم تصرخ من الدهشة عندما فهمت الحقيقة. وأن الأحرف ه. أ. هي في الحقيقة أ. ه. " وبالرغم من ذلك أنا موقن أنك أذكى من الأنسة لوسون. ولا تحاول أن تقنعني أن سيدة مشوشة الفكر مثلها قد تستيقظ من النوم فجأة، وهي شبه نائمة، وتذكر أن أ. ت. هي في الحقيقة ت. أ. فهذا لا ينطبق بأي حال من الأحوال على عقلية الأنسة لوسون."

قلت له بترؤ: " ولكنها مصممة أنها تريزا."

"لقد اقتربت يا صديقي. أتذكر أنني أشرت لها أنه من المستحيل أن ترى وجه أي شخص يقف على السلالم، وعلى الفور - ماذا قالت؟"

"تذكرت أنها رأت دبوس الزينة الخاص بتريزا، ونسيت حقيقة أنها رأت انعكاسها في المرأة، وهنا يكمن الخطأ في روايتها."

رن جرس الهاتف بقوة؛ فأسرع بوارو ليجيبه.

لم يتفوه إلا ببضع كلمات غير واضحة.

"نعم؟ نعم... بالتأكيد. نعم، مناسب تمامًا. بعد الظهيرة، على ما أظن. نعم، الساعة الثانية مناسبة تمامًا". ثم وضع السماعة والتفت ينظر إلي مبتسمًا.

"دكتور دونالدسون يريد أن يتحدث معي. سوف يأتي هنا غدا في الساعة الثانية. لقد اقترينا، يا صديقي، اقترينا."

السادس والعشرون

السيدة تانيوس ترفض أن تتكلم

عندما أفقت بعد تناول الإفطار صباح اليوم التالي، وجدت بوارو مشغولاً على طاولة الكتابة.

رفع يده تحية لي، ثم تابع أداء مهمته. وعلى الفور، لملم أوراقه، ووضعها في مظروف أغلقه بعناية.

سألته بمرح: "حسناً أيها الفتى، ماذا تفعل؟"

"هل تكتب الأحداث المتعلقة بالقضية لكي تضعها في مكان آمن تحسباً لتعرضك لمحاولة قتل اليوم؟"

"أعرف يا هاستنجز، أنت لم تبتعد كثيراً في ظنك."

كان يتصرف بطريقة جادة.

"هل قاتلنا أوشك أن يصبح خطيراً؟"

قال بوارو بجديّة: "أي قاتل دائماً ما يكون خطيراً".

"أعجب كثيراً كيف يتم إغفال هذه الحقيقة في كثير من الأحيان."

"أي أخبار؟"

اعترف بوارو بسذاجة قائلاً: "صحيح أنني في بعض الأحيان أثنى على براعتي في هذا الأمر".

لم أتمالك نفسي وانتابتي نوبة من الضحك؛ فنظر إلي بوارو نظرة توبيخ؛ وبدأنا في رحلتنا إلى كلارويدين مانجونز.

جلسنا في غرفة الجلوس المزدحمة نفسها، وأتتنا الآنسة لوسون هانجة ومنفصلة. كانت تصرفاتها غير مترابطة أكثر من المعتاد.

"أوه، عزيزي السيد بوارو، صباح الخير. أخشى أن تكون الغرفة فوضوية وغير مرتبة. كل شيء فوضوي ومبعثر هذا الصباح. منذ وصول بيلا —"

"ماذا قلت؟ بيلا؟"

"نعم، بيلا تانيوس. لقد جاءت منذ نصف ساعة مضت. ومعها الطفلان متعبين للغاية، يا لهم من مساكين! حقاً، لا أعرف ماذا أفعل حيال ذلك. أتدري، لقد تركت زوجها".

"تركته؟"

"تقول ذلك. أنا واثقة أن معها كل الحق، كم هي مسكينة".

"وانتمتلك على سرها؟"

"حسنًا، ليس كذلك بالضبط؛ فهي لم تقل أي شيء على الإطلاق. ولكنها كررت أنها تركته، وأنه لن يثنيها أي شيء عن هذا القرار".

"هل هذه خطوة جيدة؟"

"طبعًا في الواقع، لو كان رجلًا إنجليزيًا، لنصحتها. ولكنه ليس إنجليزيًا... وهي تبدو غريبة للغاية، يا لها من مسكينة، تبدو — حسنًا؛ خائفة جدًا. ماذا يمكننا أن نفعل لها؟"

"دكتور تانيوس يوناني".

"لا أظن أنها يجب أن تعود إليه، ما رأيك يا سيد بوارو؟ على أية حال، أعني، تقول إنها لن... إنها لا تريده حتى أن يعرف أين هي".

"هل الوضع بهذا السوء؟"

"أتصل دكتور تانيوس".

"ليس هناك أثر لزوجته؟"

"لا".

"إذن، هذا جيد".

"أشك".

"يا إلهي يا بوارو، لا تعتقد أنها سوف تقتل، أعتقد ذلك؟"

هز بوارو رأسه في شك.

تمتم قائلاً: "اعترف بأنني أود أن أعرف أين هي".

قلت له: "أوه، حسنًا، سوف تظهر".

"تفاؤلك المستمر يا هاستنجز لا يخيّب أبدًا في إسعادي".

"يا إلهي يا بوارو، لا تعتقد أنها سوف تأتي أشلاءً أو فاقدة الذاكرة في شاحنة".

قال بوارو بترؤ:

"أرى أن قلق دكتور تانيوس مبالغ فيه بعض الشيء، ليس أكثر. أول شيء علينا عمله هو مقابلة الآنسة لوسون".

"هل ستوضح لها الخطأ البسيط المتعلق بدبوس الزينة؟"

"بالطبع لا؛ فهذه التفاصيل الصغيرة ستظل محجوبة حتى تحين اللحظة المناسبة".

"إذن ماذا ستقول لها؟"

"سوف تسمعه بنفسك يا صديقي".

"مزيد من الأكاذيب على ما أظن؟"

"أحيانًا تسيء إليّ فعلًا يا هاستنجز؛ فأني شخص يسمعك يظن أنني أستمع بسرد الأكاذيب".

"أظنك كذلك — بل إنني متأكد من ذلك في الحقيقة".

"نعم، بسبب الطفلين. إنها خائفة للغاية أن يأخذها معه إلى سمينرنا. كم هي مسكينة! إنها في حالة يرثى لها بحق. أتعلم، ليس معها مال - ليس معها أي مال على الإطلاق. ولا تعرف إلى أين تذهب أو ماذا تفعل. تريد أن تحاول كسب قوتها، ولكن - كما تعلم يا سيد بوارو - الأمر ليس سهلاً كما قد يبدو. أنا أعرف ذلك. الأمر يختلف كثيراً عما إذا كانت مدبرة على عمل أي شيء".

"متى تركت زوجها؟"

"بالأمس. قضت ليلة البارحة في فندق صغير بالقرب من بادينجتون. وجاءتني لأنها لا تعرف أحداً غيري تذهب إليه. مسكينة!".

"وهل ستساعدنيها؟ سيكون ذلك كرمًا كبيرًا منك".

"حسنًا، في الواقع أشعر بأن هذا واجبني يا سيد بوارو. ولكن طبعًا، هذا صعب للغاية؛ فهذه الشقة صغيرة للغاية، وليست هناك غرف، كما أنني مشغولة للغاية".

"يا ممالك أن ترسلها للعيش في منزل ليتلجرين؟"

"أظن أن هذا الاحتمال ممكن، ولكن زوجها قد يفكر في ذلك. ولكنني حجزت لها غرفة في فندق ويلنجتون بشارع كوين. وهي تقيم هناك باسم السيدة بيتزر".

قال بوارو: "فهمت".

سكت للحظة ثم قال: "أريد أن أرى السيدة تانيوس. لقد جاءتني في منزلي بالأمس، ولكنني كنت في الخارج".

"أوه، هل هذا صحيح؟ لم تخبرني بذلك. سأخبرها بذلك، هل تريد ذلك؟"

"سأكون شاكرًا للغاية".

أسرعت الآتسة لوسون بالخروج من الغرفة. سمعنا صوتها وهي تقول:

"بيلا - بيلا - يا عزيزتي، هلاً آتيت لمقابلة السيد بوارو؟"

لم نسمع رد السيدة تانيوس، ولكن في غضون لحظة أو اثنتين، دخلت الغرفة.

صدمنا مظهرها للغاية. كانت هناك هالات سوداء أسفل عينيها، وكانت وجنتاها شاحبتين للغاية وتخلوان من أي لون، ولكن أكثر شيء أثار انتباهي

هو الخوف الشديد الذي كان واضحًا عليها. كانت تصاب بالذعر من أقل شيء يثيرها، وبدت كأنها تنصت جيدًا لكل شيء يقال حولها.

حياها بوارو بطريقة مواسية للغاية. تقدم إليها، وصافحها، وأحضر لها كرسيًا ووسادة. كان يتعامل مع السيدة الشاحبة، المذعورة، وكأنها ملكة.

"والآن يا سيدتي، دعينا نندرش قليلًا. لقد جئت لرؤيتي بالأمس على حد علمي؟".

أومأت برأسها.

"لقد ندمت كثيرًا أنني تركت المنزل".

"نعم - نعم، أتمنى لو كنت هناك أيضًا".

"جئت لتخبريني بشيء ما؟"

"نعم، أنا - أعني -".

"حسنًا، ها أنا ذا، في خدمتك".

لم تجبه السيدة تانيوس. جلست هادئة في مكانها، تعبت بخاتم في إصبعها.

"وبعد يا سيدتي؟"

هزت رأسها ببطء، وكأنها تكره أن تفعل ذلك.

قالت: "لا، لا أجزو".

"لا تجرئين على ماذا يا سيدتي؟"

"لا، أنا - إذا علم - سوف، يصيبي شيء ما".

"هيا، هيا يا سيدتي - هذا سخف".

"أوه، ولكن، هذا ليس سخفًا، ليس سخفًا على الإطلاق. أنت لا تعرفه..."

"أتعنين زوجك يا سيدتي؟"

"نعم، بالطبع".

التزم بوارو الصمت لحظة أو اثنتين، ثم قال:

"لقد جاءني زوجك بالأمس يا سيدتي".

ظهرت نظرة ذعر سريعة على وجهها.

"أوه، لا! لا تخبره — بالطبع لم تخبره! لا تستطيع. إنك لم تكن تعرف أين أنا. هل — هل قال إنني مجنونة؟"

أجاب بوارو بحذر شديد.

"قال إنك في حالة توتر عصبي شديد."

هزت رأسها، وكأن محاولته لم تنطَلِ عليها.

"لا، قال إنني مجنونة — أو إنني سأصاب بالجنون! إنه يريد أن يحبسني حتى لا أخبر أي شخص."

"تخبرين أي شخص — بماذا؟"

ولكنها هزت رأسها. وطمطقت أصابعها بشكل ينم عن توتر شديد، ثم تمتعت تقول:

"أنا خائفة..."

"ولكن يا سيدتي، بمجرد أن تخبريني — ستكونين في أمان! سيكون السر قد انكشف! وهذه الحقيقة سوف تحميك تلقائياً."

ولكنها لم تجبه. وتابعت العبث بخاتمها.

قال بوارو بلين: "جربي بنفسك."

تنهدت بعض الشيء وقالت:

"كيف لي أن أجرب... يا إلهي، هذا مروع؛ فهو يجد من يصدقه! كما أنه طبيب! سوف يصدقه الناس ويكذبونني. أعرف أنهم سيفعلون. أنا شخصياً كنت سأفعل ذلك. لن يصدقني أحد. وكيف لهم أن يصدقوني؟"

"أذن تعطيني مجرد فرصة؟"

رمقته بنظرة قلق.

"كيف أعرف؟ قد تكون في صفه."

"أنا لست في صف أحد يا سيدتي. أنا — دائماً — في صف الحقيقة."

قالت السيدة تانيوس بيأس: "لا أعرف. لا أعرف"، ثم بدأت في الحديث بسرعة، فخرجت الكلمات وكأنها تصطدم ببعضها البعض.

"كانت الحياة مروعة للغاية — منذ سنوات إلى الآن. رأيت أشياء تحدث مرة تلو الأخرى، ولم أستطع أن أنيس بينت شفة أو أن أفعل أي شيء، كل هذا بسبب الطفلين. كان كابوساً طويلاً. والآن حدث ذلك... ولكنني لن أعود إليه. لن أجعله يأخذ الطفلين! سأذهب إلى مكان لا يستطيع أن يجدني فيه. وميتي لوسون سوف تساعدني. لطالما كانت طيبة للغاية، طيبة جداً. لم يكن هناك أطيّب منها". توقفت عن الكلام ثم رمقت بوارو بنظرة سريعة وسألته:

"ما الذي قاله عني؟ هل قال إنني أعاني أوهاماً؟"

"قال يا سيدتي إنك تغيرت من ناحيته."

أومات برأسها.

"وقال إنني أعاني أوهاماً. قال ذلك، أليس كذلك؟"

"نعم يا سيدتي لكي أصدقك القول، قال ذلك."

"أرايت. هكذا سيبدو الأمر. وليس لدي دليل؛ ليس لدي دليل حقيقي."

تراجع بوارو للخلف على كرسيه، ثم تحدث بطريقة مختلفة تماماً.

تحدث بطريقة عملية ومباشرة، بنبرة رجال الأعمال، دون أن يحمل صوته أقل قدر من المشاعر، وكأنه يناقش مسألة جامدة متعلقة بشيء ما.

"هل تشكين أن لزوجك علاقة بموت الأنسة إميلي أرونديل؟"

جاء ردها سريعاً، تلقائياً للغاية، في لمح البصر:

"أنا لا أشك. أنا أعرف."

"إذن يا سيدتي، من واجبك أن تتحدثي."

"أها، ولكن الأمر ليس بهذه السهولة، لا، ليس بهذه السهولة". "كيف قتلها؟"

"لا أعرف بالضبط — ولكنه قتلها."

"ولكنك لا تعرفين الطريقة التي استخدمها؟"

"لا — إنها شيء — شيء فعله يوم الأحد الأخير."

"يوم الأحد الذي ذهب فيه لزيارتها؟"

"نعم".

"إذن - اسمحي لي - يا سيدتي، ما الذي يجعلك متأكدة إلى هذا الحد؟"

"لأنه - توقفت عن الكلام ثم قالت بتأن: أنا واثقة".

"عزراً يا سيدتي، ولكن هناك شيئاً تخفينه، شيئاً لم تخبريني به بعد؟"

"نعم".

"هيا، إذن، تكلمي".

وقفت بيلا تانيوس على نحو مفاجئ.

"لا، لا، لا أستطيع أن أفعل ذلك. الطفلان. والدهما. لا أستطيع، لا

أستطيع..."

"ولكن يا سيدتي -"

"لا أستطيع أن أخبرك".

ارتفع صوتها إلى حد الصراخ تقريباً. فانفتح الباب ودخلت الأنسة لوسون

متجهة برأسها لناحية واحدة بقدر من الإثارة لا يخلو من متعة.

"هل يمكنني أن أدخل؟ هل انتهيتما من حديثكما؟ عزيزتي بيلا، ألا تظنين أنه

من الأفضل أن تحتسي كوب شاي، أو بعض الحساء، أو ربما قليلاً من العصير؟"

هزت السيدة تانيوس رأسها بالنفي.

قالت بعدما رسمت على شفيتها ابتسامة ضعيفة: "أنا بخير تماماً. يجب أن

أعود إلى الطفلين. لقد تركتهما ليفرغا حقائبهما".

قالت الأنسة لوسون: "يا لهما من مسكينين، أنا مغرمة جداً بالطفلين".

التفتت السيدة تانيوس إليها فجأة وقالت لها:

"لا أعرف ماذا كنت سأفعل من دونك. لقد كنت غاية في الطيبة معي".

"أهدئي، أهدئي يا عزيزتي، لا تبكي. كل شيء سيكون على ما يرام. سوف

تأتين لمقابلة المحامي الخاص به. إنه رجل لطيف، متعاطف للغاية، وسوف

ينصحك بأفضل طريقة لتحصلي على الطلاق. لقد أصبح الطلاق سهلاً للغاية

هذه الأيام، أليس كذلك، الجميع يقول ذلك؟ أوه، يا إلهي! ها هو الجرس. ترى،

من الطارق".

غادرت الغرفة على عجل. وسمعنا تمة أصوات في الردهة، ثم ظهرت الأنسة لوسون من جديد، دخلت الغرفة وهي تسير على أطراف أصابعها، وأغلقت الباب من خلفها بعناية، ثم تحدثت بطريقة متفعله، بطريقة مبالغ فيها.

"أوه، إنه زوجك يا عزيزتي. أنا واثقة أنني لا أعرف -"

قفزت السيدة تانيوس ناحية الباب الموجود في الجهة المقابلة من الغرفة.

فأومات لها السيدة لوسون برأسها بقوة.

"هذا صحيح، اخرجي من هنا يا عزيزتي، ويمكنك أن تخرجي خلسة بعدما

أحضره إلى هنا".

قالت السيدة تانيوس هامسة:

"لا تقولي إنني كنت هنا. لا تقولي إنك رأيتني من الأساس".

"لا، لا، بالتأكيد لن أفعل".

تسللت السيدة تانيوس عبر الباب، وتبعتها أنا وباروارو على عجل. ووجدنا

أنفسنا في غرفة صغيرة للطعام.

خرج باروارو من الباب إلى الردهة، ثم فتحه قليلاً، واسترق السمع، ثم أشار

إلينا.

"كل شيء على ما يرام، لقد أخذته الأنسة لوسون إلى الغرفة الأخرى".

تسللنا عبر الردهة ومنها إلى الباب الخارجي، الذي أغلقه باروارو من خلفه

بحرص شديد لكي لا يحدث أي ضوضاء.

بدأت السيدة تانيوس في نزول درجات السلم، وكادت تتعثر ولكنها أمسكت

بالدرابزين، فمد لها باروارو يده وأمسكها.

"أهدئي، أهدئي. كل شيء بخير".

وصلنا إلى الردهة الموجودة في المدخل.

قالت السيدة تانيوس بطريقة يرثى لها: "تعال معي". كانت تبدو كأنها

ستسقط مغشياً عليها.

قال باروارو مطمئناً إياها: "بالطبع سأتي".

عبرنا الشارع، وأخذنا منعطفًا، فوجدنا أنفسنا في شارع كوين. كان فندق ويلنجتون فندقًا صغيرًا غير واضح، يحتوي على غرف متنوعة.

عندما دخلنا، غرقت السيدة تانيوس على أريكة يغطيها نسيج البلش. وضعت يدها على قلبها الذي كان ينبض بسرعة وقوة.

ربت بوارو كتفها مطمئنًا إياها.

"صحيح أن الحظ أسعدنا، ولكنك يجب أن تستمعي إليّ جيدًا يا سيدتي،" "لا أستطيع أن أخبرك بأي شيء أكثر من ذلك يا سيد بوارو. لن يكون ذلك صحيحًا. أنت - أنت تعرف ما أفكر فيه - وما أظنه به. قطعًا هذا يكفيك ويرضيك."

"لقد طلبت منك أن تستمعي يا سيدتي. لنفترض، مجرد افتراض، أنني أعرف بالفعل الحقائق المتعلقة بالقضية. لنفرض أنني خمنت بالفعل ما كنت ستقولينه لي - هذا سيحدث فارقًا، أليس كذلك؟"

نظرت إليه في ريبة. كانت عيناها مؤلمتين في حديثهما.

"أوه، صدقيني يا سيدتي، أنا لا أحاول أن أجعلك تقولين ما لا تودين قوله. ولكن هذا قد يحدث فارقًا - صحيح؟"

"أظن - أظن ذلك."

"حسنًا. إذن دعيني أحدث. أنا هيركيول بوارو، أعرف الحقيقة. ولن أطلب منك أن تتقبلي كلامي. ولكن خذي هذا." مده وأعطاها المظروف الكبير الذي رأيته يخلقه بإحكام صباح هذا اليوم. "كل الحقائق هنا. بعد أن تقرئها، إذا كانت ترضيك، فاتصلي بي. ستجدين رقمي في المظروف."

أخذت منه المظروف وكأنها تأخذه على مضض.

تابع بوارو كلامه بسرعة:

"والآن، نقطة أخيرة، يجب أن تتركي هذا الفندق على الفور."

"ولكن، لماذا؟"

"أذهبي إلى فندق كونيستون بالقرب من إيوستن. ولا تخبري أحدًا بمكانك."

"ولكن ميني لوسون لن تخبر زوجي بمكاني بالطبع."

"أعتقد ذلك؟"

"أوه، لا. إنها تقف في صفي تمامًا."

"نعم، ولكن زوجك يا سيدتي رجل ذكي للغاية. ولن يجد صعوبة في ضم سيدة في منتصف العمر إلى صفه. من المهم - مهم للغاية - ألا يعرف زوجك مكانك، أظنهمين."

أومأت برأسها دون أن تنبس ببنت شفة.

أعطاهما بوارو ورقة.

"ها هو العنوان. احزمي أمتعتك واذهبي إلى هناك مع الطفلين في أسرع وقت ممكن. أظنهمين؟"

أومأت برأسها.

"أفهم."

يجب أن تفكري في الطفلين يا سيدتي، لا في نفسك. أنت تحبين طفليك."

مس بوارو وترًا حساسًا لدهيا.

سرى لون بسيط في وجنتيها، واتكأت برأسها للخلف. لم تبد مدعورة وكادحة، وإنما بدت كأنها سيدة متغطرة حسنة الوجه تقريبًا.

قال بوارو: "اتفقنا إذن."

صافحها وغادرت معه. ولكننا لم نبتعد كثيرًا؛ فقد اتجهتا إلى مقهى مناسب، واحتسبنا القهوة وأخذنا نراقب مدخل الفندق. وفي غضون خمس دقائق، رأينا دكتور تانيوس يعبر الشارع، لم ينظر حتى إلى فندق ويلنجتون. عبر الشارع، حائثًا رأسه غارقًا في أفكاره، ثم نزل محطة قطار الأنفاق.

وبعد عشر دقائق، رأينا السيدة تانيوس والطفلين يركبون سيارة أجرة ومعهم أمتعتهم وينطلقون.

قال بوارو، ممسكًا فاتورة الحساب في يده: "حسنًا. لقد فعلنا واجبنا، ولم يعد أمامنا سوى الابتهاال إلى الله."

"أحب أن أتأكد من الحقائق الخاصة بي".

"أنت تتمتع بعقلية علمية".

"بإمكانني أن أقول إن كل التقارير التي كتبت عنك واحدة تقريباً. واضح أنك رجل ذكي، بارع في مهنتك، كما أنه معروف عنك أنك موسوس ولكنك نزيه".

تمتم بوارو قائلاً: "أنت مجامل للغاية".

"وهذا هو السبب الذي يجعلني عاجزاً عن تفسير علاقتك بهذا الأمر".

"رغم أنها بسيطة للغاية".

قال دونالدسون: "من الصعب قول ذلك؛ فقد قدمت نفسك في البداية باعتبارك كاتباً للسير الذاتية".

"خدعة صغيرة، ألا توافقني الرأي؟ فلا يمكن للمرء أن يذهب لكل مكان معلناً حقيقة عمله كمحقق؛ رغم أن لهذا الأمر فوائده في بعض الأحيان".

تحدث دونالدسون بطريقة جافة مرة أخرى: "أتفهم ذلك. ثم قمت بعد ذلك بزيارة للأنسة تريزا أرونديل وأقنعتها بأن وصية عمته من الممكن إبطالها".

اكتفى بوارو بحني رأسه موافقاً على ذلك.

تحدث دونالدسون بحدة وقال: "هذا سخيف بالطبع. أنت تعرف جيداً أن هذه الوصية صحيحة من الناحية القانونية، وأنه يستحيل عمل أي شيء حيالها".

"أتظن ذلك؟".

"أنا لست مغفلًا يا سيد بوارو...".

"لا يا دكتور دونالدسون، بالطبع لست مغفلًا".

"أنا أعرف شيئاً... لا أعرف الكثير، ولكنني أعرف ما يكفيني... عن القانون. من المستحيل إبطال هذه الوصية. لماذا تتظاهر بأن هذا الأمر ممكن؟ واضح أن لديك أسبابك الخاصة... أسبابك التي لا تعرفها الأنسة تريزا أرونديل".

"تبدو واقعًا للغاية من ردود أفعالها".

ارتسمت ابتسامة خفيفة جداً على وجه الشاب.

قال على نحو غير متوقع:

السابع والعشرون

زيارة من دكتور دونالدسون

وصل دونالدسون في موعده بالضبط في الساعة الثانية. كان هادئاً ودقيقاً كعادته.

بدأت شخصية دونالدسون في إشارة اهتمامي. كنت في البداية أعتبره شاباً يصعب وصفه. تساءلت في نفسي عما رأته فيه إنسانة جميلة، تنبض بالحياة مثل تريزا. ولكنني أدركت الآن أن دونالدسون ليس جديراً بالإهمال بأي حال من الأحوال. فطريقته العملية كانت تخفي وراءها قوة.

بعدما انتهينا من التحيات الأولية، قال دونالدسون:

"سبب زيارتي هو أنني لم أعد أفهم بالضبط علاقتك بهذا الأمر يا سيد بوارو".

أجاب بوارو بحذر:

"أظن أنك تعرف طبيعة عملي".

"بالتأكيد. كما أنني كلفت نفسي عناء السؤال عنك".

"أنت رجل حريص يا دكتور".

قال دونالدسون بطريقة جافة:

"أعرف الكثير عن تريزا أكثر مما تعرفه هي. وليس لدي أدنى شك في أنها وتشارلز يعتقدان أنهما استعانا بخدمائك في أمر مشبوه. تشارلز فاقد الأخلاق تقريباً. وتريزا ورثت صفات سيئة من أبويها، كما أن نشأتها كانت غير ملائمة." "لهذا السبب نتحدث عن خطيبتك وكأنها فأر تجارب؟"

أمعن دونالدسون النظر فيه عبر نظارته الأنفية.

"لا أرى سبباً لغض النظر عن الحقيقة. أنا أحب تريزا أرونديل، أحبها كما هي لا لأي شيء قد تتخيله."

"هل تعرف أن تريزا أرونديل مخلصه لك، وأن رغبتها في المال كانت في الأساس لكي تضمن لك طموحاتك؟"

"بالطبع أعرف ذلك. لقد قلت لك إنني لست مغفلًا. ولكنني لا أنوي أبداً أن أسمح لتريزا بأن تورط نفسها في أي عمل مشبوه من أجلي؛ فهي لا تزال طفلة. وأنا قادر تماماً أن أقدم في حياتي المهنية بجهودي ويساعدي. لا أقول إنني لم أكن لأقبل بنصيبها الكبير في التركة، بالطبع كنت سأقبله؛ فقد كانت ستختصر عليّ طريقاً طويلاً."

"في الواقع، أنت واثق بقدراتك الخاصة كثيراً."

قال دونالدسون بهدوء: "قد يبدو ذلك غروراً، ولكنني واثق بنفسي للغاية." "دعنا نتابع حديثنا إذن. أعترف بأنني فزت بثقة الأنسة تريزا عن طريق الخدمة. جعلتها تظن أنني سأستخدم، دعنا نقل طرقاً ملتوية، من أجل المال. وقد صدقت هذا الكلام بسهولة شديدة."

قال الطبيب الشاب: "تريزا تصدق أن أي شخص يمكنه أن يفعل أي شيء من أجل المال". كان يتحدث بنبرة عملية كالتي يستخدمها المرء عندما يقر حقيقة واضحة وضوح الشمس.

"هذا صحيح. تبدو كذلك فعلاً، وأخوها كذلك أيضاً."

"تشارلز قد يفعل أي شيء من أجل المال!"

"أرى أنك محق تماماً، بشأن صهرك المستقبلي."

"لا، لقد وجدته دراسة مثيرة. أظن أن المشكلة بسبب بعض الخلايا العصبية عميقة الجذور، ولكن هذا الأمر متعلق بعمل. لنعد لما كنا نتحدث فيه، لقد سألت نفسي لماذا تنصرف بالطريقة التي اتبعتها، ولم أجد إلا إجابة واحدة. واضح أنك تشك في أن تريزا أو تشارلز لهما يد في وفاة الأنسة أرونديل. لا، أرجوكم لا تعارضني! أظن أن ذكرك مسألة تشريح الجثة كانت مجرد طريقة لتري ردة فعلها. ولكن هل قمت بالفعل باتخاذ أي إجراءات فعلية للحصول على إذن من وزارة الداخلية بتشريح الجثة؟"

"سأكون صريحاً معك. حتى الآن، لم أفعل ذلك."

أوما دونالدسون برأسه.

"ظننت ذلك. أظن أنك فكرت في احتمال أن تكون وفاة الأنسة أرونديل حدثت بصورة طبيعية تماماً."

"فكرت في حقيقة أن الأمر قد يبدو كذلك - هذا صحيح."

"ولكنك توصلت لقناعة في قرارة نفسك؟"

"بكل تأكيد. إذا كانت لديك حالة - لنفترض أنها مرض السل - تبدو كذلك، وأعراضها كذلك، وعند تحليل الدم ثبت أنها كذلك - حسناً، سوف تتعامل معها باعتبارها مرض السل، أليس كذلك؟"

"أنت تنظر للأمر بهذه الطريقة؟ إذن ما الذي تنتظره تحديداً؟"

"أنا أنتظر الدليل الأخير."

رن جرس الهاتف. وبإشارة من بوارو نهضت من مكانها ورفعت السماعة، فحرفت الصوت على الفور.

"كابتين هاستنجز؟ معك السيدة تانيوس. هلا أخبرت السيد بوارو بأنه محق تماماً. أرجو أن يأتي هنا غداً في الساعة العاشرة صباحاً، وسوف أريه ما يريد."

"في الساعة العاشرة غداً؟"

"نعم."

"حسناً، سأخبره."

سألني بوارو بعينييه، فأومأت برأسي.

التفت إلى دونالدسون، كانت طريقته قد تغيرت، أصبحت سريعة، وواثقة.

قال له: "دعني أوضح نواياي. لقد شخصت هذه الحالة على أنها جريمة قتل، تبدو كأنها جريمة قتل، تحمل كل سمات جرائم القتل، إنها جريمة قتل فعلاً وليس لدي أدنى شك في ذلك".

"إذن أين يكمن الشك؛ لأنني أرى أنك تشك في شيء ما؟".

"الشك في هوية القاتل؛ ولكن هذا الشك لن يستمر طويلاً".

"حقاً؟ أتعرف؟".

"دعني أقل إنني سأحمل الدليل الدامغ في يدي غداً".

ارتفع حاجباً دكتور دونالدسون بطريقة ساخرة بعض الشيء، ثم قال:

"أها، غداً! أحياناً يكون الغد يا سيد بوارو بعيداً عنا".

قال له بوارو: "على العكس؛ فداثماً ما يأتيني الغد في موعده دوماً".

ابتسم دونالدسون، ثم وقف من جلسته.

"أخشى أن أكون قد أضعت وقتك يا سيد بوارو".

"على الإطلاق؛ فداثماً ما يكون من الجيد أن نفهم بعضنا البعض".

انحنى دكتور دونالدسون بعض الشيء، ثم غادر الغرفة.

الثامن والعشرون

ضحية أخرى

قال بوارو متأملاً: "إنه رجل ذكي".

"من الصعب أن تعرف ما يقصده".

"نعم، إنه فظ بعض الشيء، ولكنه فطن للغاية".

"كان هذا الاتصال من السيدة تانيوس".

"فهمت ذلك".

كررت له رسالتها، فأومأ بوارو برأسه.

"جيد، كل شيء يسير على ما يرام. أربع وعشرون ساعة يا هاستينجز، وأظن

أننا سنعرف بالضبط أين نحن".

"ما زلت حائراً بعض الشيء. فيمن تشك بالضبط؟".

"لا أستطيع أن أحدد بالضبط فيمن تشك يا هاستينجز! أظن أنك تشك في

كل واحد منهم على حدة".

"أحياناً أشعر بأنك تحب أن تجعلني في هذه الحالة!".

"لا، لا، أنا لا أسلي نفسي بهذه الطريقة".

"أخشى أن يحدث شيء ما".

هز بوارو رأسه، بعقل شارد بعض الشيء، ولكنني تفحصته جيدًا.

سألته: "هل هناك احتمال لحدوث شيء؟"

"صديقي، دائمًا ما أكون متوترًا قرب انتهاء أي قضية. إذا سار أي شيء على نحو خاطئ -

"هل هناك احتمال لأن يحدث خطأ ما؟"

"لا أظن ذلك". صمت وتجهم بعض الشيء، ثم أردف يقول: "أظن أنني اتخذت احتياطاتي".

"إذن افترض أننا أغفلنا جريمة وحدثت فعلاً؟"

"حقًا يا هاستنجز، إنها فكرة جيدة".

قضينا أمسية رائعة للغاية، رغم أنني ارتكبت خطأ بسيطًا باصطحابي بوارو إلى مسرحية أبطالها مجموعة من المحتالين. وهنا أحب أن أقدم نصيحة لكل قرائي، لا تأخذ جنديًا أبدًا إلى مسرحية عسكرية، أو بحارًا لمسرحية بحرية أبدًا، أو أسكتلنديًا لمسرحية أسكتلندية، أو محققًا لمسرحية بوليسية. ولا تصطحب أي ممثل لأي مسرحية مهما كانت؛ فوابل النقد الهدام الذي سيمطر بك به سيكون له أثر سلبي عليك للغاية. وبوارو لم يتوقف للحظة عن الشكوى من العيوب النفسية لكل الشخصيات، كما أن افتقار المحقق بطل المسرحية إلى التفكير المنظم والمنطقي جعله يفقد صوابه. افترقنا في تلك الليلة وبوارو لا يزال يفسر أن العمل برمته كان من الممكن أن يهدم من أساسه في النصف الأول من الفصل الأول للمسرحية.

قلت له: "ولكن في هذه الحالة يا بوارو، لن تكون هناك مسرحية".

اضطر بوارو لأن يعترف بأن الأمر ربما يكون كذلك.

دخلت غرفة الجلوس صباح اليوم التالي في التاسعة ووضعت دقائق. كان بوارو جالسًا على طاولة الإفطار، كعادته يفتح خطاباته.

رن جرس الهاتف فأجبت.

سمعت صوتًا نسائيًا منقطع النفس يتحدث:

"هل أنت السيد بوارو؟ أوه، أنت كابتن هاستنجز".

لغظت أنفاسها وهو تجهش بالبكاء.

سألته: "أنت الآتسة لوسون؟"

"نعم، نعم، حدث شيء مروع".

أمسكت سماعة الهاتف بقوة.

"وما هو؟"

لقد غادرت ولينجتون، أعني بيلا. ذهبت إليها في وقت متأخر بعد الظهرية بالأمس فقالوا إنها غادرت. دون حتى أن تترك كلمة لي! أمر غريب للغاية! وهذا يجعلني أشعر بأنه ربما يكون دكتور تانيوس محققًا. كان يتحدث بطريقة لطيفة للغاية عنها، كما أنه بدا تعيسًا للغاية، يبدو الآن أنه كان محققًا منذ البداية".

"ولكن ما الذي حدث يا آنسة لوسون؟ هل كل ما يزعجك أنها غادرت الفندق دون أن تخبرك بذلك؟"

"أوه، لا، الأمر ليس كذلك! أوه، يا إلهي لا. لو كان هذا كل ما في الأمر، لما كانت هناك مشكلة. رغم أنني أجد الأمر غريبًا. لقد قال دكتور تانيوس إنه كان يخشى أن تكون غير - غير - طبيعية. قال إنها تعاني جنون اضطهاد".

"نعم". (اللعنة عليك!) "ولكن ما الذي حدث؟"

"أوه، يا إلهي! الأمر مروع. توفيت في أثناء نومها، تناولت جرعة كبيرة من أقراص منومة. وهذان الطفلان المسكينان! الأمر كله يبدو حزينًا للغاية! لم أكف عن البكاء منذ سمعت الخبر".

"كيف وصلك الخبر؟ أخبريني".

من طرف عيني، لاحظت أن بوارو توقف عن فتح خطاباته. كان يستمع لما أقوله لها. لم أره أن أترك له مكاني وأعطيه السماعة. فلو فعلت لعادت الآتسة لوسون أغلب الظن إلى النواح من جديد.

"اتصلوا بي من الفندق. فندق يسمى كونستون. يبدو أنهم عثروا على اسمي وعنواني في حقيبتها. يا إلهي! سيد بوارو، أعني كابتن هاستنجز، أليس هذا مروعًا؟ فقد هذان الطفلان المسكينان أمهما".

قلت لها: "اسمعي، هل أنت واثقة بأنها حادثة؟ أليس هناك شك أن يكون انتحاراً؟"

"أوه، يا لها من فكرة مروعة يا كابتن هاستينجز! أوه، يا إلهي! لست أدري هل تظن أن هذا ممكن؟ سيكون هذا مروعاً. طبعاً كانت تبدو مكتنية للغاية ولكنها لم تكن بحاجة لأن تفعل ذلك - أعني أنه لم تكن هناك صعوبة بشأن المال. كنت سأقتسم معها المال؛ حقاً كنت سأفعل. كانت عزيزتي الآنسة أرونديل تتمنى ذلك. أنا واثقة من ذلك! من المروع أن أفكر أنها أنهت حياتها بيدها، ولكن لعلها لم تفعل... فالحالمون في الفندق يعتقدون أنه حادث؟"

"ماذا تناولت؟"

"نوعاً من الأقراص المنومة. أظن اسمه فيرنوال، لا كلورال. نعم، اسمه كلورال. أوه، يا إلهي! كابتن هاستينجز، ألا تعتقد -"

بدون أي تكلف وضعت سماعة الهاتف، والتفت إلى بوارو.

"السيدة تانيوس -"

رفع يده وقال.

"نعم، نعم، أعرف ما كنت ستقوله. إنها ماتت، أليس كذلك؟"

"نعم، تناولت جرعة كبيرة من أقراص منومة. كلورال."

نهض بوارو من مكانه.

"تعال يا هاستينجز. يجب أن نذهب إلى هناك على الفور."

"هل هذا ما كنت تخشاه الليلة الماضية؟ عندما قلت إنك دائماً ما تكون متوتراً قرب نهاية أي قضية؟"

"كنت أخشى وفاة أخرى - نعم."

كان وجه بوارو متجهماً وعابساً. لم نتحدث كثيراً ونحن في طريقنا إلى إيستون. هز بوارو رأسه مرة أو مرتين ونحن في طريقنا إلى هناك.

قلت له بخوف:

"ألا تعتقد - هل من الممكن أن تكون حادثة؟"

"لا يا هاستينجز، لا. لم تكن حادثة."

"كيف استطاع أن يعرف مكانها بحق السماء؟"

اكتفى بوارو بهز رأسه دون أن يجيب عن سؤالتي.

كان فندق كوينستون مكاناً بغضاً قريباً من محطة إيستون. ونجح بوارو - مستخدماً بطاقته، ويتصرف متمر صدر منه على نحو مفاجئ - في الوصول إلى مكتب المدير.

كانت الحقائق غاية في البساطة.

وصلت السيدة بيترز - كما سجلت اسمها - وطفلاها إلى الفندق في الثانية عشرة والنصف تقريباً. وتناولوا الغداء في الساعة الواحدة.

وفي الساعة الرابعة وصل رجل ومعه برقية إلى السيدة بيترز. فتم إرسال البرقية إليها في غرفتها. وبعد بضع لحظات نزلت ومعها الطفلان وحقيبة. ثم شادر الطفلان مع الزائر، واتجهت السيدة بيترز إلى مكتب الاستقبال وأبلغتهم بأنها تريد غرفة واحدة فقط.

لم يظهر عليها حزن أو انزعاج، بل بدت هادئة رابطة الجأش للغاية. وتناولت العشاء في حوالي الساعة والنصف، ثم اتجهت إلى غرفتها بعد ذلك بوقت قصير. وعندما اتجهت إليها الخادمة المسئولة عن الغرفة في الصباح، وجدتها ميتة.

تم استدعاء الطبيب وأعلن أنها توفيت منذ بضع ساعات. ووجدوا على الطاولة المجاورة لسريها كوباً فارغاً. بدا واضحاً تماماً أنها تناولت أقراصاً منومة. تناولت منها جرعة كبيرة عن طريق الخطأ. قال الطبيب إن هيدرات الكورال عقار له استخدام مزدوج. ليست هناك آثار انتحار؛ فلم تترك أي خطاب. وبالبحث عن طريقة لإبلاغ أقاربها، تم العثور على اسم وعنوان الآنسة لوسون، ولم الاتصال بها هاتفياً.

سأل بوارو عما إذا كانوا قد وجدوا أي خطابات أو أوراق معها. على سبيل المثال، البرقية التي أحضرها الرجل الذي اصطحب الطفلين.

أجابته الرجل بأنه لم يتم العثور على أي أوراق، ولكنه وجد كومة ورق محروق في المدفأة.

أوماً بوارو برأسه مستغرقاً في أفكاره.

كما يمكن لأي شخص أن يقول، لم تقابل السيدة بيترز أي زوار ولم يأت أي أحد إلى غرفتها، الاستثناء الوحيد كان لرجل جاءها ليصطحب الطفلين.

سألت الحمال بنفسه عن شكله، ولكن مواصفاته كانت غامضة للغاية. رجل متوسط الطول - يظن أنه ذو شعر فاتح - ذو بنية عسكرية - لا شيء واضح في وصفه. لا، قطعاً لم يكن ملتجئاً.

قلت لبوارو بصوت منخفض: "ليس تانيوس".

"عزيزي هاستينجز! هل تظن حقاً أن السيدة تانيوس بعد كل العناء الذي تحمّلته لكي تهرب بأطفالها من والدهم، سوف تسلمهما له بكل سهولة دون أي ضجة أو اعتراض؟ بالطبع لا".

"إذن، من هذا الرجل؟"

"واضح أنه شخص محل ثقة من السيدة تانيوس، وأنه شخص ثالث أرسله شخص محل ثقة من السيدة تانيوس".

فكرت قائلاً: "رجل متوسط الطول".

"لست بحاجة لأن تشغل بالك بمظهره يا هاستينجز. أنا واثق تماماً أن الرجل الذي اصطحب الطفلين شخصية غير مهمة على الإطلاق. الشخص الحقيقي أخفى نفسه وراء ستار".

"والبرقية كانت من هذا الشخص الثالث؟"

"نعم".

"شخص محل ثقة السيدة تانيوس؟"

"هذا واضح".

"والبرقية محروقة الآن؟"

"نعم، أمرت أن تفعل ذلك".

"ماذا عن ملف القضية الذي أعطيته إياها؟"

تجهم وجه بوارو بطريقة غريبة.

"هنا أيضاً تم حرقه. ولكن هذا غير مهم".

"لا؟"

"لا؛ فكل شيء موجود في رأس هيركيول بوارو".

شدني من ذراعي وهو يقول:

"تعال يا هاستينجز، هيا نغادر المكان؛ فالقتيل لا يشغلنا؛ وإنما من لا يزال

على قيد الحياة؛ فهو من يجب أن أتعامل معه".

نعم، لم يكن هناك شك في ذلك، فأحد هؤلاء الأشخاص قاتل! ولكن أيهم؟ حتى هذه اللحظة لم أكن متأكدًا منه.

تنحنح بوارو، بشيء من المباهاة كعادته - وبدأ في الحديث.

"لقد اجتمعنا هنا، أيها السيدات والسادة، لنحقق في مسألة موت إميلي أرونديل في الأول من مايو الماضي. هناك أربع احتمالات: أن تكون توفيت بشكل طبيعي، أو أن تكون توفيت جراء حادث، أو أن تكون قد انتحرت، أو أن تكون قد لقيت مصرعها على يد شخص معروف أو غير معروف.

لم يتم عمل أي تحقيق وقت وفاتها؛ نظرًا للاعتقاد بأنها توفيت لأسباب طبيعية، بعد أن قدم دكتور جرينجر شهادة طبية تثبت ذلك.

في أية قضية تثور فيها شكوك بعد دفن الشخص، من الطبيعي أن يتم تشريح جثة الشخص المتوفى. وهناك أسباب جعلتني لا ألتجأ إلى هذا الأمر. أهم هذه الأسباب هي أن موكلتي لم تكن تريد ذلك."

قاطعه دكتور دونالدسون بقوله:

"موكلتك؟"

التفت إليه بوارو قائلاً:

"نعم؛ الأنسة إميلي أرونديل. كنت أتصرف نيابة عنها؛ فقد كانت أهم أمثياتنا ألا تسبب أي فضائح."

سوف أتغاضى عن ذكر ملخص ما دار في الدقائق العشر الأولى؛ لأنها تضمنت الكثير من التكرار الذي لا طائل منه؛ فقد أخبر بوارو دكتور دونالدسون بالخطاب الذي تلقاه، وقرأه على المألا بصوت عال. ثم مضى يشرح الخطوات التي اتخذها عند قدومه إلى ماركيت بيسينج، واكتشافه سبب وقوع الحادث نتيجة له. ثم توقف عن الكلام، وتنحنح مرة أخرى، ثم أردف يقول:

"والآن، سوف أكشف لكم الحقيقة التي اكتشفناها لتعرفوا الحقيقة. سوف أجري إعادة تمثيل للحقائق المتعلقة بالقضية.

بداية، من الضروري أن نتخيل بالضبط ما دار في خلد الأنسة أرونديل. وأظن أن هذا الأمر غاية في السهولة. سقطت على السلاط، وكان من المعتقد أن هذه

التاسع والعشرون

تحقيق في منزل ليتلجرين

كان ذلك في الساعة الحادية من صباح اليوم التالي.

اجتمع سبعة أشخاص في منزل ليتلجرين.

وقف هيركيول بوارو بجوار المستوقد، وجلس تشارلز وتريزا على الأريكة؛ حيث جلس تشارلز مطوقًا أخته بذراعه. وجلس تانيوس على كرسي قديم الطراز. كانت عينااه محمرتين، وكان يضع رباطًا أسود حول ذراعه.

وعلى كرسي مستقيم بجوار طاولة مستديرة جلست صاحبة البيت؛ الأنسة لوسون. كانت هي الأخرى محمرة العينين. وكان شعرها غير مرتب أكثر من المعتاد. وجلس دكتور دونالدسون قبالة بوارو مباشرة، بوجه خالٍ من أية مشاعر تمامًا.

زاد اهتمامي وأنا أتحوّل بنظري في كل وجه على حدة.

طوال مرافقتي لهيركيول ساعدته في كثير من مثل هذه المواقف. مجموعة صغيرة من الأشخاص، جميعهم يظهر رباطة جأش يخفيها تحت قناع الأدب والتعذيب، كما رأيت بوارو وهو ينزع قناعًا من على أحد الوجوه ل يظهر الشخص على حقيقته - وجه القاتل!

خطابها - مراراً وتكراراً - أن أبقى الأمر محاطاً بأكبر قدر من السرية؛ لأن سمعة العائلة بالكامل كانت على المحك.

ومن وجهة نظر سيدة عجوز، أظن أن هذا يعني أنها كانت تشك في شخص يحمل اسمها، وعلى الأخص رجل.

"فلو كانت تشك في السيدة تانيوس لكانت حريصة تماماً على تأمين حياتها، ولما اهتمت كثيراً بسمعة العائلة. وكانت تشعر بالشيء نفسه حيال تريزا أرونديل، ولكن لم تشعر بالشيء نفسه حيال تشارلز.

فتشارلز يحمل اسم أرونديل. يحمل اسم عائلتها كما أن أسبابها للشك فيه كانت واضحة تماماً. بداية، كانت فكرتها صحيحة تماماً عن تشارلز؛ فقد أوشك على تلطيخ اسم العائلة من قبل. كانت تعرف أنه قد يقدم على الجريمة، ولكن أن يكون مجرمًا فعلياً زور اسمها من قبل على شيك. وبعد التزوير - خطوة خطوة - قتل!

كما أنها دخلت في حوار مع تشارلز قبل يومين من الحادث أوحى لها بذلك. طلب منها بعض المال فرفضت، ولهذا قال لها - بطريقته الساخرة بالطبع - إنها بذلك تعرض نفسها للضرب بالنار. فأجابته بأنها قادرة على أن تعتني بنفسها؛ وعلمت أن ابن أخيها رد عليها بقوله: "لا تكوني واثقة لهذه الدرجة". وبعد يومين من هذا الحوار وقع الحادث المشؤم.

كان من الصعب وهي طريحة الفراش أن تفكر في كل الأحداث التي مرت بها، فتوصلت الأنسة أرونديل إلى قناعة تامة بأن تشارلز أرونديل هو من حاول أن يودي بحياتها.

تسلسل الأحداث واضح تماماً، الحوار الذي دار بينها وبين تشارلز. الحادث. الخطاب الذي أرسلته لي وهي في حالة كبيرة من الحزن والضييق. ثم الخطاب الذي أرسلته إلى المحامي. وفي يوم الثلاثاء التالي الموافق الحادي والعشرين، أحضر السيد بيرفيس الوصية فوقعتها.

جاء تشارلز وتريزا أرونديل في العطلة الأسبوعية التالية، فأتخذت الأنسة أرونديل على الفور الخطوات اللازمة لتؤمن نفسها. فأخبرت تشارلز بالوصية.

الحادثة وقعت بسبب كرة الكلب، ولكنها تعرف الأسباب أكثر من أي شخص آخر. وبعدما استلقت على سريرها، استرجع عقلها الذكي والحصيف ظروف سقوطها، حتى توصلت لاستنتاج قاطع - وهو أن شخصاً ما حاول عن عمد أن يؤذيها؛ أو بالأحرى أن يقتلها.

من هذا الاستنتاج بدأت تفكر في الشخص الذي فعل ذلك. كان هناك سبعة أشخاص في المنزل: أربعة ضيوف، وجليستها وخادمتين. ومن بين هؤلاء الأشخاص السبعة لم تتمكن من تبرئة سوى شخص واحد تماماً، باعتبار أن هذا الشخص ليست لديه مصلحة في وفاتها. كما أنها لم تشك في الخادمتين حيث عاشت معهما سنوات عديدة، وتعرف أنهما مخلصتان لها. ولكن يبقى هناك أربعة أشخاص، ثلاثة منهم من لحمها ودمها، والرابع صهر لها. وكل واحد من الأشخاص الأربعة يستفيد من وفاتها؛ ثلاثة سيستفيدون استفادة مباشرة، والرابع سيستفيد استفادة غير مباشرة.

كانت في موقف عصيب باعتبارها سيدة تُكنُّ مشاعر قوية لعائلتها. كما أنها لم تكن تمنى أن تنشر مشاكلها على الملأ، كما نقول. على الصعيد الآخر، لم يكن من السهل عليها أن تعترف بكل بساطة بمحاولة قتلها!

لذلك اتخذت قرارها بمراسلتي. كما اتخذت خطوة أخرى. شجعها على هذه الخطوة كما أظن سيبان: أحدهما على ما أظن إحساس واضح بالفضيحة كُتِّه لعائلتها بالكامل! كانت تشك في الجميع دون أن تنحاز لأحد على حساب الآخر، كما أنها كانت مصرة على ألا يأتي ذلك على حساب أي شخص مهما كان الثمن! أما الدافع الثاني والأهم فهو رغبتي في أن تحمي نفسها حتى تتمكن من التوصل لمعرفة السبيل لذلك. وكما تعرفون، أرسلت إلى محاميها السيد بيرفيس، وطلبت منه أن يكتب لها وصية لصالح الشخص الوحيد الموجود في المنزل الذي كانت مقتنعة تمام الاقتناع بأنه ليست له أي يد في الحادث الذي مرت به.

يمكنني أن أقول الآن إنه من واقع خطابها لي ومن التصرّفات التالية التي اتخذتها، أنا مقتنعة تماماً بأن الأنسة أرونديل تجاوزت مرحلة الشك المبهم في أربعة أشخاص، إلى شك مقصور على شخص واحد فقط منهم. وقد أكدت لي في

ولم تكف بالكلام فقط، بل إنها أرته إياها فعلاً! وأنا شخصياً أرى في ذلك دليلاً قاطعاً. أوضحت لقاتل محتمل أن القتل لن يجعله يحصل على أي شيء!

أغلب الظن أنها فكرت أن تشارلز سوف يمرر هذه المعلومات لأخته. ولكنه لم يفعل ذلك. لماذا. أتصور أنه فعل ذلك لسبب وجيه جداً؛ وهو شعوره بالذنب! فقد كان يرى أن تغيير الوصية هو ما جناه مما زرعه يده. ولكن لماذا شعر بالذنب؟ هل لأنه حاول قتلها فعلاً، أم لأنه مد يده فعلاً على مبلغ قليل من المال؟ قد تكون الجريمة الكبيرة، أو التافهة هي المسئولة عن عدم رغبته في أن يخبر أخته بما حدث. فلم يبنس ببنت شفة أماً! أن تعود عمته في قرارها وتغير رأيها.

وفيما يتعلق بالحالة الذهنية للأنسة أرونديل، أشعر بأنني أعدت تمثيل الأحداث بقدر كبير من الصحة. فأصبح عليّ أن أتخذ قراراً بشأن ما إذا كانت شكوكها لها ما يبررها بالفعل أم لا.

تماماً مثلما فعلت، أدركت أن شكوكي كانت مقصورة على دائرة صغيرة، سبعة أشخاص تحريماً للدفعة؛ تشارلز وتريزا أرونديل، دكتور تانيوس والسيدة تانيوس، واثنين من الخدم والأنسة لوسون. كما يجب أن نضع في اعتبارنا شخصاً ثامناً ألا وهو دكتور دونالدسون الذي تناول العشاء هنا في تلك الليلة، ولكنني لم أعلم بحضوره إلا في وقت لاحق.

هؤلاء الأشخاص السبعة الذين فكرت فيهم يمكن تقسيمهم بكل سهولة إلى فئتين: ستة منهم مستفيدون بدرجة كبيرة أو صغيرة من وفاة الأنسة أرونديل. وإذا ارتكب أي من هؤلاء الأشخاص الستة الجريمة فالسبب على الأرجح هو الكسب. أما الفئة الثانية فاشتملت على شخص واحد فقط؛ وهو الأنسة لوسون. فالأنسة لوسون لم تكن ستستفيد من وفاة الأنسة أرونديل، ولكن نتيجة للحادث، استفادت منه إلى حد كبير في وقت لاحق!

وهذا يعني أن الأنسة لوسون إذا كانت قد خططت لما وصفتهم به بالحادث ..

قاطعتها الأنسة لوسون قائلة: "لم أفعل شيئاً من هذا القبيل من قبل! هذا مشين! عار عليك أن تقف هناك وتقول شيئاً كهذا!"

قال بوارو: "قليل من الصبر يا آنسة. أرجو ألا تقاطعيني من فضلك".

أرجعت الأنسة لوسون رأسها للخلف في غضب.

"أنا مصرة على أن أعترض! هذا مشين! مشين!"

تابع بوارو كلامه غير مكرث بها.

"كنت أقول إنه إذا كانت الأنسة لوسون خططت لهذا الحادث لسبب مختلف تماماً؛ وهو أن تثير الشك في قلب الأنسة أرونديل تجاه عائلتها بصورة طبيعية وتبتعد عنهم، فهذا احتمال! تقصيت لأرى ما إذا كان هناك أي دليل على هذا الاحتمال فتوصلت لحقيقة واحدة قاطعة .. وهي أن الأنسة لوسون لو أرادت للأنسة أرونديل أن تشك في عائلتها، لأكدت حقيقة وجود الكلب بوب في الخارج طوال الليل. ولكنها على العكس، أخفت هذا الأمر عن الأنسة أرونديل تماماً لكي لا تعرف بذلك. لهذا توصلت لأن الأنسة لوسون بريئة تماماً".

قالت الأنسة لوسون بحدة:

"أمل ذلك!"

"بعد ذلك فكرت في مشكلة وفاة الأنسة أرونديل. إذا حاول شخص ما قتل شخص، فعادة ما يحاول ذلك مرة أخرى. واثباتي شك كبير إزاء وفاة الأنسة أرونديل في غضون أسبوعين من المحاولة الأولى لقتلها. فبدأت في إجراء تحرياتي.

لم يشعر دكتور جرينجر بأن هناك شيئاً غير طبيعي في وفاة مريضته. بل على العكس حاول أن يثني عن هذه الفكرة. ولكن بالتحقيق في الأحداث التي جرت في الليلة الأخيرة قبل مرضها، توصلت لحقيقة مهمة؛ فقد تحدثت الأنسة إيزابيل تريب عن وجود هالة من نور أحاطت برأس الأنسة أرونديل، وأكدت أختها ذلك. من الممكن بالطبع أن يكونا اخترعا ذلك .. بروح رومانسية .. ولكن من غير المحتمل أن تكون هذه الظاهرة من نسج خيالهما وألا يكون لها أي أساس من الصحة. وعندما سألت الأنسة لوسون، أعطتني معلومة مهمة أيضاً؛ فقد تحدثت عن خروج شريط منير من فم الأنسة لوسون شكل هالة منيرة حول رأسها.

من الواضح أن الحقيقة الفعلية واحدة، رغم اختلاف الوصف ممن شهدوا الواقعة. ولكن ما حدث، وكانت له أهمية روحية، هو أن الأنسة أرونديل في هذه الليلة كانت متفسرة!"

تلمل دكتور دونالدسون بعض الشيء في جلسته.
أوما له يوارو برأسه.

"نعم، بدأت تفهم ما حدث. ليس هناك كثير من المواد الفوسفورية. ولكن أولهم وأكثرهم شيوعاً أعطاني بالضبط ما كنت أبحث عنه. سوف أقرأ عليكم مقتبساً قصيراً من مقالة عن التسمم بالفسفور.

قد يكون نفس الشخص متفسراً قبل أن يشعر بأي شيء على الإطلاق. وهذا هو ما رأيته الأنسة لوسون والأختان تريبي في الظلام: نفس الأنسة أرونديل المتفسرة: "الهالة المنيرة". وسوف أقرأ عليكم باقي الأعراض. تعرب الصفراء عن نفسها بعد ذلك، وقد لا يظهر أن الجسم واقع تحت تأثير مادة الفسفور السامة، وإنما أنه يعاني انحباس العصارة الصفراوية في الدم، وحتى هذا الحد، لا يكون هناك أي فارق واضح بين التسمم بالفسفور وأي مرض في الكبد - مثل الضمور الأصفر.

أرأيت الذكاء؟ كانت الأنسة أرونديل تعاني مشاكل في الكبد منذ سنوات. مما يجعل أعراض التسمم بالفسفور لا تختلف كثيراً عن أي نوبة من النوبات التي كانت تمر بها. لن يحدث شيء جديد، لن يحدث شيء غريب.

أود أن كانت خطة ممتازة وليس من الصعب الحصول على الفسفور، جرعة بسيطة منه كفيلة بأن تقتلها. الجرعة الطبية هي ١٠٠/١ إلى ٣٠/١ منه.

أرايتم، كيف أصبح الأمر كله واضحاً؟ من الطبيعي أن يتخد أي طبيب، خاصة أنني اكتشفت أن حاسة الشم ضعيفة لديه، رائحة الثوم في النفس عرض معروف للتسمم بالفسفور. لم تساوره أي شكوك، ولماذا يساوره الشك ولم يحدث أي شيء يثير الشك بداخله، والشيء الوحيد الذي قد يعطيه لمحة عن ذلك لم يسمع به من قبل، وحتى لو كان سمع به لما تصور أنه يعني أي شيء سوى أنه مجرد هراء مرتبط بالجلسات الروحية.

أصبحت واثقاً الآن (من دليل الأنسة لوسون والأختين تريبي) من وقوع جريمة قتل. ولكن يبقى السؤال عن القاتل؟ استبعدت الخادمتين؛ فعقليتهما لن تهديهما لجريمة كهذه. واستبعدت الأنسة لوسون لأنها لم تكن ستحدث عن التجسد المثير لو كانت لها علاقة بهذه الجريمة. واستبعدت تشارلز أرونديل لأنه كان يعرف - بعدما رأى الوصية - أنه لن يجني أي شيء من وفاة عمته.

يبقى لدينا أخته تريزا، ودكتور تانيوس، والسيدة تانيوس ودكتور دونالدسون الذين علمت أنهم تناولوا العشاء في المنزل ليلة حادثة كرة الكلب.

عند هذا الحد لم يبق لدي كثير من الحقائق لتساعدني على اكتشاف القاتل. فكان علي أن أعمد على سيكولوجية الجريمة وشخصية القاتل؛ كلتا الجريمتين لها الملامح نفسها تقريباً. كلتاها بسيطة. كلتاها ذكية تم عملها ببراعة كبيرة. كلتاها تتطلب درجة من المعرفة ولكن ليست درجة كبيرة. فالحقائق المتعلقة بالتسمم بالفسفور من السهل معرفتها، والمادة نفسها - كما قلت - من السهل الحصول عليها، خاصة من الخارج.

فكرت في البداية في الرجلين. كلاهما طبيب، كلاهما ذكي. أي واحد منهما يمكنه أن يفكر في الفسفور ومدى مناسبته لهذه الحالة، ولكن حادثة كرة الكلب لا تتناسب مع عقل ذكوري. حادثة الكرة بدت لي من تخطيط سيدة.

فكرت في البداية في تريزا أرونديل. تتمتع ببعض الإمكانيات؛ فهي جريئة، قاسية، ليست فوق الشبهات؛ فحياتها أنانية وجشعة. ولطالما كانت تحصل على كل ما تريده، كما أنها وصلت إلى حد يجعلها في عوز شديد للمال؛ من أجلها وأيضاً من أجل الرجل الذي تحبه. كما أن تصرفاتها كانت تظهر بوضوح أنها تعرف أن عمته قتلت.

اللذيذ في الأمر أنه كان هناك رابط صغير بينها وبين أخيها. فهمت أن كلا منهما كان يشك في أن الآخر ارتكب الجريمة. حاول تشارلز أن يجعلها تقول إنها كانت تعرف بوجود الوصية الجديدة. لماذا؟ واضح طبعاً أنها لو كانت تعرف بها فليس من المعقول الشك في أنها ارتكبت الجريمة. وهي على الصعيد الآخر لم تصدق كلام تشارلز أن الأنسة أرونديل أرته الوصية؛ كانت تعتبر ذلك محاولة خرقاء من جانبه ليبعد الشكوك عنه.

هناك نقطة أخرى مهمة. لم يرد تشارلز أن يستخدم كلمة زربخ. واكتشفت بعد ذلك أنه سأل البستاني العجوز بالتفصيل عن مدى تأثير إحدى المواد القاتلة للحشائش. واضح أن الأمر كان يدور في عقله.

تلمل تشارلز أرونديل في جلسته.

قال: "فكرت في ذلك. ولكن حسناً، أظن أنني لم أملك الشجاعة لأفعل".

أوماً له بوارو.

"بالضبط، فهذا بعيد عن شخصيتك؛ فجرائمك دائماً ما تكون جرائم تنم عن ضعف - أن تسرق، تزور، هذا ممكن، وغاية في السهولة، وإنما أن تقتل؛ لا! فالقتل يحتاج إلى عقلية مهووسة بالفكرة".

ثم واصل حديثه وكأنه يلقي محاضرة.

"وجدت تريزا أرونديل تملك القوة الذهنية الكافية لتتفكر فكرة كهذا، ولكن كانت هناك حقائق أخرى يجب وضعها في الاعتبار. لم تخب آمالها من قبل أبداً. عاشت حياة كاملة وأنانية، ولكن هذا النوع من الشخصيات لا يقدم على القتل - إلا في حالة وجود خطر مفاجئ. ولكنني شعرت بأن تريزا أرونديل هي من أخذت قاتل الحشائش من العبوة".

تحدثت تريزا على الفور وقالت:

"سوف أخبرك بالحقيقة. فكرت في ذلك، بل إنني أخذت فعلاً بعض المواد القاتلة للحشائش الضارة من عبوة موجودة في المنزل. ولكنني لم أستطع أن أفعل! فأنا أحب الحياة - أحب العيش - ولا أستطيع أن أفعل ذلك مع أي شخص؛ أنزع منه الحياة... قد أكون سيئة وأنانية، ولكن هناك أموراً لا أستطيع القيام بها! لا أستطيع أن أقتل إنساناً على قيد الحياة!"

أوماً بوارو برأسه.

"لا، هذا صحيح؟ لست بدرجة السوء التي تظهرين نفسك بها بمساحيق التجميل التي تضعينها، يا أنسة. كل ما هنالك أنك شابة صغيرة ومتهورة".

ثم أردف يقول:

"تبقى لدينا السيدة تانيوس. بمجرد أن رأيتهما أدركت أنها خائفة. وعلمت هي أنني أعرف ذلك، واستغلت هذا الأمر بأقصى سرعة ممكنة. أعطتني صورة مقنعة للغاية لسيدة خائفة على زوجها. وبعد وقت لا حاق غيرت خطتها. فعلت ذلك بذكاء شديد، ولكن هذا التغيير لم ينطلي عليّ؛ فأني سيدة إما أن تخاف على زوجها، أو أن تخاف منه؛ ولكن من المستحيل أن تفعل الأمرين؛ فقررت السيدة تانيوس أن تلعب الدور الثاني، وقد لعبت دورها بذكاء، حتى عندما خرجت خلفي إلى الردهة

في الفندق وتظاهرت بأن هناك ما تود إخباري به. وعندما تعقبها زوجها وكانت تعرف أنه سيفعل، تظاهرت بأنها لا تستطيع أن تتحدث أمامه.

أدركت على الفور أنها لا تخشى زوجها، ولكنها لا تحبه؛ ففهمت الأمر على الفور. أصبحت مقتنعة بأن هذه بالضبط هي الشخصية التي أبحث عنها. لدينا سيدة لم تنغمس يوماً في ملذاتها وشهواتها، ولكن آمالها خابت دوماً. فتاة بسيطة، تعيش حياة كئيبة، غير قادرة على جذب الرجال الذين تحب أن تجذبهم إليهم، حتى قبلت أخيراً رجل لم تكن تهتم لأمره، فضلت الزواج منه بدلاً من أن تظل سيدة عجوزاً وحيدة. أستطيع أن أنفهم عدم رضاها المتزايد عن حياتها، حياتها في سмирنا أبعدتها عن كل ما أحبت في حياتها. ثم ولادة طفلها وارتباطها العاطفي بهما.

كان زوجها مخلصاً لها، ولكنها أخفت عدم حبها المتزايد له سرّاً. كان يضارب بأموالها ويخسرهما، وهو سبب آخر يجعلها تكن له الضغينة.

شيء وحيد كان يثير حياتها الرتيبة المملة، وهو انتظار وفاة عمته. بعد ذلك سوف تتمتع بالمال والاستقلالية، والسبيل لتعليم طفلها كما تمنّت، مع الوضع في الاعتبار أن التعليم يعني لها الكثير، وهي ابنة الأستاذ الجامعي!

لعلها خططت للجريمة بنفسها، أو خطرت الفكرة على بالها قبل أن تأتي إلى إنجلترا. ولديها معرفة بسيطة بالكيمياء؛ فقد كانت تساعد والدها في العمل. كانت تعرف طبيعة شكوى الأنسة أرونديل، وكانت تعرف جيداً أن الفسفور سيكون مادة مناسبة لهدفها.

ثم جاءت إلى منزل ليتلجرين، فخطرت على بالها فكرة أبسط. كرة الكلب؛ مجرد شد خيط أعلى السلا لم سيغي بالغرض. فكرة نسائية بسيطة وذكية.

أجرت محاولتها، وفشلت. ولا أعتقد أنه كانت لديها أي فكرة أن الأنسة أرونديل كانت تعرف حقيقة الأمر؛ فقد كانت شكوك الأنسة أرونديل متجهة بالكامل إلى تشارلز. أشك في أن تعاملها مع بيلا تغير بأي شكل. وهكذا، بهدوء وإصرار، نفذت هذه السيدة المستقلة، التعيسة الطموح خطتها الأساسية، بعض الكابسولات التي اعتادت الأنسة أرونديل تناولها بعد الوجبات. فتحت كبسولة، ووضعت بعض الفسفور بداخلها وأغلقتها مرة أخرى.

"وضعت الكيسولة بين غيرها من الكيسولات. وعاجلاً أم آجلاً سوف تتناولها الآنسة أرونديل. ولن يشك أحد في أنها تسممت. وحتى لو حدث ذلك، وهو أمر غير محتمل الحدوث، فسوف تكون في مكان ما بعيد عن ماركيت بيسينج.

إلا أنها اتخذت احتياضاً واحداً؛ فقد أخذت جرعة مضاعفة من الكلورال المخفف من الصيدلي، بعد أن زورت اسم زوجها على وصفة الطبيب. لم يساورني شك في السبب الذي دفعها لذلك، وهو أن تبقي نفسها في مأمن إذا سارت الأمور بشكل خاطئ.

كما قلت، كنت مقتنعاً من اللحظة الأولى التي رأيت فيها السيدة تانيوس بأنها الشخص الذي كنت أبحث عنه، ولكن لم يكن لدي أي دليل على ذلك. فكان علي أن أواصل بحثي بحذر. فلو علمت السيدة تانيوس أنني أشك فيها، قد تقدم على جريمة أخرى. الأكثر من ذلك أن فكرة هذه الجريمة خطرت على بالها بالفعل. فأمنية حياتها أن تتحرر من زوجها.

بعد ما باعت جريمتها الأساسية بالفشل، آل كل المال - المال الرائع المسمم - إلى الآنسة لوسون! كانت فاجعة كبيرة، ولكنها عملت بكفاءة شديدة. بدأت في العمل على ضمير الآنسة لوسون، الذي أعلم أنه لم يكن مرتاحاً تماماً". وفجأة، بدأت الآنسة لوسون تنتهد وأجهشت بالبكاء، ثم أخرجت مندبلاً وقالت وهي تبتكي:

"هذا مروع. لقد كنت شريرة! شريرة للغاية. كنت قلقة بشأن الوصية؛ تساءلت في نفسي عن السبب الذي دفع الآنسة أرونديل لكتابة وصية جديدة. وذات يوم، بينما كانت الآنسة أرونديل ترتاح، نجحت في أن أفتح درج المكتب، فوجدت أنها كتبت كل أموالها لي! بالطبع لم أحلم بشيء كهذا أبداً. كل ما فكرت فيه هو بضعة آلاف، هذا هو كل ما فكرت فيه. ولم لا؟ أقاربها لم يهتموا بها أبداً! ولكن عندئذ عندما مرضت بشدة وطلبت الوصية. علمت؛ كنت موقنة أنها سوف تتخلص منها... وهنا أظهرت الجانب الشرير من شخصيتي. قلت لها إنها أرسلتها إلى السيد بيرفيس. وكانت عزيزتي المسكينة شديدة النسيان. لم تكن تتذكر أين تضع أشياءها. فصدقني، وقالت إنني يجب أن أرسله، فقلت لها إنني سأفعل.

أوه، يا إلهي! أوه، يا إلهي! ثم ازدادت حالتها سوءاً ولم أستطع أن أفكر في أي شيء. وتوفيت، وآلت كل أموالها إليّ، شعرت بإحساس مروع. ثلاثمائة وخمسة وسبعون ألف جنيه. لم أحلم أبداً ولا للحظة بأن شيئاً كهذا سيحدث.

ولكنني شعرت بأنني اختلست المال، ولم أعرف ماذا أفعل. وذات يوم، جاءتني بيللا وأخبرتها بأنني سوف أعطيها نصف المبلغ. كنت واثقة بأنني سأشعر بالسعادة من جديد".

قال بوارو: "أرايت؟ نجحت السيدة تانيوس في هدفها. لهذا السبب عارضت بشدة أي محاولة للطعن في الوصية. كانت لديها خططها الخاصة وكان آخر شيء تريده هو أن تعادي السيدة لوسون. تظاهرت بالطبع بأنها تستجيب لرغبات زوجها، ولكنها أوضحت مشاعرها الحقيقية.

كان لديها في ذلك الوقت هدفان: أن تبعد نفسها وطفليها عن دكتور تانيوس، وأن تحظى بنصيبها من المال. عندئذ ستحصل على ما أرادته؛ حياة مرفهة ثرية في إنجلترا مع طفليها.

مع مرور الوقت، لم تستطع أن تخفي كرهها لزوجها. بل إنها في واقع الأمر لم تحاول أن تفعل. أما الرجل المسكين فكان مستاءً ومحبطاً للغاية. فبذل له تصرفاتها بالطبع غير مفهومة أبداً. ولكنها كانت منطقية تماماً. كانت تلعب دور السيدة التي أكرهت على فعل ما لا تريد. إذا ساورتني الشكوك، وكانت واثقة أن الوضع كذلك - كانت تريدني أن أعتقد أن زوجها هو من ارتكب جريمة القتل. وفي أي لحظة سوف تحدث الجريمة الثانية التي أعلم أنها خططت لها في عقلها. كنت أعرف أن لديها جرعة مميتة من الكلورال في حوزتها. وخشيت أن تتظاهر بإقدامه على الانتحار واعترافه بكل شيء.

رغم ذلك لم يكن لدي أي دليل ضدها! وبعد ما أصابني اليأس، عملت شيئاً أخيراً! فقد أخبرتني الآنسة لوسون بأنها رأت تريزا أرونديل جاثية على السلاالم ليلة الاثنين. واكتشفت على الفور أن الآنسة لوسون لم يكن بإمكانها أن ترى تريزا أرونديل بوضوح لكي تحدد ملامحها. ولكنها كانت محقة في ما تعرفت عليه، وعندما ضغطت عليها ذكرت أنها كانت تضع دبوس زينة عليه الأحرف الأولى لاسمها ت. أ.

"ولكن هذا كان مجرد إجراء مؤقت. كان عليّ أن أتأكد أن القاتل لن يقبل على أي جريمة أخرى. كان عليّ أن أؤمن سلامه البريء.

لذلك كتبت رؤيتي للقضية وسلمتها إلى السيدة تانيوس".

سادت فترة طويلة من الصمت.

صاح دكتور تانيوس:

"أوه، يا إلهي! ألهذا السبب قتلت نفسها."

قال بوارو بلطف:

"ألم تكن أفضل طريقة؟ فكرت في ذلك. كانت تفكر في طفلها".

دفن دكتور تانيوس وجهه بين كفيه.

اقترب بوارو ناحيته ووضع يده على كتفه.

"كان هذا الأمر ضروريًا. صدقني كان ضروريًا. كان من الممكن أن تحدث المزيد من الوفيات. أولاً أنت، مثلما كان من الممكن. في ظروف معينة، أن يأتي الدور على الأنسة لوسون، وهكذا".

ثم توقف عن الكلام.

بصوت ضعيف قال دكتور تانيوس:

"لقد أردت، أردتني أن أخذ قرصاً منوماً ذات ليلة... كان هناك شيء في رأسها، ولكنني رميت القرص. وهنا بدأت في الاعتقاد أنها فقدت عقلها..."

"أظن ذلك. وهذا صحيح إلى حد ما. ولكنه ليس صحيحاً من الناحية القانونية. كانت تعرف معنى تصرفها..."

قال دكتور تانيوس بحزن:

"لطالما كانت أفضل مني بكثير".

كانت عبارة غريبة لثناء قاتلة اعترفت على نفسها!

بناءً على طلبي أرثني الأنسة تريزا أرونديل دبوس الزينة. وأنكرت في الوقت نفسه وقوفها على السلام في الوقت المذكور. تصورت في البداية أن شخصاً آخر استعار منها الدبوس، ولكنني عندما نظرت إليه في المرة اتضحت لي الحقيقة. وهي أن الأنسة لوسون عندما استيقظت رأت شخصاً غامضاً يحمل دبوس زينة مكتوباً عليه حرفي ت. أ؛ فاستنتجت على الفور أنها تريزا أرونديل.

ولكن إذا كانت المرأة عكست حرفي ت. أ؛ يصبح ترتيبهما الحقيقي هو أ. ت، بما أن المرأة ستعكس ترتيب الأحرف.

بالطبع! والدة السيدة تانيوس هي أرابيلا أرونديل. وببلا هو الاسم المختصر. والحرفان أ. ت. اختصار لاسم أرابيلا تانيوس. وليس غريباً أن يكون لدى السيدة تانيوس دبوس زينة مماثل؛ فقد كان مسابراً للموضة في احتفالات رأس العام الماضي، ولكنه انتشر بعد ذلك في كل مكان، ولاحظت بالفعل أن السيدة تانيوس تقلد ابنة خالتها في ملابسها وقبعاتها طالما أن بإمكانها تحمل تكلفتها الزهيدة.

علمت أنني حللت اللغز وأن القضية كشفت أخيراً.

الآن؛ ما الذي عليّ عمله؟ هل أحضر أمراً من وزارة الداخلية بتشريح الجثة؟ قطعاً يمكنني تدبر هذا الأمر. وقد أثبت أن الأنسة أرونديل تسمت بالفسفور رغم وجود قدر بسيط من الشك في ذلك. لقد دفنت الجثة منذ شهرين، وأعلم أنه كانت هناك حالات تسمم بالفسفور رغم عدم حدوث أي ضرر، وأنه بعد فحص الجثة بعد الوفاة لم يثبت أي شيء. وحتى في هذه الحالة، هل يمكنني أن أربط بين السيدة تانيوس وشراء الفسفور أو الحصول عليه؟ أمر صعب؛ نظراً لأنها اشترته على الأرجح من الخارج.

عند هذه النقطة، قامت السيدة تانيوس بإجراء حاسم. تركت زوجها، وألقت نفسها على الأنسة لوسون لتفوز بتعاطفها. كما أنها اتهمت زوجها بالقتل.

كنت مقتنعاً بأنه سوف يكون ضحيتها التالية إذا لم أتخذ أي إجراء. أخذت خطوات لأبعدهما عن بعضهما البعض وادعيت أن هذا لسلامتها؛ فلم تستطع أن تعارض هذا الأمر. ولكنني بحق كنت حريصاً على سلامته هو. وبعد ذلك — وبعد ذلك. "توقف عن الكلام؛ فترة طويلة. وشحب لون وجهه.

الثلاثون

كلمة أخيرة

لم يعد لدي الكثير لأرويّه.

تزوجت تريزا من طبيبها بعد ذلك بفترة قصيرة. أصبحت أعرّفهما جيداً الآن، كما أصبحت أقدر وأحترم دكتور دونالدسون، أحترم وضوح رؤيته وعمق تفكيره، وقوته الداخلية وإنسانيته، رغم أن تصرفاته لا تزال جافة ودقيقة كعادته. وأصبحت تريزا تقلده في كثير من الأحيان. أظنّها سعيدة للغاية ومشغولة جداً بعمله. وقد صنع بالفعل لنفسه اسماً كبيراً، وأصبح طبيبياً متخصصاً في وظائف الغدد الصماء.

أما الآنسة لوسون، في نوبة الضمير الحادة التي انتابتها، تحتم منعها بالقوة من أن تحرم نفسها من كل مليم ورثته. حتى تم التوصل لاتفاق بين جميع الأطراف بواسطة السيد بيرفيس، يقسم ثروة الآنسة أرونديل بين الآنسة لوسون، وتريزا وتشارلز، وطفلي دكتور تانيوس.

بدد تشارلز نصيبه خلال عام تقريباً أو أكثر، وأظنّه الآن في كولومبيا البريطانية.

ولكن حدث أمران.

قالت الآنسة بيبودي بعدما أوقفنا ونحن نخرج من بوابة منزل ليلتجرين ذات يوم: "أنت شخص ذكي، أليس كذلك؟".

"نجحت في التكتّم على كل شيء! لن يتم تشريح الجثة. لقد سار كل شيء على نحو مرضٍ".

قال بوارو بلطف: "يبدو أنه ليس هناك شك أن الآنسة أرونديل توفيت من جراء مرض ضمور الكبد الأصفر".

قالت الآنسة بيبودي: "هذا مُرضٍ للغاية. سمعت أن بيل تانيوس تناولت جرعة زائدة من الأقراص المنومة".
"نعم، أمر محزن للغاية".

"كانت سيدة بالأسّة للغاية؛ لطالما أرادت ما لم تحصل عليه. أحياناً يصعب الأشخاص من هذه الشاكلة غرباء بعض الشيء. كانت لديّ خادمة في المطبخ. كانت بسيطة للغاية هي الأخرى. شعرت بذلك. بدأت في كتابة خطابات مجهولة، أحياناً يقدم الناس على تصرفات غريبة. أها، أقول إن كل هذا من أجل الأفضل".
"نتمنى ذلك يا سيدتي. نتمنى ذلك".

قالت الآنسة بيبودي، وهي تستعد لتكمل سيرها: "حسنًا سوف أقول لك الشيء نفسه. لقد تكتمت على الأمور بطريقة لطيفة. لطيفة جداً بالفعل"، ثم مضت في طريقها.

سمعت "نباحاً" حزيناً من خلفي.

التفت وفتحت البوابة.

"نعال يا صديقي".

قفز بوب على الفور. كان يحمل كرة في فمه.

"لا يمكننا أن نأخذها معنا في جولتنا".

تهند بوب، ثم التفت ببطء وألقى الكرة إلى الداخل. نظر إليها بتلهف ثم مر من جوارها.

نظر إليّ وكأنه يقول لي:

"ما دمت ترى ذلك يا سيدي، فأظنك محقاً".

أخذت نفساً عميقاً.

"أقول يا بوارو إنه من الجيد أن نحظى بكلب مرة أخرى".

قال بوارو: "غنائم حرب. ولكنني سأذكرك يا صديقي، أن الأنسة لوسون أهدتني أنا الكلب ولم تهدك إياه".

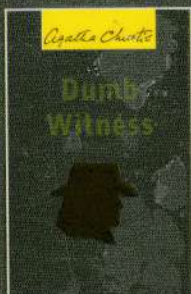
قلت له: "ممكن. ولكنك لا تجيد التعامل مع الكلاب يا بوارو. أنت لا تفهم نفسية الكلاب! وأنا وبوب صرنا نفهم بعضنا البعض بشكل ممتاز، أليس كذلك؟".

نبح بوب بنبرة مفعمة بالحيوية: "هو، هو".

محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

الشاهد الصامت

إعلان عن جريمة
أوراق لعب على الطاولة
القتل السهل
خداع المرايا
الجواد الأشهب
لغز القطار الأزرق
الأفيال تستطيع أن تتذكر
الشاهد الصامت
الستارة
بعد الجائزة
شر تحت الشمس
الجريمة النائمة
العدو الخفي
قطعة بين الحمام
الموت على ضفاف النيل



ظن الجميع أن حادث سقوط إميلي
أرونديل على كرة من المطاط تركت
على السلالم قد تسبب فيه كلبها.
ولكنها كلما فكرت في سقوطها أكثر،
زاد اقتناعها بأن أحد أقاربها كان
يحاول أن يقتلها...

في السابع عشر من شهر أبريل كتبت
شكوكها في خطاب وأرسلته إلى
المحقق هيركيول بوارو. الغريب في
الأمر أنه لم يتلق الخطاب حتى الثامن والعشرين من شهر
يونيو... بعد وفاة إميلي بالفعل.

«قدرة أجاثا كريستي على ابتكار حيكات فنية معقدة،
بالإضافة إلى فهمها للطبيعة الإنسانية في أفضل وأسوأ
صورها جعل رواياتها صالحة لكل الأزمنة».

- جان بورك، المؤلفة الحائزة على جائزة عن سلسلة ألفاز
إيرين كلي.

«أجاثا كريستي مؤلفة الروايات البوليسية الأكثر مبيعاً على مدار التاريخ؛
حيث لم تتمكن أية أعمال أخرى من تخلي مبيعاتها سوى أعمال شكسبير،
فقد بيع أكثر من مليار نسخة من أعمالها باللغة الإنجليزية، إلى جانب مليار
نسخة أخرى مترجمة إلى مائة لغة. توفيت أجاثا كريستي عام ١٩٧٦».



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...and just a Bookstore

النسخة الإلكترونية

قائمة جرير
JARIR READER



ISBN 628-107207967-3



6 281072 079673

282205779